# إسهامات أمير المؤمنين محمد بلّو في التنمية الاقتصادية: كتاب تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب نموذجا

**نعمة الله شيخ و عثمان محمد علي**
**niimatullahis@yahoo.com**

**المقدمة:**

من المسلم به أن تقدم كل أمة وسعادتها في كل زمان ومكان منوط على اعتمادها على نفسها في جميع نواحي الحياة ومن أهمها الناحية الاقتصادية، ويعتبر الاعتماد على النفس من الناحية الاقتصادية راية الأمان لسعادة الناس والأوطان. كان أمير المؤمنين محمد بلّو من بين علماء الدولة العثمانية صكتو ورؤسائها ممن اهتموا بالناحية الاقتصادية في المجتمع الذي عاش فيه. لقد شارك هذا القائد مشاركة إيجابية في هذا المجال، حيث استخدم ثقافته ودعى أبناء مجتمعه وحثهم ووجههم إلى الاهتمام بالتنمية الاقتصادية، واتخاذ أسباب طلب الزرق وتجنب البطالة. تهدف المقالة إلى إلقاء الضوء على ما قامت به هذه الشخصية حول الدعوة والحث والتشجيع على التنمية الاقتصادية والاعتماد على النفس في طلب المعاش، من خلال كتابه "تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب"، والتعليق على النواحي الاقتصادية التي لفت أنظار الناس وحثهم إلى الاهتمام بها في الكتاب.

وتحتوي المقالة بعد المقدمة على النقاط التالية:

- التعريف بالمؤلف.
- عرض الكتاب.
- مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحا.
- الاقتصاد في منظور الإسلام.
- أوجه التنمية الاقتصادية في الكتاب.

- الخاتمة.
- الهوامش والمراجع.

**التعريف بالمؤلف:**

هو أمير المؤمنين محمد بلُّو بن الشيخ عثمان بن محمد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبُّ بن محمد ثَنْبُو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن باب بن موسى جَكُّولُو الذي هاجر بجماعته من بلاد فوتا تور قاصدا الهجرة إلى الحجاز ومكث مع أهله في بلاد حوسا واختلطوا بأهلها حتى ولد فيهم مؤسس الدولة الإسلامية المجاهد الكبير بغرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي. ولد محمد بلُّو يوم الأربعاء في طِغِل في شهر ذي القعدة سنة مائة وتسعين بعد ألف هجرية، (١٩٠٠هـ) من أبوين كريمين وفي بيت علم وأدب فقد كان جده محمد مشهورا بالعلم والتدريس حتى لقب "بفودي" بمعنى الفقيه. نشأ أمير المؤمنين محمد بلُّو وترعرع وتربى في حجر والده الشيخ عثمان بن فودي، وعمه الأستاذ عبد الله بن فودي، وصحبهما ولازمهما وأخذ عنهما العلم والأدب وتأثر بهما من حيث أعمالهما وسلوكهما تجاه الحركة الإصلاحية وتأسيس الدولة العثمانية في صكتو ونشر الثقافة الإسلامية والعربية فيها[٣].

كان أمير المؤمنين محمد بلو يشاهد التيار الثقافي الذي يجري في معهد والده ويتفاعل به بكل إحساسه ويتمرس بالحركات العلمية والإصلاحية السائدة آنئذ، ويختلف إلى المعاهد العلمية المكتظة بالعلماء والطلاب في ذلك الوقت ويأخذ من أصحابها وينهل من روافدها ولأجل ذلك تأثر بمؤثرات البيئة التي عاش فيها. هذا، ولما بدأ والده "الشيخ عثمان بن فودي" الحركة الإصلاحية كان أمير المؤمنين محمد بلو ممن عاضده وقوي ساعده وقام بأدوار فعالة ذات أثر كبير إبان هذه الحركة الإصلاحية، إذ تولى دور سكرتير الجماعة، وكان يكتب عن الشيخ المراسلات الدبلوماسية إلى السلاطين والأمراء خارج الدولة[٤].

**تعلمه وعلماؤه:**

سبق أن أمير المؤمنين محمد بلو نشأ وترعرع في بيت علم وشرع يتلقى العلم من والده الشيخ عثمان بن فودي وعمه الأستاذ عبد الله بن فودي وعن الأستاذ العالم محمود وعن الأستاذ العالم مُودِ مَامَارُو، وعن الأستاذ العالم سليمان، وعن الأستاذ العالم أحمد البرناوي، وعن الأستاذ أحمد دِكُّو، وتعلم عن أخيه محمد سعد[٥].

**مؤلفاته:**

ذكر الباحثون أن أمير المؤمنين محمد بلُّو من عباقرة العلماء الذين أسهموا نحو دفع عجلة الثقافة الإسلامية والعربية إلى الأمام في الدولة العثمانية الإسلامية من ناحية التواليف والإنتاج، وقد خلف ما يزيد على مائة مؤلف في فنون مختلفة ومواضيع متباينة منها: الفقه، والتصوف، والتاريخ، والسياسة، والإدارة، والطب، والاقتصاد، واللغة والاجتماع، والوعظ والإرشاد[٦]. ومن مؤلفاته:

- الآداب .
- اسم الله الأعظم .
- الإشاعة في حكم الخارجين عن الطاعة .
- أصول السياسة.
- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.
- البدور المسفرة في خصال التي يدرك بها المغفرة.
- البرد اليمني في أخبار أويس القرني.
- تحقيق المريدين والمتشككين.
- تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب.
- رفع الشبهات في التعلق بالله وبأهل الله .
- علم الجمل النحوية .
- العوامل النحوية .

– عجالة الراكب في الطب السائب[٧].

هذا ومما يشهد على قيمة مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو وأهميتها من ناحية تثقيف الأمة وتوعيتها نحو الثقافة الإسلامية أن الشيخ عثمان بن فودي رغب الناس في قراءتها عند كلامه في ترغيب الناس على الاعتناء بتآليف علماء زمانهم، وذلك حين يقول: " فاشتغلوا بقراءة تآليف أخي عبد الله لأنه مشتغل غالبا بظاهر الشريعة، واشتغلوا بقراءة تآليف ولدي محمد بلو لأنه غالبا بحفظ علم سياسة الأمة، بحسب الأشخاص والمقاصد والأزمان والأمكنة والأحوال، واشتغلوا أيضا بقراءة تآليفي، لأني مشتغل بحفظ الطرفين غالبا[٨]. أي ظاهر الشريعة وعلم سياسة الأمة.

**خلافته:** تولى أمير المؤمنين محمد بلّو الخلافة سنة ألف ومائتين واثنتين وثلاثين هجرية، (١٢٣٢هـ) وذلك عند ما اختاره أهل الحل والعقد مباشرة بعد وفاة والده الشيخ عثمان بن فودي – تغمده الله برحمته، لكي يكون خليفة له، ويحفظ الدولة الإسلامية ويثبت لها مجدها ويحميها من غارات العدو، وقد تحمل عبئها وله من العمر آنذاك إحدى وثلاثون سنة فبايعه الناس[٩].

**وفاته:** توفي أمير المؤمنين محمد بلو رضي الله عنه عشية الخميس الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد ألف، من الهجرة (١٢٥٣هـ) الموافق (١٨٣٧م) وله من العمر ثمان وخمسون إلا شهرا، وكانت وفاته في بلده وموضع رباطه وُرْنُو ودفن في داره هناك، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة. وكان آخر كلامه من الدنيا لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات[١٠]. ثم قرأ قوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }[١١].

**عرض الكتاب :**

عنوان الكتاب: "تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب" وهو كتاب صغير الحجم في سبع صفحات على حسب طبعة نفقة "معلم بُودَ دُوظِنْ أَسَادَ صكتو". أثبت الباحثون والمراكز العلمية والبحث عأن الكتاب من تواليف أمير المؤمنين محمد بلو، ويشتمل الكتاب على

مقدمة وفصلين وخاتمة. تحدث فيه المؤلف عن الظاهرة الاقتصادية في نظر الإسلام، فحث المسلمين وشجعهم على السعي وراء طلب الرزق والكسب الحلال والأكل من عروق جبينهم، واجتناب الشعور بالنقص والتواكل والاعتماد على الغير. مؤيدا كلامه بالنصوص من القرءان والحديث وأقوال السلف. نهج المؤلف في تأليفه هذا الكتاب منهج العلماء في عصره في تأليف الكتب، وهو إيراد الأقوال مع ذكر أصحابها مع الإحالة إلى مظان بعضها،كعادة البحث في ذاك العصر.

**مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحا:**

**الاقتصاد لغة:** مأخوذ من مادة "قصد" وقصد الطريق قصدا استقام، وقصد الشاعر أنشأ القصائد، وقصد له وإليه توجه إليه عامدا، وقصد في الأمر توسط لم يفرط ولم يفرط، وفي الحكم عدل ولم يمل ناحية، وفي النفقة لم يسرف ولم يقتر، وفي مشيه اعتدل فيه. ومثله اقتصد في أمره لم يفرط ولم يفرط. ويقال اقتصد في النفقة لم يسرف ولم يقتر، والشاعر واصل عمل القصائد فهو مقتصد[١٢].

وفي لسان العرب القصد استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا فهو قاصد. وقوله تعالى:" وعلى الله قصد السبيل"، أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر. يقال فلان مقتصد في النفقة، وقد اقتصد. واقتصد فلان في أمره أي استقام، وقوله تعالى: "ومنهم مقتصد"، بين الظالم والسابق. وفي الحديث: "ما عال مقتصد ولا يعيل أي ما افتقر من لا يسرف في الانفاق ولا يقتر"[١٣].

**الاقتصاد اصطلاحا:** وردت تعريفات جمة لمصطلح الاقتصاد اصطلاحا، منها:

يعرف بأنه ذلك العلم الاجتماعي الذي يعني بدراسة المشكلات التي تنشأ من وجود حاجات الإنسان ورغباته المتعددة مقابل موارد اقتصادية وإمكانات محدودة نسبيا لإشباعها.[١٤] وهو العلم الذي يتناول كيفية الحصول على الدخل وكيفية انفاقه.

وبعبارة أخرى: "هو مظاهر النشاط التي يرمي بها الاجتماع البشري إلى إنتاج خيرات الزراعة والصناعية والمعدنية والتجارية ونحوها واستغلالها واستهلاكها"[١٥].

ويقول مرجع آخر: "هو دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة وتنميتها لإشباع حاجاته"[١٦].

وذكر بعض الباحثين أن الاقتصاد كلمة مشتقة من لفظ إغريقي معناه تدبير أمور البيت بحيث يشترك أفراده القادرون في إنتاج الطيبات الاقتصادية، والقيام بالخدمات، ويشترك جميع أفراده بالتمتع بما يحوزونه.ثم توسع الناس في مدلول البيت حتى أطلق على الجماعة التي تحكمها دولة واحدة، وعليه فلم يعد المقصود من كلمة اقتصاد المعنى اللغوي وهو التوفير، ولا معنى المال فحسب، وإنما المقصود المعنى الاصطلاحي لمسمى معين وهو تدبير شؤون المال، إما بتكثيره وتأمين إيجاده وإما بتوزيعه[١٧].

ويتضح من خلال هذه التعاريف أن علم الاقتصاد هو من العلوم المهمة التي عنت بمشاكل الإنسان وإشباع رغباته، وندرة موارده ودخله اليومي سبب وجود مشكلة اقتصادية وسميت بذلك لأنها دعت إلى حل كل مشاكل المجتمع، من خلال توفير كل حاجاته ورغباته اليومية، وهذا سبب استوجب ظهور العلم والبحث في كل مجالاته ووضع الحلول لكل مشكلة آنية ومستقبلية[١٨].

**الاقتصاد في منظور الإسلام:**

عرف الاقتصاد في منظور الإسلام بأنه مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن والسنة والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر[١٩].

وبعبارة أخرى: هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقا لأصول الإسلام وسياسته الاقتصادية[٢٠].

وبما أن الاقتصاد الإسلامي بعبارة مبسطة هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي ونظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية .فأصله انقسم إلى اثنين:

**أولها:أصلٌ ثابت:** وهو خاص بالمبادئ، وهو عبارة عن مجموعة الأصول الاقتصادية التي جاءت بها نصوص القرآن والسنة ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادي للمجتمع أو أشكال الإنتاج السائدة فيه، ومن قبيل ذلك:

" أصل أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، وأصل ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي، وأصل تحقيق العدالة الاجتماعية وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد، وأصل احترام الملكية الخاصة، وأصل الحرية الاقتصادية المقيدة وذلك بتحريم أوجه النشاط الاقتصادي التي تتضمن استغلالاً أو احتكاراً، وأصل التنمية الاقتصادية الشاملة، وأصل ترشيد الإنفاق وذلك بتحريم التبذير"[٢١].

**ثانيهما: أصلٌ متغير:** وهو الخاص بالتطبيق وهو عبارة عن الأساليب والخطط العلمية والحلول الاقتصادية التي يكشف عنها أئمة الإسلام لإحالة أصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية إلى واقع مادي، يعيش المجتمع في إطاره. ومن ذلك بيان العمليات التي توصف بأنها رباً أو صور الفائدة المحرمة، وبيان مقدار حد الكفاية أو الحد الأدنى للأجور، وإجراءات تحقيق العدالة الاجتماعية أو إعادة التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع، وبيان مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ونطاق الملكية الخاصة العامة، وخطط التنمية الاقتصادية والتخطيط، مما يتسع فيه مجالا لاجتهاد وتتعدد فيه صور التطبيق، والتي نعبر عنها على المستوى الفكري باصطلاح (النظرية أو النظريات الاقتصادية الإسلامية) وعلى المستوى العملي أو التطبيقي باصطلاح النظام أو النظم الاقتصادية الإسلامية، فالنظريات أو النظم الاقتصادية الإسلامية هذه، اجتهادية تطبيقية إذ أنها من عمل المجتهدين وأُلي الأمر، وهو ما قد يختلفون فيه باختلاف تقديرهم للمصالح تبعاً لتغير ظروف الزمان والمكان، بل في الزمان والمكان الواحد باختلاف فهمهم للأدلة الشرعية[٢٢].

**أوجه التنمية الاقتصادية في الكتاب.**

ذكر الباحثون أن أمير المؤمنين محمد بلُّو كان مهتما بتعليم الشعب الصناعات بجانب اهتمامه بتثقيفهم، وكان كثير الاهتمام بتقدم البلاد اقتصاديا. وروي أنه أقطع أرضا

وزرع فيها قصب السكر وأنشأ بالقرب منها مصنعا لصناعة السكر، واستمر هذا المصنع ينتج السكر والقائمون عليه يأتون بما ينتجون إلى الخليفة محمد بلُّو في كل عام. ويذكر أنه أثناء رحلته إلى "أَزْبِنْ" قد تعلم طريقة دباغة الجلود وصبغها باللون الأخضر ولما عاد من تلك المدينة قام بتعليم ثلاث أسر في صكتو تلك الصناعة ولا تزال إحدى هذه الأسر حتى اليوم تحتكر الدباغة بهذا اللون[٢٣].

ومن اهتمام أمير المؤمنين محمد بلو بالظاهرة الاقتصادية كما ذكره الشيخ آدم الإلوري أنه اجتمع بأمير المؤمنين محمد بلُّو الرائد الإنكليزي كلاباتن سنة ١٨٢٦م وعقد معه معاهد تجارية باسم ملك إنجلنترا وتبادل معه الهدايا[٢٤]. هذا ويمكن تنظيم الأوجه التي أصدرها المؤلف في التنمية الاقتصادية كما يلي:

**الكسب الحلال وفضيلته:**

بدأ المؤلف حديثه في التنمية الاقتصادية بسرد نصوص من القرءان الكريم والحديث الشريف عن فضيلة الكسب الحلال والحث والتشجيع على التمسك به. يقول المؤلف في هذا الصدد: "اعلم أنه ورد في فضيلة الحلال ءايات وأحاديث منها قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ...}[٢٥]، وقوله تعالى:{ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...}[٢٦]، وقوله تعالى:{...فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...} [٢٧]، وقوله تعالى:{...أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...}[٢٨]. وأما الأحاديث فقوله – عليه الصلاة والسلام: "عليكم بالتجارة فإنها تسعة أعشار الرزق"، وقوله – عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب أن يكون العبد محترفا"[٢٩].

صرح أمير المؤمنين في هذه الطائفة من النصوص كثرة اهتمام الإسلام بالظاهرة الاقتصادية، وأنه دعا المسلمين وحرضهم وشجعهم على التنمية الاقتصادية عن طريق الحلال بكل وسيلة من وسائل الكسب وطلب الرزق اعتمادا على النفس، إذ ليس من الزهد في شيء ترك السعي وراء الكسب الحلال وطلب الرزق إما عن طريق التجارات أو

الصناعات أو الزراعات، وقد بيّن المؤلف أن المراد بقوله تعالى: " أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ" أي بالتجارة والزراعة. كما بيّن أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالاهتمام بالتجارة لكونها من أهم أسباب الرزق والتنمية الاقتصادية. ويفهم من الحديث الذي أورده المؤلف من أن الله يحب أن يكون العبد محترفا، أن غير المحترف على عكس ما يحبه الله – سبحانه وتعالى. وفي فيض القدير عند شرح حديث "علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل ... " أن الله يحب المؤمن المحترف ويكره البطال، والبطالة تجر إلى الفساد[٣٠].

وقال المناوي أيضا: ومعنى "أن الله تعالى يحبّ المؤمن المحترف" أي المتكلف في طلب المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لأن قعود الرجل فارغا أو شغله بما لا يعنيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له، والاكتساب مدبر للقلب وموجب للأثر، فمن ترك الأسباب دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له الإمداد لكونه لم يعمل شيئا. قال الراغب وغيره: وقد ذم من يدعي التصوّف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح في الدين يقتدى به فيه[٣١].

**طلب المعاش سبب لنيل رضا الله:**

يشير المؤلف إلى أن اعتماد الإنسان على نفسه والتمسك بوسائل طلب المعاش من أسباب نيل رضى الله استمع إلى قوله: "ويروى أن عيسى – عليه السلام – لقي رجلا فقال له ما تصنع؟ قال أتعبَّد، من يقوتك؟ قال أخي، قال أخوك أعبد منك". وقال أبو حذيفة: "خياركم من لم يدع دنياه لآخرته وآخرته لدنياه." وقال ابن مسعود: "إني لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته." وقال عمر بن الخطاب: لحرفة أحدكم خير من أن يكون سبهللا. وقال أبو قلابة لأن أراك تطلب معاشك أحب إلي من أن أراك في زوايا المسجد. ويروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا إسحاق إلى متى إخوانك يكفونك؟ فقال دعني عن هذا يا أبا عمر فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة. وقال أبو سليمان

الداراني من بات تعبا في كسب الحلال بات والله عنه راض، ومن طلب الدنيا استعفافا عن المسألة واستغناء عن الناس وتعطفا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. وقال سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تنصب قدميك وغيرك يقوتك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد. ويروى أن لقمان قال لابنه يا بني استغن بكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال؛ رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروّته، وأكبر من هذه الثلاث استخفاف الناس به[٣٢].

يفهم من هذه الآثار التي أصدرها المؤلف في هذا الموقف وحث فيها على الاهتمام بالكسب أن اعتماد الإنسان على نفسه والأكل من كسب يده وتنمية حياته اقتصاديا مما يجلب رضى الله ومحبته والفوز بالجنة، وهو أفضل من العكوف على العبادة اعتمادا على الغير. ومن الخطإ الفادح أن يخلو الإنسان السليم من أية وسائل الكسب ويعكف على نوافل العبادة معتمدا على أخيه، وهومذموم شرعا كما سبق، وهو مما يذهب بمروءة الإنسان وذهاب هيبته، ويقال: من مد يده لايمد رجله. وكثيرا ما ينفقه أخوه من الكسب الحرام، يقول الشاعر مشيرا إلى أهمية الكسب وأهله:

إن الدراهيم في المواطن كلها ** تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ** وهي السلاح لمن أراد قتالا[٣٣].

**أحكام الكسب:**

يقول المؤلف في هذا الصدد: "وأما حكم الكسب فاللزوم لأنه سبب إلى إقامة ما هو فرض، وهو قوته وقوت عياله وقضاء دينه، بل إن الكسب الذي هو طلب أقل الكفاية لنفسه وعياله وقضاء دينه فرض، ألا ترى إلى ما جاء في الديْنِ من الوعيد وهو قوله عليه السلام: "إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه به عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت الرجل وعليه دين لا يدع له قضاء"[٣٤]. وقوله: "وإن أطيب ما أكلتم من كسبكم" رواه الترمذي والنسائي. وأما الكسب المستحب فهو الزائد على أقل الكفاية ليواسي به فقيرا أو يصل به قريبا، لأنه سبب يتواصل به إلى إقامة ما هو مستحب، فيكون

مستحبا، لقوله – عليه الصلاة والسلام: الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار، وقوله – عليه الصلاة والسلام: "الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذوي الأقارب اثنان صلة وصدقة." رواه ابن ماجه. والكسب المستحب أفضل من نفل العبادة، لأن منفعة العبادة تخصه، ومنفعة الكسب يتعدى إلى غيره. وقد قال – عليه الصلاة والسلام:" خير الناس من ينفع الناس وقال – عليه الصلاة والسلام:" تباهت العبادة، فقال الصدقة أفضلها"[٣٥].

وأما الكسب المباح فهو كسب الزائد على ذلك، أي على ما يواسي به الفقير ويصل به قريبه، بل للتنعم والتجمل والترفه حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشتري السراري والغلمان، لقوله تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ... }[٣٦]. وقوله – عليه الصلاة والسلام: "نعم المال الصالح للرجل الصالح". وقيل هذا مكروه وربما يكون سببا للطغيان والتكاثر والتفاخر. وأما الكسب الحرام فهو كسب ما أمكن للتفاخر والتكاثر والأشر والبطر وإن كان مما حل لأنه سبب يتوصل به إلى إقامة ما هو حرام فيكون حراما[٣٧].

أشار المؤلف في هذا الموقف إلى أن جميع المكاسب التي يتخذها الإنسان لتنمية حياته الاقتصادية لا تخلو من أن تكون إما واجبة أو مستحبة أو مباحة أو حراما، وإذا كان الكسب بهذا المقام في الإسلام فلا ينبغي على المسلم الصحيح أن يتساهل في طلب ما يعتمد عليه من وسائل الكسب لمعونة نفسه ومعونة من يلزمه من الأهل، أو لمساعدة ذوي الحاجات من أقربائه والمساكين .

**أنواع الكسب وأفضله:**

يقول المؤلف في هذا الصدد: "وأفضل الكسب الجهاد لأن منفعتة عامة لما فيه من الاستغاء من حل ودفع شر الكفرة وإطفاء نارهم عن المسلمين، ثم التجارة لأن منفعة التاجر تحدث كل ساعة وتتكرر كل وقت، فيحصل بها كفاية وهو أعم نفعا فتكون أفضل من الزراعة لأن منفعة الزراعة تكون في الأحيان مرة، ثم الزراعة لأنها سعي لقوام الأبدان

المتحزمة فإن قوامها بالمطعوم والملبوس وإنما تحصل بالزراعة ولأنها أيضا سبب من الأسباب ثم النجعة في المرعى لأنها سبب من الأسباب[٣٨].

ذكر المؤلف أنواع الكسب وأسباب الرزق التي ينبغي للإنسان الاهتمام بها لتنمية حياته الدينية والاقتصادية مرتبة على حسب الأهمية والمنفعة، أولها: الجهاد إذ أنه بذل الجهد للدفاع عن الدين والدولة، وهو مشتمل على المنفعة العامة من ناحية الدين وتقدم المسلمين والدولة اقتصاديا إذا حصلوا على الغنيمة. الثانية: التجارة وذلك لشمول منفعتها واستمرارها كل ساعة وحين، وهي عبارة عن تبادل مجموعة من الأشياء من خلال صفقة تجارية تعتمد على بيع أو شراء منتجات أو مواد معينة. وتعتبر التجارة اليوم أحد الركائز الاقتصادية لجميع الأمم المتقدمة منذ قدم الزمن إلى اليوم. وقد سبق قول النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تسعة أعشار الرزق في التجارة. يقول الشاعر:

كن تاجرا حرا بأي مـــال ** ولا تكن مستخدما بحال
وكن إذا تاجـــرت ذا إدارة ** لتدرك الربح من الخسـارة
واجتنب الربا وصنع الغـش ** فإن مولاك شديد البطش
فإن بـــالتجـــارة الأنامـا ** نالوا المنى وحصـــلوا المراما
فهي قوام الملـــك والعـــباد ** في كل موطن وكل ناد [٣٩].

الثالثة: الزراعة، وهي تشمل جميع إنتاج المحاصيل النباتية التي تنفع الإنسان، وقال – عليه الصلاة والسلام: " التمسوا الرزق في خبايا الأرض"[٤٠] وفي الحديث: "من زرع زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو بهيمة فهو له صدقة"[٤١].

الرابعة: النجعة في المرعى، وذلك لأنها سبب من أسباب التنمية الاقتصادية.

**الخاتمة:**

استعرض الباحثان في هذه المقالة نبذة عن حياة أمير المؤمنين محمد بلّو من حيث نسبه ونشأته وتعلمه وعلمائه ومؤلفاته وخلافته ووفاته، ثم تطرقا إلى الحديث عن إسهامه في الدعوة إلى التنمية الاقتصادية من خلال الكتاب، وذلك عن طريق بيان فضيلة الكسب

وما يفوز به الإنسان من الثواب تحت الكسب الحلال واعتماده على نفسه، ومحاولة الأكل من عرق جبينه، ثم بيان أحكام الكسب ومراتبه من حيث اللزوم وعدمه وبيان أفضل الكسب وهي الجهاد وما اشتمل عليه من المنافع، ثم التجارة وهي لاستمرار منفعتها، ثم الزراعة، ثم النجعة في المرعى. ومما أسفرته المقالة أن أمير المؤمنين محمد بلو في هذا المؤلف حاول لفت أنظار أبناء مجتمعه نحو تنمية حياتهم اقتصاديا والأكل من عروق جبينهم، وقد زوج بين أسلوبي التبشير والتحذير في هذه الدعوة حيث أصدر طرفا من النصوص الحاثة والمحرضة على اتخاذ الإنسان وسائل طلب الرزق واعتماده على نفسه والأكل من عرق جبينه وتنمية حياته اقتصاديا، والتي تحذر عن البطالة لما يترتب عليها من الاعتماد على الغير والتسول وعرض النفس على الذل والهوان. وأن المؤلف عند حديثه عن أحكام الكسب حث الناس على توسيع وسائل الاقتصاد زيادة على قدر حاجاتهم وكفايتهم لمساعدة الفقراء والأقارب لكونه أفضل من نفل العبادة،كما نبه على خطر العكوف على الكسب الزائد على الكفاية لأجل الترفه والتطاول في البنيان لما قد يؤدي إليه من البطر والطغيان والتكاثر والتفاخر.

**الهوامش والمراجع:**

١. سورة الملك، الآية: ١٥

٢. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق بكري حياني صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط/٥/ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج/٤، ص٤.

٣. محمد الثاني درما، كنو، (الدكتور)، **إفادة الطالبين لأمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان، مسح عام وتقويم**، بلا مطبعة ولا تاريخ ص٧-٨.

٤. المرجع نفسه، ص٨-٩.

٥. المرجع السابق، ص١٦-١٧.

٦. المرجع السابق، ص٢٢-٢٣.

٧. انظر: قائمة المؤلفات الموجودة في مركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، وهي موجودة عند أمين المكتبة، القسم الثالث، تحت مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلُّو بن الشيخ عثمان بن فودي.

٨. الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، طبع على نفقة الحاج محمد طن إغي صكتو نيجريا، ص٢٣.

٩. محمد الثاني درما، كنو، (الدكتور) **إفادة الطالبين**، ص٤٢.

١٠. الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، ص٢٣.

١١. سورة الأعراف، الآية : ٣٤.

١٢. إبراهيم مصطفى وشركاؤه، **المعجم الوسيط**، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية ج٢، ص٧٣٨.

١٣. ابن منظور الأفريقي المصري، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط١، ج٣، ص٣٥٣، مادة قصد.

١٤. أياد أحمد هاوي، **موقف الاقتصاد الإسلامي من تأثر السندات في الأزمة المالية العالمية**، مجلة مداد الآداب، العدد التاسع، ص٤٨٠، الجامعة العرقية كلية أصول الدين.

١٥. انظر: **معجم المعاني** – عربي، نسخة إلكترونية.

١٦. انظر **تعريف الاقتصاد**، شبكة الألوكة، شبكة إسلامية وفكرية وثقافية، تحت إشرف الدكتور سعد الحميد، تاريخ الزيارة ١/٥/٢٠١٨م الزمن ١١:٠٠صباحا.

١٧. المرجع السابق.

١٨. أياد احمد هاوي، **موقف الاقتصاد الإسلامي من تأثر السندات في الأزمة المالية العالمية**، ص٤٨٠.

١٩. الطريقي، أ.د.عبد الله بن عبد المحسن، **الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف**، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، ط١١، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م، ص١٨.

٢٠. المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

٢١. أياد احمد هاوي، **موقف الاقتصاد الإسلامي من تأثر السندات**، المرجع السابق، ص١٨٠- ١٨٤.

٢٢. المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

٢٣. محمد الثاني درما، كنو، (الدكتور) **إفادة الطالبين**، ص٧-٨.

٢٤. الشيخ آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، ط٣، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ص٦٥.

٢٥. سورة البقرة، الآية : ١٩٨.

٢٦. سورة المزمل، الآية: ٢٠.

٢٧. سورة الجمعة، الآية: ١٠.

٢٨. سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

٢٩. الشيخ أمير المؤمنين محمد بلو، **تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب**، ومعه كتاب الجواب على سنن منع خروج النساء، طبع على نفقة معلم بود دوظن ألساد صكتو، ص/٢

٣٠. المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م ج/٤/ ص/٤٣٢

٣١. المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي،الرياض ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، ط٣، ج١، ص٥٤٦.

٣٢. المرجع نفسه، ص٢-٣.

٣٣. الهاشمي، السيد أحمد، **ديوان الإنشاء**، علق عليه عبد الرحمن مداراتي، دار المعرفة – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص٢٣٥.

٣٤. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق بكري حياني، صفوة السقا مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج/٦، ص٢٣٢.

٣٥. الشيخ أمير المؤمنين محمد بلو، **تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب**، ومعه كتاب الجواب على سنن منع خروج النساء، طبع على نفقة معلم بود دوظن ألساد صكتو، ص٤.

٣٦. سورة الأعراف، الآية :٣٢.

٣٧. الشيخ أمير المؤمنين محمد بلو، **تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب**، ص٦.

٣٨. المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

٣٩. الهاشمي، السيد أحمد، **ديوان الإنشاء**، ص٣٥٤.

٤٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥هـ ج١، ص٢٧٤.

٤١. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٣، ص ٨٩٦.

# دراسة صرفية تحليلية لألفاظ الاقتصاد في القرآن الكريم

**الدكتور علي مالمي**

**و**

**عبد الله عثمان سَالَهْ**

**assalawiyyu@gmail.com**

**المقدمة:**

تتناول هذه المقالة بعض النصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن الاقتصاد المالي وغيره، ويقوم الباحثان بدراستها دراسة صرفية دلالية،حيث يبرزان الآراء الصرفية ذات أثر دلالي فيما يتعلق بالفعل، ودلالات كل من الفعل الماضي والمضارع والأمر، وآراء علماء الصرف في ذلك، ثم دور تلك النصوص في المنع والصد عن الفساد المالي والتربوي.

والهدف من المقالة أن تقدم للقراء بعض الآراء الصرفية في دلالات الأفعال، والكشف عن القضايا المتعلقة بالاقتصاد، وتسهيل دراسة النصوص القرآنية وإخراج ما فيها من الحقائق اللغوية. ومن أهميتها أنها تقود القارئ إلى حسن اختيار الألفاظ مع مراعاة معانيها المختلفة، وتصونه عن الخطإ في بناء الجمل العربية، وتكون المقالة أيضا مرشدة إلى الاقتصاد والتوسط في الأمور، ومانعة عن الإسراف فيها. وأما المنهج الذي اتبعه الباحثان في الدراسة، فهو منهج العرض والتحليل، الذي يرتكز على عرض النص ثم الوقوف على تحليله، وإخراج ما فيه من الأبنية الصرفية وبيان دلالاتها. وتشتمل المقالة على النقاط التالية:

- تعريف الاقتصاد وأنواعه.
- تعريف علم الصرف ومباحثه.

– دراسة النصوص القرآنية الواردة في الاقتصاد.

– الخاتمة.

– الهوامش والمراجع.

**تعريف الاقتصاد:**

**الاقتصاد لغة:** الاقتصاد من قصد يقصد قصدا فهو قاصد، مأخوذ من القصد وهو استقامة الطريق والعدل، والقصد في الشيء خلاف الإفراط؛ وهو ما بين الإسراف والتقتير[١].

**واصطلاحا:** هو الأحكام والقواعد الشرعية التي تنظم كسب المال وإنفاقه وأوجه تنميته"[٢].

**أما الاقتصاد الإسلامي:** فهو دراسة ما جاء في الشريعة الإسلامية متعلقا بالاقتصاد فى أقسامها الثلاثة؛ العقيدة والفقة والأخلاق[٣]. وقيل: هو مجموعة الأحكام والقواعد والوسائل التي تطبق على النشاط الاقتصادي في المجتمع المسلم[٤].

والاقتصاد: منهج ونظام يدعو إلى التوسط والتنمية في الأمور، سواء كانت مالية أو غير المالية، ويمنع عن التسريف والتبذير، والتقتير. و يدخل الاقتصاد في الأمور المالية كلها، وجميع المعاملات المالية والأخلاقية وغيرها؛ ولذلك نوّع الله تبارك وتعالى ذكر الاقتصاد بأنواع مختلفة، تارة في الإنفاق، وتارة في الاكتساب، وتارة في المأكول والمشروب والملبوس، وتارة في المشي والكلام، وتارة في الاستعداد والحكم، وغير ذلك من الأمور التي طلب الشرع الاقتصاد فيها، ونهى عن معاكستها ومضاداتها.

**أنواع الاقتصاد:**

يتنوع الاقتصاد إلى أنواع مختلفة، حيث أنه يكون في الأمور المالية وغير المالية، ويدخل المعاملات كلها، وكذلك يكون في العبادات بأنواعها، فرضها ونوافلها، ومن هذه الأنواع ما يلي:

**الأول**: الاقتصاد في المعاملات، وهو مشتمل على:

١- الاقتصاد في الكسب.

٢- الاقتصاد في الإنفاق.

٣- الاقتصاد في الأكل والشرب.

٤- الاقتصاد في اللباس والزينة.

٥- الاقتصاد في المشي والكلام.

٦- الاقتصاد في الاستعدادت.

٧- الاقتصاد في جميع ما يتعلق بالمعاملات.

الثاني: الاقتصاد في العبادات والأعمال والطاعات، وهو مشتمل على:

١- الاقتصاد في الدين.

٢- الاقتصاد في السنة.

٣- الاقتصاد في التقوى.

٤- الاقتصاد في النوافل.

٥- الاقتصاد في أمور الدين.

**تعريف علم الصرف**:

**والصرف لغة**: من صرفه يصرفه صرفا فهو منصرف، ويدور معناه في التغيير والتحويل والانتقال؛ يقال صرف الشيء، إذا رده عن وجهه وحوله عنه[٥]. والتصريف: التغيير، ومنه تصريف الرياح، أي تغييرها.

**واصطلاحا**: هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب[٦]. وقيل هو: العلم بأحكام بنية الكلمة، وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة وإعلال، وشبه ذلك[٧]. وهو مختص بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، والتصريف "تفعيل" من الصرف، وهو أن تصرف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة[٨].

وقيل: هو العلم بأحكام بنية الكلمة، وبما لأحرفها من أصالة وزيادة، وصحة وإعلال وإبدال وشبه ذلك، وتصريف الكلمة هو تغيير بنيتها بحسب ما يعرض لها[٩].

**دراسة النصوص القرآنية الواردة في الاقتصاد**

إن هذه المقالة مقتصرة على دراسة صور من تصريف الأفعال للنصوص الواردة عن الاقتصاد، وإبراز دلالات تلك الأفعال ومعانيها، وآراء علماء الصرف في ذلك، ثم شرح النص وإبراز دور ذلك النص في الصد عن الفساد المالي وغيره، والله الموفق.

**الدلالات الصرفية فيما يتعلق بالفعل:**

يتناول هذا الجانب الآراء الصرفية ذات الأثر الدلالي التي تتعلق بقضايا الفعل، في النصوص التي وردت في الاقتصاد، وهي تنحصر في الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضارع والأمر، مع إبراز دلالات صيغة كل فعل منها، وتفصيلها كالآتي:

**الدلالة الزمنية في الأفعال.**

**الفعل**: ما دل على حدث مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة الزمن الماضي والحاضر والمستقبل[١٠]. وقيل: هو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[١١]. وهو ينقسم إلى ماض ومضارع وأمر.

**دلالة صيغة الماضي:**

**والماضي**: ما دل على زمان قبل زمان إخبارك ويسمى: غابرا[١٢]. وقيل: هو ما دل على حدوث شيء قبل زمن التكلم[١٣]، نحو: جَلَسَ. والأصل في صيغة الفعل الماضي أن تدل على الحدث المنقضي، وتفيد التعبير عن الاستقبال، وتدل على الثبوت، والاستمرار.

**الحدث المنقضي:**

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١٤].

ورد في هذه الآية الكريمة صيغة الفعل الماضي، في قوله تعالى: " جَعَلْنَاكُمْ"، وهو فعل ثلاثي من جعل يجعل جعلا فهو جاعل، على وزن فَعَل يفْعَل فَعْلًا، وهو يدل على الحدث المنقضي، إذ الأصل في وضع الفعل الماضي أنه يدل على الحدث المنقضي، ولا يحمل على غيره إلا بقرينة، والفعل ورد في الآية أيضا متعديا الذي يحتاج إلى المفعول به، وهو قوله " أُمَّةً وَسَطًا"، والفعل "جعل" دال على الحدث في الزمن الماضي.

والمعنى أن الله تبارك وتعالى جعل أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – أمة متوسطة عادلة، حيث أنها آمنت برسولها وآمنت بالرسل الذين أتوا قبله، حتى كانت شاهدة على أن الأمم الماضية بلغتهم الرسل رسالات ربهم، فآمن منهم من آمن ورفض منهم من رفض. وهذه الآية تبين أن هذه الأمة أمة متوسطة مقتصدة في الأمور كلها، ويوضح كذلك أن الاقتصاد مطلوب حتى في الشهادة، وجميع أوامر الله سبحانه وتعالى، كما قال عمر بن عبد العزيز: "أُوصِيكُم بِتَقْوَى الله، وَالاقْتِصَاد فِي أَمرِه، وَاتِّبَاع أَمْرِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم، وتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدثُونَ بَعدَه"[١٥].

**الاستقبال:**

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[١٦].

ورد في هذه الآية الكريمة فعل ماض من الثلاثي المزيد وهو"أنفقوا"، وهذا الفعل يدل على الاستقبال والاستمرار بدليل اتصاله بـ"إذا"، ولذلك كان جوابه بالفعل المضارع ليطابقه، وهو "يسرفوا ويقتروا" وهو أيضا فعل متعد لزيادة الهمزة في أوله، ويدل كذلك على أن المفعول جمع الذكور. ورد الفعل المضارع المنفي بلم في الآية الكريمة، عند قوله تعالى: "لم يسرفوا ولم يقتروا"، وهذان الفعلان يفيدان الدلالة على الاستمرار، الذي هو الأصل في وضع الفعل المضارع.

وأما معنى الآية ودورها، فإنها وردت على التوسط في الإنفاق، والذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وإن أسرف، والمسرف هو المنفق في المعصية وإن قل إنفاقه، وأن المقتر

هو الذي يمنع حقا عليه، وبالعمل بهذه الآية فالإنسان ينفق بلا تسريف وتبذير، وأنه لا يقتر فيمنع الحقوق التي كانت في ذمته، بل يكون متوسطا بين التسريف والتقتير، وبذلك ينجو المال من الضياع، ويكون في طور الاستثمار والنمو.

**الثبوت:**

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[١٧].

ورد في هذه الآية الفعل الماضي "كان"، من كان يكون كونا وكيانا وكينونة فهو كائن، والفعل ناقص وتدل صيغته على الثبوت والدوام من الناحية الزمنية، وقد اختلف النحاة في "كان" وأخواتها، وسبب تسميتها بالأفعال الناقصة، فذهب أكثرهم إلى أنها ناقصة، لأن سائر الأفعال تدل على الحدث والزمن، وأما "كان" وأخواتها فلا تدل على الحدث، وإنما تدل على الزمن فقط، فكانت نقصة لتجردها من الحدث[١٨].

فكلمة "كان" فعل ماض يدل على الأخبار الحقة الثابتة المستمرة، والمراد بقوله تعالى أن عدم التسريف والتقتير في الإنفاق ثابت ودائم أبدا، لأن الآية تكملة لقول الله عز وجل: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا"، وهي إلى الاقتصاد والتوسط في الإنفاق وعدم التبديد والتبذير، فاتباع هذا الأمر يساعد جدا على حفظ المال من الضياع، وتثميرها وتنميتها. كقول الشاعر:

رَأَيْتُ الْقُعُودَ عَلَـــى الاقْتِصَادِ ** قَنُـــوعًا بِهِ ذلَّة فِي الْـــعِبَادِ
وَعَزّ بِـــذِي أَدَبٍ أَنْ يُضِيقْ ** بِعَيْشَتِه وَســـعَ هَـــذِي البِلَاد
إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَضَى بِالخُمُولْ** فَمَا الْحَظُّ فِي الْأَدَبِ المسْتَفَاد[١٩].

**دلالة صيغة المضارع:**

**الفعل المضارع** : ما دل على حدوث شيء في زمن التكلم[٢٠]. وقيل: هو ما دل على زماني الحال والاستقبال ويسمى: حاضرا أو مستقبلا[٢١]. نحو: يَجْلِسُ ويَقْرَأُ ويَفْهَمُ ويَكْتُبُ ويَخْرُجُ.

والأصل في صيغة الفعل المضارع أن تدل على وقوع الحدث في الحال أو في الاستقبال، وقد يخرج المضارع إلى الدلالة في الزمن الماضي كما سبق في دلالات صيغة الفعل الماضي، وتدل الصيغة كذلك على الاستمرار والدوام، وتأتي أيضا الزمن الماضي ولكن ذلك العدول يكون لأغراض بلاغية، لأن العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى لا يكون عبثا، فصيغة المضارع لها إمكانية دلالية خاصة، فإنها توضح الحال وتستحضر صورة الحدث حتى كأن الإنسان يشاهده أمامه، خلاف صيغة الفعل الماضي التي تدل على حدوث الفعل وثبوته واستقراره.

**الاستمرار:**

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾[٢٢].

ورد في هذه الآية الفعل المضارع وهو قوله "تجعل وتبسط"، وكلاهما من الثلاثي المجرد، فالأول من جعل يجعل جعلا فهو جاعل، على وزن فعل يفعل فعلا فهو فاعل، والثاني من بسط يبسط بسطا فهو باسط، على وزن فعل يفعل فعلا فهو فاعل.

وكلمة "تجعل" فعل مضارع دال على استمرار الحدث لفائدة بلاغية، فهو اشتراك المخاطب في الحدث، والإعلام بأن الأمر وإن حدث وتم في الماضي فإنه مستمر إلى المستقبل، وفعل "تجعل" بلفظ الحال، وهو بمعنى الاستقبال، لما أمن اللبس والإشكال بحرف النهي "لا" الذي سبق الفعل، وفائدة سوق الحال في موضع المستقبل الإعلام بأن الأمر مستمر، وأن الله تبارك وتعالى نهى الإنسان أن لا يضع يده مغلولة إلى عنقه، وذلك كناية عن التقتير المنهي عنه. وكذلك الأمر في الفعل المضارع "تبسط" بلفظ الحال وهو بمعنى المستقبل للدلالة على أن الثابت مستمر، وهو كناية عن الإسراف الذي نهى الله عنه.

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يقول آمرا بالاقتصاد في العيش، ذاما للبخل ناهيا عن الإسراف، وأن لا يكون الإنسان بخيلا منوعًا لا يعطي أحدا شيئا، كما قالت اليهود

– لعنة الله عليهم :{يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ} ونسبوه إلى البخل، تعالى الله وتقدس الكريم الوهاب. ونهى الله الإنسان ألا يسرف في الإنفاق فيعطي وينفق فوق طاقته، ويخرج أكثر من دخله، فيقعد إن بخل ملوما، يلومه الناس ويذمونه ويستغنون عنه، ومتى بسط يده فوق طاقته، قعد بلا شيء ينفقه، فيكون كالحسير، وهو الدابة التي قد عجزت عن السير، فوقفت ضعفا وعجزا[٢٣].

**الطلب:**

وقال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ومَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾[٢٤].

ورد في هذه الآية الكريمة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، في قوله تعالى: "لِيُنفِقْ" من نفق ينفق نفقا ونَفاقا فهو نافق، على وزن فعل يفعل فعلا وفَعالا فهو فاعل، وتدل هذه الصيغة على الأمر والطلب لاقتران الفعل بلام الأمر[٢٥]، والفعل أيضا متعد يحتاج إلى المفعول به وهو محذوف، والتقدير: فلينفق ذو سعة على زوجته المطلقة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق كذلك مما آتاه الله تبارك وتعالى، وهذا كله ليدل الفعل على الطلب المستمر.

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يأمر المطلق زوجته وكانت حاملة أو مرضعة أن ينفق عليها بقدر سعته وفقره، وهذه الآية كناية وبيان لقدر الإنفاق، أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه وطاقته، وهو أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله، فلا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس يسرا وعسرا، وأما من ضيق عليه رزقه وكان دون الكفاية فلينفق على مقدار طاقته، وعلى قدر ما آتاه الله من المال، لأنه لا يكلف الله أحدا إلا قدر طاقته واستطاعته، فلا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني[٢٦].

وهذا أمر بالقصد والتوسط في الإنفاق، وهو كقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[٢٧]، ومن أخذ بالاقتصاد فقد أخذ بالجسر الذي يوصل بين

الفقر والغنى، لا بخيل ولا مبذر، يقال في المثل: "أنفِقْ مَا فِي الجَيْبِ يَأْتِيكَ مَا فِي الْغَيْبِ"، يقول ابن نباتة:

مَا ضرَّ إِحْسَانكَ يَا سَيِّدِي ** لَوْ حادَ فِي أَمْرِي عَنِ الاقْتِصَاد[٢٨].

**دلالة صيغة الأمر:**

**وفعل الأمر**: هو ما دلَّ على الزمان الآتي أو اللاحق[٢٩]، نحو: اجْلِسْ. وقيل: الأمر: صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة[٣٠]. أو طلب الفعل بصيغة مخصوصة[٣١].

وصيغته الأصلية هي فعل الأمر على وزن "افعل"، ويدل على طلب الفعل صيغ أخرى غير "افعل" مثل الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر كما سبق في دلالات صيغة الفعل المضارع، ومن ذلك اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، واستخدام كلمة تدل في معناها اللغوي على الأمر والوجوب، وصيغة أصل الوضع تدل على الوجوب والاستمرار على الحال.

وقد تخرج صيغ الأمر من معناها الأصلي للدلالة على معان أخر لغرض بلاغي، كالدلالة على الندب والإباحة، والوعيد والتحقير، والتوبيخ والتعجيز، وغير ذلك من المعاني التي قد تفيدها صيغة الأمر.

**الوجوب والاستمرار على الحال:**

قال تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٣٢].

ورد في هذه الآية الكريمة فعل الأمر بصيغته "افعل" في ثلاثة مواضع، وهي قوله تعالى: "خُذُوا كُلُوا اشْرَبُوا" إلا أن الفعلان، الأول والثاني مهموزان في الأصل، من "أخذ و أكل" فحذف فيهما الهمزة في فعل الأمر، فصارا خُذْ وكُلْ، وأما الأخير فهو باق على أصله، والأول من أخذ يأخذ أخذا فهو آخذ، والثاني من أكل يأكل أكلا فهو آكل، على وزن فعَل يفعُل فعلًا في كليهما، وأما الأخير فهو من شرِب يشرب شربا فهو شارب على

وزن فعِل يفعَل فُعلا فهو فاعل، وصيغة الأمر في الآية تدل على الوجوب، وهو طلب الفعل طلبا جازما[٣٣]. الذي إذا لم يفعله المأمور كان مذموما عاصيا مستحقا للعقاب، وهذا الطلب يكون بصيغة الأمر "افعل" وسواء حذف بعض حروفه أو لم تحذف.

والمعنى أن الله تبارك وتعالى طلب من المخاطب طلبا على الوجوب أن يتصف بهذه الأمور الثلاثة المذكرة في الآية، وهو أن يلبسوا أحسن ثيابهم وأطهرها عند كل صلاة وطواف، وأن يأكلوا ويشربوا الحلال الطيب، وفي الآية نهى عن الإسراف في الزينة والأكل والشرب بما يضر بالنفس، لأنه تبارك وتعالى لا يحب المسرفين الذين يتعدون حدود الله فيما أحل وحرم. والآية دالة أيضا على الاقتصاد والتوسط في الزينة والأكل والشرب، وبينت أن عدم ذلك (الاقتصاد) إسراف، الذي يؤدي إلى التبذير، والمبذر يكون من إخوان الشياطين، فبين تبارك وتعالى أنه لا يحب المسرفين، يقول الشاعر:

لَقَدْ جَمَـــع اللهُ فِي آيِـــه ** مِن الذِّكْرِ مَا دُونَه كُل طِب
يَقولُ الْحَكِيم كُلُوا وَاشْرَبُوا ** وَلَا تُسرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِـــب[٣٤].

**الإرشاد:**

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٣٥].

ورد في هذه الآية الكريمة فعل الأمر بصيغته الأصلية "اقصد" على وزن "افعل"، ولكن الفعل خارج عن معناه الأصلي وهو طلب الفعل على وجه الإلزام إلى غرض آخر من أغراض بلاغية، التي تقتضي خروج الفعل من معناه الأصلي الذي وضع له إلى معنى آخر، وهو النصح والإرشاد، والفعل في الآية من قصد يقصد قصدا فهو قاصد ومقتصد، على وزن فعل يفعُل فعلا فهو فاعل، وهذا الفعل دال على التوسط والاستقامة في الأمور القولية والفعلية، والأمر بالاقتصاد ظاهر في الآية، والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول مرغبا في الاقتصاد: "الْاِقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاِجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ"[٣٦].

والمعنى أن الآية الكريمة حكت لنا حكاية لقمان الحكيم وهو يرشد ابنه وينصحه بنصائحه الغالية، ويرشده إلى الاقتصاد في المشي والكلام، ويبين له أن الإنسان يكون مذموما إذا فقد الاقتصاد في عيشه وحياته، ويقول: امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء

المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطا بين بين، وينصحه كذلك أن لا يبالغ في الكلام، ولا يرفع صوته فيما لا فائدة فيه؛ لأن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي أن غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم.

يقول الشاعر:

مُسرِفٍ في السّماحِ يُوهِمُهُ الجُو ** دُ بأنّ الاِقصَادَ في الاِقْتِصَادِ[٣٧].

**الخاتمة:**

ويتلخص كل ما سبق في أن المقالة تحدثت عن الاقتصاد وأنواعه، والفرق بينه وبين الإسراف، وتحدثت كذلك عن علم الصرف ومباحثه، ودوره في فهم اللغة العربية، إلى أن درست النصوص الواردة في الاقتصاد، وعدم الإسراف والتقتير، ثم عالجت دلالات صيغ الأفعال مما يتعلق بالزمن، ومن خلال هذه الدراسة تطرقت المقالة إلى دور تلك النصوص في الدفاع والصد عن الفساد المالي، والفساد التربوي، وقد أكدت البيانات والإحصاءات الواردة في هذه الدراسة بصفة واضحة انعدام الأمن وسيطرة الفساد بانعدام الاقتصاد.

ونرجو من الله تبارك وتعالى أن ينفعنا والجميع بما في هذه العجالة، وأن يرزقنا اللهم الاقتصاد، وأن يعمنا بالأمن المالي ويديمه فينا، وأن يربينا تربية بعيدة عن الفساد بأنواعه، والحمد لله رب العلمين، وصلى وسلّم الله على النبي الكريم.

**الهوامش والمراجع:**

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، ج٣، ص٣٥٣، طبعة: دار صادر-بيروت- الطبعة الأولى بلا تاريخ، المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص٣٩٦، بلا تاريخ.

٢- القحطاني، د. مسفر بن علي، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، **النظام الاقتصادي في الإسلام**، طبعة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص١.

٣- ياسر بن طه علي، **المعاملات المالية المعاصرة في الفكر الاقتصادي الإسلامي**، ج١، ص٢.

٤- الاقتصاد الإسلامي، ج١، ص١٠، موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.

٥- ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص١٨٩، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص٣٩٦.

٦- ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م، ص٦.

٧- الدكتور، علي بهاء الدين بوخدود، **المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي**، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٧.

٨- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، **المفتاح في الصرف**، حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحمد، كلية الآداب - جامعة اليرموك -

إربد – عمان، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة : الأولى:١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ص٢٦.

٩- الغلاييني، الشيخ العلامة مصطفى، **جامع الدروس العربية**، ج١، شبكة مشكاة الإسلامية، ص٣٠.

١٠- الجرجاني، عبد القاهر، **المفتاح في الصرف**، المرجع السابق، ص٥٣، والفلاتي، محمد بن صالح، **مروي الصدي في علم الصرف**، ج٢، تحقيق وشرح: الدكتور يحيى فاروق ثيط، طبعة دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو- نيجيريا، الطبعة الأولى:٢٠١٠م، ص٢٩٨.

١١- الاستراباذي، رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج٤، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، طبعة جديدة مصححة ومذيلة بتعليقات مفيدة، طبع سنة: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، ص٥.

١٢- الجرجاني، المرجع السابق، ص٥٣.

١٣- الحملاوي، المرجع السابق، ص١٠.

١٤- سورة البقرة، الآية:١٤٣.

١٥- العسقلاني، فضيلة الشيخ محمود عبد الحميد، **الدعوة السلفية**، الناشر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ د. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد، ص١٤.

١٦- سورة الفرقان، الآية:٦٧.

١٧- سورة الفرقان، الآية:٦٧.

١٨- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال –بيروت، الطبعة الأولى سنة: ١٩٩٣م، ص٣٥٢.

١٩- دواوين الشعر العربي على مر العصور، ج٣١، ص١٣٦.

٢٠- الاستراباذي، المرجع السابق، ج٤، ص١٥، والحملاوي، المرجع السابق، ص١٠.

٢١- الجرجاني، المرجع السابق، ص٥٤.

٢٢- سورة الإسراء، الآية:٢٩.

٢٣- ينظر: **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٧٠، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٧٠.

٢٤- سورة الطلاق، الآية: ٧.

٢٥- الاستراباذي، المرجع السابق، ج٤، ص٨٤.

٢٦- ابن كثير بتصرف، المرجع السابق، ج٨، ص١٥٣، وينظر: تفسير صفوة التفاسير، ج٣، ص٨٧.

٢٧- سورة التغابن، الآية:١٦.

٢٨- ديوان ابن نباتة المصري، ص٧٣١.

٢٩- الجرجاني، المرجع السابق، ص٥٤، والحملاوي، المرجع السابق، ص١٠.

٣٠- الاستراباذي، المرجع السابق، ج٤، ص١٢٣.

٣١- الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص٣٥٢.

٣٢- سورة الأعراف، الآية:٣١.

٣٣- علي بن عبد الكافي السبكي، **الابهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي**، ج١، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص٥٢.

٣٤- ديوان ابن شهاب، ص١٦٧.

٣٥- سورة لقمان، الآية: ١٩.

٣٦- محمد بن خليفة بن علي التميمي، **حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة**، ج١، الناشر: أضواء السلف الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص٢١٠.

٣٧- ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٥٥.

# وصف الغنيمة في شعر الجهاد العربي النيجيري

**الدكتور أبوبكر آدم مساما**
**adamu.masama@udusok.edu.ng**

**المقدمة:**

تناول الشعر العربي النيجيري – منذ عهد بني فودي – أكثر موضوعات الشعر التقليدية، من مدح، ورثاء، وهجاء، ووصف، وشعر تعليمي، ووعظ وإرشاد، وحكم وأمثال، وتوسل، وغزل عارض، وشعر الجهاد. وهذه هي أهم الموضوعات الشعرية التي تناولها الشاعر النيجيري حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وأما المدح فلم يكن الشعراء يمدحون للتكسب إلا نادرا، فالمدح عندهم إما المديح النبوي أو مدح العلماء والشيوخ، حيث يسير الرثاء عندهم على نفس الدرب في الرثاء التقليدي، فهم يذكرون الموت وغدره، ويذمون الدنيا وغرورها، ويشيرون كذلك إلى بعض محاسن الفقيد، غير أنهم في الغالب يقتصرون على صفات مشتركة، وأما شعر الجهاد الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذه العجالة، فإن هدفه عندهم تسجيل الانتصارات وشكر النعم التي أنعم الله عليهم بها في حركاتهم الإصلاحية والجهادية، وتحريض الجيش وإثارة عواطفهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم الإسلامية الصحيحة.

وعلى هذا الأساس تسعى هذه المقالة جاهدة في عرض ودراسة بعض القصائد الشعرية التي تتناول في طياتها ذكر الغنائم وأثر تلك الغنائم في تنمية أموال الدولة في عهد بني فودي، وستأتي معالجة هذا الموضوع في العناصر التالية:

- مفهوم الغنيمة لغة واصطلاحا.
- أموال الدولة ووجوه صرفها في الإسلام.
- صور من شعر الجهاد النيجيري في وصف الغنيمة.

- الخاتمة.

**مفهوم الغنيمة لغة واصطلاحا:**

الغُنْم والمغنم والغنيمة بمعنى من: غَنِم الشيء غُنْمًا ومغنما وغنيمة أي فاز به، وغَنَّمَ الشيئَ تغنيما أي نقّله، واغتنم الشيء وتغنّمه أي عدّه غنيمة[١]. وورد في لسان العرب تعريف الغنيمة لغة فيما نصه: " الغنم انتهاز والاغتنام مشقة غير بالشيء من الفوز والغنم، والمغنم والغنيمة والغنم بالضم غنما. واغتمه وتغنم به أي فاز"[٢]. وقد يكسّر غُنْما على غنوم، من ذلك قول ساعدة بن جُؤية:

وأَلزمَهَا من مَعْشَرٍ يُبْغِضُونها * نَوافِلُ تأْتيها به وغُنومُ[٣].

**الغنيمة اصطلاحا:** هي ما أوجب الله على المؤمنين المجاهدين من أموال والخيل وغيرهما. وأن الأمم السابقة كانوا يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل، ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول كما حدث في زمن نبي من الأنبياء[٤].

فمنّ الله على أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – ورحمها، فأحل لها الغنيمة، وستر عليهم الغلول، فطوى عنها فضيحة أمر عدم القبول. قال تعالى:" فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم"[٥].

**أموال الدولة ووجوه صرفها في الإسلام:**

لا تقوم الدولة إلا على أساس قوي متين من حيث القوة، واستعداد مادي ومعنوي، لذا أمر الله – سبحانه وتعالى – رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاقة لذلك فقال تعالى" "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخير ترهبون به عدو الله وعدوكم"[٦].

والحق أن إعداد القوة على اختلافها كرباط الخيل وحبسها لا لشيئ إلا للغزو والجهاد عليها يرهب أعداء الله من الكافرين والمنافقين، حتى لا يفكروا في الإغارة على المسلمين، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح، أي أن الدولة إذا كانت مسلحة قادرة على الدفاع عن نفسها يرهبها أعداؤها فلا يحاربوها، وأما إذا كانت فارغة من عدة وعتاد وليست قادرة على رد أعدائها أغراهم ذلك إلى الهجوم عليها.

إلا أن هذا الإعداد يتطلب إلى ثروة طائلة ينفقها المسلمون في سبيل الله لحماية دولتهم الإسلامية، كما هو ظاهر في الآية الكريمة السابقة. وأما أموال الدولة في الإسلام فتنقسم إلى ما يأتي:

**١ – الغنيمة.**

وهي المال المأخوذ من الكفار بالقتال، روي عن عبد لله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم}[٧].

**٢ – الصدقات،** "الزكاة والوقف".

وأما الصدقات فأصلها قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٨].

**٣ – الفيئ.**

وأما الفيئ، فأصله ما ذكره الله تعالى في سورة الحشر، التي أنزلها الله في غزوة بني النضير بعد بدر، قال تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٩].

إن الفيئ هو ما أخذ من الكفار بغير قتال؛ لأن إيجاف الخيل والركاب معناه تحركها فى القتال، وسمي فيئا؛ لأن الله أفاءه على المسلمين، أي رده إليهم من الكفار، فإن الأصل أن الله تعالى إنما خلق الأموال إعانة على عبادته، لأنه إنما خلق الخلق لعبادته،

فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها، وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه، وأفاء إليهم ما يستحقونه.

**٥ – الجزية وعشور أهل الذمة.**

أما الجزية فلا تؤخذ إلا من كافر حر بالغ ذكر قوي على الاكتساب، ولا جزية على النساء، ولا على الصبيان، ولا على المجانين المغلوبين على عقولهم، ولا على الرهبان أهل الصوامع، ولا على شيخ فان، ولا على فقير، ولا يكلف الأغنياء الأداء عن الفقراء. وتقبل الجزية عند مالك من كل كافر كتابي ومجوسي ووثني وغيرهم من أصناف أهل الكفر عربا وعجما، إلا المرتدين فإنه لا تقبل منهم جزية لأنهم لا يقرون على ردتهم. وإذا انتقل الكافر من ملة إلى أخرى من الكفار أقر عليها وأخذت منه الجزية.

ومقدار الجزية أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق، لا يزاد على ذلك ولا ينقص، وقد قيل إنه يزاد على هذا المقدار على أغنيائهم ويؤخذ من فقرائهم بقدر ما يحتملون ولو درهما، وإلى هذا رجع مال[١٠].

وأما في عهدنا الراهن، فقد اتسعت الدولة واتسعت كذلك الأموال فيدخل في أموال الدولة جميع ما تخرجه الحكومة من خزانة الأرض ومعادنها الثمينة، كالنفط والذهب والفضة وما تعتمد عليه من الدخل وذلك كله مال الرعيّة.

وأما المصارف في الإسلام، فالواجب: أن يبتدئ الرئيس في القسمة بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين، كعطاء من يحصل للمسلمين به منفعة عامة. فمنهم الجيش والجنود الذين هم أهل النصرة والجهاد، وهم أحق الناس بالفيئ فإنه لا يحصل إلا بهم، وأما سائر أموال الدولة فلجميع المصالح وفاقا، إلا ما خص به نوعا، كالصدقات والمغنم:

١ – **الغنيمة:**

فالواجب فى مال الغنيمة، تخميسه، وصرف الخمس إلى من ذكره الله تعالى، وقسمة الباقي بين الغانمين. قال جل شأنه: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )[١١].

**٢ – الصدقات:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى لم يرض بحكم ولا نبي غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك"[١٢]. قال تعالى:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )[١٣].

**٣ – الفيئ والجزية:**

وأما الفيئ فقد قسمه الله تعالى في قوله: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )[١٤]. والجزية تابعة للفيئ.

**٤ – المعادن وخزائن الأرض:**

وأما المعادن وخزائن الأرض وسائر أموال الدولة، فلجميع المصالح وفاقا، وعلى الحاكم مراعاة الأهم من مصالح رعيّته.

وأما الدولة العثمانية الفودية، فقد قامت في صكتو عام ١٢١٨ هـ ١٨٠٤ م، وأول من بايع الشيخ عثمان بن فودي أخوه عبد الله، وبعد تمام البيعة، عمد الشيخ عثمان بن فودي إلى تشكيل الدولة على النظام الإسلامي، فاختار أخاه عبد الله وزيره الأول، وصديقه عمر الكمُّو وزيره الثاني، وصديقه محمد ثنب بن عبد الرحمان إمامهم في الصلاة وقاضيهم في الخصومات، وجعل محمد بن الحسن الملقب بـ (سعدان) صاحب اللواء وقائد الجيوش، فتم بذلك تشكيل الدولة الإسلامية العظيمة التي تنفذ أوامر الله ورسوله وتحافظ على حدودهما وتدافع عن أرواح الأمة وأموالها[١٦].

وإذا قارنا بين أموال الدولة ومصارفها في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الرشدين، ومن بعدهم من خلفاء الدول الإسلامية وبينها في عهد بني فودي وجدناها مثلا بمثل. وعلى هذا الأساس تهدف هذه المقالة إلى إلقاء الضوء على شعر بعض شعراء هذه الدولة، لا سيما شعر الجهاد الذي يتضمن في طياته وصف تلك الغنائم التي اغتنمها المجاهدون في غزواتهم المختلفة.

**صور من شعر الجهاد النيجيري في وصف الغنيمة:**

يعتبر تصوير معاني الحياة والظروف التي عاشها شعراء الجهاد في الدولة العثمانية الفودية من أهم عوامل شاعريتهم، فاتخذوا الشعر وسيلة لتصوير معاني حياتهم في الحركة الإصلاحية الفودية سلما وجهادا، سرورا وحزنا. ومن أكثر هؤلاء الشعراء تصويرا لحياتهم الجهادية الشيخ عبد الله بن فودي، ولعل هذا هو السر في تدوين ديوانه (تزيين الورقات ببعض ما لي من الأبيات) كما صرح بذلك حيث قال: "قد خطر لي في القلب أن أجمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم وشكر النعم التي أنعم الله علينا بها قبل هجرتنا وفي وقائع وقت لنا في الجهاد بعد الهجرة ... وفي ذلك بيان أكثر أحوالنا في ابتداء الأمر إلى انتهائه لينتفع بها من أرادها باتعاظ بمواعظها والاعتبار بما حصل لنا في تلك الأحوال من نعم الله للشكر عليها وذلك مقصود الكتاب"[١٧].

وهدفنا في هذا المبحث عرض صور من شعر هؤلاء المجاهدين الذي يتضمن وصف الغنيمة، فنبدأ بالأستاذ عبد الله بن فودي حين يفتخر ويعتز بما أنعم الله عليهم من فتوحات الحصون التي تزيد على عشرين حصنا وذلك كله في وقعة جيش الفتوح، من شدة ضبطه استمر يذكر الحصون حصنا بعد حصن إلى أن ذكر كيفية فتح عظيم حصن (كب)[١٨]، وفرار قدار كباوا ظهيرة بفرسانه، وترك مالا كثيرا شبهه عبد الله بمال قارون، فاستمع إليه يقول:

فتحنا حصونا بين كندا وكندطا * تزيـــد على العشرين بالقهـر والقوى

إلى أن قال:

وفي اثنين مع عشر المحرم فتحـــنا * عظيم الحصون حصن فود الذى غوى

قــدار كـــباوا ثم فرّ ظهـيرة * بفرسانـــه ذات الشمال على الصوى

فغادر في ذا الحصن مالا كأنـه * لقـــارون لم يأخـــذ بزاد إلى القـوى[١٩]

من خصائص ألفاظ الشاعر في هذه الأبيات الدقة في إيثار مادة على نظيرتها لما بين الكلمات من فروق دقيقة فى أداء المعنى، يرى القارئ كلمة "الفتح" ما توحي به من معنى البطولة والاعتزاز، واستطاع بهذا اللفظ "الفتح" أن يصور للقارئ أبطال المسلمين وشجاعتهم فى ميدان القتال خرجوا طالبين الشهادة أو النصر والعز، رافعين راية الإسلام، وأبدى المجاهدون من خوارق البطولات، فأمدهم الله بالنصر من عنده.

فآثر الشاعر مادة "الفتح" على "النصر"، في وصف ما أمدهم الله به في هذه المعارك لأن الأولى أدقّ في أداء المعنى الذي في نفسه، وأنها تبيّن بالوضوح مدى غاية النصر من أنهم هزموا العدو وطردوهم من حصونهم حتى صارت الحصون تحت رعاية الإسلام بما فيها من الأموال الطائلة كما هو ظاهر فى قوله:

فغادر في ذا الحصن مالا كأنه *لقارون لم يأخذ بزاد إلى القوى

فالفتح إذا يشمل النصر والغنيمة، وقد يكون النصر ولو بخلاص الجيش من الهلاك وإن لم يحصل لهم أي فتح من الفتوح، فاهتدى الشاعر إلى الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عما يريد، من أنهم حصلوا على غنيمة عظيمة من أموال، ومواش، وأطعمة، ومساكن، وكنوز، بل شبه هذه الغنيمة بمال قارون الذي وصفه الله تعالى في كتابه قائلا:( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّة....)[٢٠]

وقال أيضا بالنسبة لفتح أرض غرم وراء البحر بلاد بني كرباس:

فحمدا وشكرا طيب الأنفاس * للـــه ذي الآلاء رب النـاس

يعطي ويمنع من يشاء بفضلـه * وبعـــدله لا يُهتـدى بقـياس

فيعـــز مـــن والاه فـــي آلائه * ويذل من عاداه بالأرجـــاس

ومن الدليل عليه فتح جاءنا * في أرض غرم قرى بني كرباس
نصـــرا لنا برماحـــنا وسهامنا * وسيـــوفنا ببطونهـــم والـرأس
أولادهم ونســـاؤهم مسبيـــة * ورجالهـــم مقتولـــة بالفاس[٢١].

نشاهد من الأبيات السابقة موجات العاطفة والحب العميق نحو جيشه خصوصا حين يستذكر بعض الوقائع التي انتصر فيها جيشه، حيث يعتز به لا سيما الذين خاضوا تلك المعارك الحربية رجالا شجعانا وهم دائما على إيمان جازم وعقيدة راسخة لم يتراجعوا حتى يتم النصر لهم.

وأما عن الغنيمة التي فازوا بها في هذه الغزوة فقد اختلفت عن الأولى إذ حصلوا في هذه الحال على أسارى من نساء وأولاد بعد قتل الرجال.

وتبعه في وصف الغنائم نجل شقيقه أمير المؤمنين محمد بلو، ومن شعره في الافتخار بالفتوحات ووصف الغنائم قوله في غزوة (فافرا):

ألا هل أتاهـــا أن غـزوة فافـــرا * شفا سقما في القلب من حين أخبرا
شفا النفس أدبار التوارك يـومها * فخابـــت ظنـــون أغنبل ثم أدبـــــرا
تصيح الردينيات في حجـباتهـــم * وتسقيهـــم كـــأس المنايـــا المخمـــرا
ومن قبل كانوا يحشـرون محاشهم * وأوباشـــهم مـن أهل غوبـــــر وزنفرا

إلى أن قال:

فغادر خيل الله للنصر هامهم * بمعترك والكف والرجل قد فرى
فخلوا لنا أزوادهم ومتاعـهم * وأموالهم نفلا ورزقا ميسرا[٢٢].

وقال الأستاذ عبد الله أيضا قصيدته الميمية في هذه المناسبة شكرا لله تعالى على النصر العزيز الذي أمده الله لهم في وقعة (فافرا) واد بـ (زرم):

بأيدينا هلاك جميع غوبر * هلاك تـوارق برمـاح زرم
غداة يقودهم للحين جهلا * طبيلهم أغنبـل دون علـم
يـــــوازره زنافـــرة وغـــــوبر * وأهـل كياوا مع غوغاء بـرم

فأوردهم بفافرا حوض موت * فــفرّ لأهلـــه بلباس لــوم
وسابق خادما شيطان ءادر * وزدي قدارهم أصحاب لؤم
ففروا عــن جماعتهم وجازوا * مسيرة خمسة في نصف يوم
فمـــا بالـــوا بآبال وخــيل * وأعــبدهم وأثواب وطعم[٢٣]

والأبيات السابقة تصف للقارئ جليا ما أعد الله للمجاهدين في وقعة (فافرا) والتي تشتمل على: آبال، خيول، وعبيد، وأثواب، وطعام، وكنوز، وغير ذلك، غنيمة ورزقا حسنا ميسورا فضلا من عند الله.

وقد أنشأ الشاعر محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي قصيدة يفتخر بها على النصر والحصول على الغنائم في غزوة (كداي) بأرض غوبر، ومن أبياتها:

إلى أن قد أتينا بعد ظهر * ديار القوم في لجب لهام
وقـــد جمعوا توارقهـــم جميعا * ومن يحميهم من ءال حـام
فصـــفوا واستعـــدوا ثم طاروا * عـــلينا بالرمـــاح وبالسـهام
فشـــد عـــليهم نفــر كرام * فولـى عنهــم جمـــع اللئـام
فذاق الموت مــن بركت عليه * وبـــالناجيـــن أظفـار دوام
قتلنا منهم ما ليس يحصى * وأبنـــا بالغنـــيمة والسلام[٢٤]

وتظهر للقارئ جليا براعة الشاعر في الوصف، حيث تسلسل الشاعر للقارئ ما جرى بين الفئتين المسلمة والكافرة منذ نزولهم ديار الغوابرة بجمع كثير من المجاهدين مستعدين أنواعا من الأسلحة، راكبين ضامرات من الخيول، يقودهم الشاعر نفسه بالوعظ والإرشاد ويشجعهم على الثبات في سبيل الله، إلى أن وصلوا ديار العدو بعد صلاة الظهر حيث التحفوا بالأعداء وهم مستعدون للملاقات، وصفّوا فطارت الفئتان والتقيا متبادلين الرمي فيما بينهم إلى أن ظهر جيش المسلمين على الكفار فولّوا مدبرين منهزمين بعد أن ذقوا من المسلمين ألوانا من الوباء، وعاد المجاهدون سالمين فائزين بالغنيمة.

ظل المجاهدون على هذه الانتصارات والفتوحات في غزواتهم، فبسطت عليهم الدنيا، ومال بعض الجماعة إلى حطامها تاركين بعض الواجبات الدينية كإقامة الصلاة، ولما انعكست الأمور، انعكست أمور الدولة كذلك من عز إلى ذل، ومن أمن إلى خوف، ومن فتح إلى هزيمة. أشار إلى ذلك الأستاذ عبد الله في قصيدته السينية التى رثى بها شهداء غزوة (ألوسا)، اتخذها الشاعر وسيلة لشكوى الزمان، ويشير إلى اختلاله فيصور ما في الزمان من الفساد من إضاعة الصلاة، واتباع هوى النفس، وأكل الحرام مما أدّى إلى معاكسة الأمور من العز إلى الذل في المجتمع الإسلامى:

وخلفت فى خلف أضاعوا صلاتهم * وطاعوا على نيل اللذيذات الأنفسا
وغالبهم شار بدنياه دينه * بإيثار ما يهواه والقلب خلبسا
جرئ على أكل الحرام وأكله * كما تأكل الأنعام يأكل بولسا

واستمر الأستاذ عبد الله في تعداد بعض ما ارتكبه الجماعة بعد الحصول على الدنيا وحطامها من عدم قبول الحق وإذاية المرشدين وتأويل النصوص تأويلا غير صحيح لتدليسها:

ولا يسمع المأمور يعصى إمامه * فمن قام ينهاه عن السوء أخفسا
وإن كان ذا جاه يمهّد عذره * وأول ما قد قيل فيه ودلسا

هذا يدل دلالة واضحة على عظم شأن الرئاسة وخطرها، من أنه يجب على الرئيس بعد إصلاح نفسه أن يختار الأصلح من الأعوان والوزراء والحكام والعمال، ومتى فقد الرئيس هذه البطانة الصالحة فشل وفشلت الدولة معه وقد تحيط به الأزمة كما أشار إلى ذلك الأستاذ عبد الله بن فودي لما التفت إلى ما حوله فوجد أن الذين خلفوا الشهداء جمع لا خير فيه، فقد أهملوا شعائر الدين ومالوا إلى الدنيا ونعيمها، فازداد قلبه توقدا إلى أن تحير فظل معظم عمره في داء لا شفاء له وخاب رجاؤه فيهم:

وليلة نحس بت فى كلد حائرا * بإخلاط غوغاء الرعاء مدنسا
فتاركهم لا بد أن يتفردا * وداخلهم لا بد أن يتنجسا

فقلــت وفينا بنت بيس بظلمهم * لصبح عست هذى الصبيحة أبؤسا
فســرنا وذاك الجمــع يأتــى وراءنا * فلــما رأى جمــع التوارق أركسا
فخلفت فى أخرى أنادى ألا ارجعو *كأني أنادي أو أكلم أخرسا
وقــد كنــت أرجو كرهــم لمقامنا * فخاب رجائى فى لعل وفي عــسا[٢٥].

وهكذا رسم لنا الأستاذ عبد الله شكواه في ما يحسه من ألم ومراره عند بعض جماعته من معاكسة الأمور وتقلب الأحوال التي اعتبرها عبد الله مناط فشلهم وهزيمتهم في بعض الوقائع.

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وقد تمّت – بعونه تعالى – هذه السطور المتواضعة، فهي عبارة عن عرض ودراسة لبعض القصائد الشعرية التي قيلت في وصف الغنائم، وإلقاء الضوء عن أثر تلك الغنائم في تنمية أموال الدولة في عهد بني فودي، تتجلى للقارئ بعد هذا العرض السريع النتائج التالية:

– أن أموال الدولة في الإسلام تتوزع إلى: الغنيمة، والصدقات، والفيئ، والجزية وعشور أهل الذمة، والمعادن وخزائن الأرض.

– أن الواجب في مال الغنيمة تخميسه، وصرف الخمس في من خصهم الله به، وقسمة الباقي بين المجاهدين، وأما الصدقات والفيئ فهي لمن سمى الله تعالى في كتابه، وأما المعادن وخزائن الأرض فلجميع المصالح وفاق. وعلى الحاكم مراعاة الأهم من مصالح الرعية.

– أن أموال الدولة في عهد بني فودي لا تختلف عن أموال الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفائه الراشدين، حيث تتمثل في: الغنيمة، والصدقات، والفيئ، والجزية.

– وأما شعراء الجهاد في الدولة العثمانية الفودية، فقد اتخذوا الشعر وسيلة لتصوير معاني حياة الدولة في حركتها الاصلاحية، سلما وجهادا، سرورا وحزنا. ويمتاز من بينهم بوصف

الغنيمة: الأستاذ عبد الله بن فودي، وأمير المؤمنين محمد بلو، والشيخ محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي.

– وأن للغنيمة أثرا كبيرا في تكوين الدولة العثمانية الفودية، وبنائها بناء متاكاملا، من حيث الاقتصاد، فكانت الدولة غنية مسلحة قادرة على الدفاع عن نفسها يرهبها أعداؤها من كل جانب فلا يحاربوها، فظلت على هذه الغنى الانتصارات، فقوي نظامها الاقتصادي، حتى إذا بسط الله عليهم الدنيا مال إلى حطامها بعض الجماعة فانعكست الأمور من الانتصارات إلى الهزيمة في بعض الغزوات.

**الهوامش والمراجع:**

١ – إبراهيم أنيس وشركائه، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج٢، ص٦٦٤.

٢ – ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى بلا تاريخ، حرف الميم، مادة (غنم)، ج١٢، ص٤٤٥.

٣ – ابن منظور، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

٤ – مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، الحديث الرقم: ٤٦٥٣، ج٥، ص١٤٥.

٥ – سورة الأنفال، الآية: ٦٩.

٦ – سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٧ – الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، نسخة إلكترونية، ج١، ص١٢٥.

٨ – سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

٩ – سورة الحشر، الآية: ٦٠.

١٠ – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، **الكافي في فقه أهل المدينة**، موقع أم الكتاب: www.omelketab.net تاريخ الزيارة: ٢١ /٦/٢٠١٧م.

١١ – سورة الأنفال، الآية:١٤.

١٢ – أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بلا تاريخ، ج١، ص٥١٢.

١٣ – سورة التوبة، الآية: ٦٠.

١٤ – سورة الحشر، الآية: ٧.

١٥ – آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، بلا مطبعة، ص١١٠.

١٦ – الإمام محمد بلو بن عثمان بن فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، طبع على نفقة الحاج محمد طن إغي ظامير يرو صكتو نيجيريا، بدون مطبعة، ص١١٠.

١٧ – عبد الله بن فودي، **تزيين الورقات ببعض ما لي من الأبيات**، نشر الأستاذ المعلم أبوبكر عثمان الملقب بـ (بابي) مع شريكه الحاج عبد الرحمن بن الحاج عثمان المغربي، بدون مطبعة ولا تاريخ الطبع، ص٦–٧.

١٨ – خرج في هذه الغزوة بالراية قائد الجيش – علي جُوطِ – مع الأستاذ عبد الله بن فودى، فسار الجيش حتى وصل عظيم حصن كَبِ فنزل قريبا منه، وبات ليالى، ثم نهض الجيش إلى الحصن ففتحه الله عليهم، وفرّ أميرها محمد بن سليمان إلى ناحية الشمال حتى وصل دَمَانَ، ثم انتقل إلى أَوغِي. للاستزادة، انظر إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، ص١٢٣ — ١٢٦.

١٩ – وهى قصيدة مشهورة تقع فـي سبعة وثلاثين بيتا، وأبياتها من الطويل. للوقوف على القصيدة بكاملها راجع: **تزيين الورقات**، للأستاذ عبد الله بن فودي، ص٦٢ — ٦٥.

٢٠ – سورة القصص، الآية: ٧٦.

٢١ – عمر بن محمد بوي، **توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات**، Al-ameen Sokoto،Press LTD بلا تاريخ الطبع، ص٢٤٤ –٢٤٥.

٢٢ – انظر: **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، ص١٤١–١٤٢.

٢٣ – عمر بن محمد بوي، المرجع السابق، ص٢٢٩ –٢٣٠.

٢٤ – الوزير جنيد بن محمد البخاري، **ديوان محمد البخاري**، مخطوط، بدون ترقيم الصفحات.

٢٥ – عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص٦٧–٦٨.

# دور كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية في تنمية الاقتصاد في صكتو

عباس محمد ورنو

**المقدمة:**

الحمد لله الذي رفع شأن اللغة العربية تلائم حياتنا الاقتصادية والدينية، حيث أنزل بها خير كتبه وأفضلها، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن للغة العربية قيمة جوهرية كبرى في تنمية حياة كل أمة. فإنها الأداة التي تحمل دارسيها إلى أرقى درجات بعيدا عن الفقر والبطالة.[١] وهنا جملة من اللغات تعرف بلغات العرب أي التي نشأت في شبه جزيرة العرب، أو العربيات؛ من حميرية وبابلية وألمية وعبرانية وحبشية، أو الساميات في الاصطلاح الغربي وهو مصطلح عنصري يعود إلى أبناء نوح الثلاثة. سام وحام ويافث.

يهدف البحث إلى إبراز الخدمة الجليلة التي قدمتها الكلية للمجتمع، وكذلك إلى ذكر بعض خريجيها من العلماء والمثقين والقضاة، الذي أدوا دورا هاما في نشر اللغة العربية والدراسات الإسلاميةفي ولاية صكتو وخارجها. ومن أهمية هذا البحث تشجيع الطلاب لاقتداء بهؤلاء المعلمين، والمثقفين، في طلب العلم وخدمتهم في الاعمال الخيرية. والمنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي.

ويتمحور هذا البحث حول النقاط التالية:

- نبذة تاريخية عن الكلية.
- دورها في تنمية الاقتصاد في ولاية صكتو
- النتائج والتوصيات ثم الخاتمة

**نبذة تاريخية عن كلية الشيخ بكر محمود غومي:**

أسست هذه الكلية في عام ١٩٦٣م، باسم كلية معلمي اللغة العربية، صكتو. Arabic Teachers' College, Sokoto (ATC) إلا أنها لم تبدأ رسميا إلا بعد إجازتها وفتحت تحت قيادة حاكم الولايات الشمالية السيد قاسم إبراهيم عام ١٩٦٥م، لهدف إخراج علماء، وتنمية اقتصاد الدولة بثقافتي العربية والإسلامية مع الإنجليزية جنبًا بجنب.

**أقسامها:**

تنقسم الكلية إلى قسمين وقتئذ.

١- القسم الأول: قسم لنيل شهادة التدريس للدرجة الثانية (Grade II)

٢- القسم الثاني: قسم لنيل شهادة التدريس للدرجة الثالثة (Grade III)

- **تغير اسم الكلية:**

من المعلوم أن اسم هذه الكلية في بداية امر هو كلية معلمي اللغة العربية صكتو، ثم غير اسمها إلى كلية الآداب والدراسات العربية، وذالك في عام ١٩٧١م، وهي College of Arts and Arabic Studies (C.A.A.S)، واستمرت بإخراج المعلمين والمثقفين استمرارًا بهذا الاسم، إلى سنة ١٩٩٢م لما أعلنت حكومة ولاية صكتو بتغيير اسم الكلية إلى كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية صكتو، Sheikh Abubakar Gummi Memorial College، إبقاء وتذكارا للشيخ أبي بكر غمي، لجهده في نشر التراث الأدبي والثقافة الإسلامية.

- **سلسلة عمداء الكلية:**

نظرا لقيمة هذه الكلية من ناحية الإنتاجات والتنميات من قبل الحكومة أرسلت إليها الرؤساء المثقفين ذوي المروءة والمهارة، وعددهم كثيرا، ومنهم ما يلي:

١. الحاج حامد القاضي، من أغسطس ١٩٦٢م إلى مايو ١٩٦٦ (B.A. Hon).

٢. الحاج بلّو غسو، من ١٩٧٤م إلى ١٩٧٨م، جامعة الأزهر (LLB. Shari'a Law)

٣. الحاج عثمان جنيد من يونيو ١٩٧٨م إلى يوليو ١٩٨٤م، جامعة الأزهر (B.A. Arabic)

٤. الشيخ بخاري رضوان أحمد ورنو، من يوليوم إلى سبتمبر ١٩٨٧م (B.A. Arabic) جامعة الأزهر (PGD ABU)

٥. الحاج محمد قاسم ثاني من سبتمبر ١٩٨٧م إلى فبراير ١٩٩٢م، (Dipl. B.A. M.A Isl).

٦. الحاج بلو محمد غسو، من يوليو ١٩٩٣م إلى مارس ١٩٩٥م (Dip. B.A. M.A Ara)

٧. الحاج أبوبكر محمد (طَنْ إيَنْ تَمبول) من دسمبر ٢٠٠٧ إلى ٢٠٠٩م، (MED. ADM. And Plan)

٨. محمد مَرَافَا وامكّو ٢٠٠٩م إلى ٢٠١٢م (BSC Agric)

٩. الحاج محمد المختار بويي، ممثل العميد (Acting principal) ٢٠١٢م إلي ٢٠١٣م

١٠. الحاج أبوبكر محمد (طَنْ إِيْيَنْ تمبول) ٢٠١٣م إلى يوم.

**موظف الكلية:**

إنّ لكلية الشيخ أبي بكر غومي موظفين ماهرين، كمدرسي اللغة العربية والإسلامية والإنجليزية وغيرها، وله أكثر من مائة وخمسين موظفا (١٥٠)، وعدد مدرسيها أكثر من مائة وعشرين مدرسا، فأكثر من عشرة بينهم حصلوا على شاهدة الماجستير في اللغة العربية، ولأكثر من تسعة شهادة الليسانس في اللغة العربية، وكذلك حصل أكثر من عشرة على شهادة الليسانس في الدراسات الإسلامية كما حصل أكثر من ثمانية وثلاثين على شهادة التربية الوطنية.

**عدد خريجي الكلية:**

بلغ عدد خريجي الكلية أكثر من ١٣٧٥٧، وهذه مجموعة من عدد المتخرجين عدادا لا إحصاءً.

**الأساتذة في المعاهد العليا والثانوية:**

١- البروفيسور سمبو ولي جنيد محاضر اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، ومستشار في قصر سلطان أمير المؤمنين في شؤون الدين وتخرج في ١٩٦٨م.

٢- البروفيسور عيسى القاضي أبْبَا محاضر بجامعة بايرو كانو قسم التاريخ وتخرج عام ١٩٦٨.

٣- البروفيسور محمد المصطفي جاغبا، محاضر بجامعة عثمان بن فودي كلية التربية، وتخرج في عام ١٩٧٤م.

٤- البروفيسور صالح بلا ألجناري محاضر اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، وتخرج في عام ١٩٧٩م.

٥- البروفيسور ثاني عمر موسى محاضر بجامعة عثمان بن فودي قسم اللغة العربية ورئيس جمعية معلمي دراسات اللغة العربية والإسلامية نيجيريا (NATAIS).

٦- الدكتور عبد القادر ثاني، محاضر بجامعة عثمان بن فودي صكتو، قسم اللغة العربية، وتخرج في عام ١٩٨١م.

٧- الدكتور ناصر آدم محمد، محاضر بجامعة ولاية صكتو، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتخرج في عام ١٩٨١م.

٨- الدكتور سراج محمد صكتو، رئيس قسم دراسات اللغة العربية والإسلامية، وعميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة ولاية صكتو، وتخرج في عام ١٩٩٤م

**من القضاة:**

١- القاضي ألفا بالغوري محكمو الإستئناف صكتو، وتخرج في عام ١٩٧٢م.

٢- القاضي تمبري عثمان، محكمة الاستئناف للشرعية الإسلامية صكتو، تخرج عام ١٩٧٩.

٣- القاضي البخاري أ. يحي محكمة الشريعة الإسلامية العالية صكتو.

٤- القاضي محمد قاسم هَوسَارِي محكمة الشريعة الإسلامية العالية صكتو، ولاية صكتو وتخرج عام ١٩٩٥م.

**من السياسيين:**

١-الدكتور بلاربي سالامي ممثل والي ولاية صكتو، ورئيس مجلس النواب في ولاية صكتو سابقا، وعضو في مجلس النواب الوطني سابقا، ومحاضر بكلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو سابقا، وتخرج في عام ١٩٨١م.

**٢-** إبراهيم غِطَاطُو عضو في مجلس البرلمان صكتو سابقا في ولاية صكتو، وتخرج في عام ١٩٩١م.

**من الخطباء:**

١- الحاج ثالث محمد ئيسا رئيس إدارة الدراسات العربية والإسلامية ولاية صكتو سابقا، وإمام المسجد الجامع الكبير في الحكومة المحلية ئِيسا في صكتو، وتخرج في عام ١٩٧٨م.

٢- الحاج محمد بلو أكرا المرحوم وإمام المسجد الجامع الكبير لأمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان بن فودي.

٣- الشيخ منصور شيخو بوطنغا إمام المسجد الجامع في الحكومة المحلية بوطنغا كلهم في ولاية صكتو. وتخرج في عام ١٩٩٤م.

**من ضباط الأمن:**

١- الضابط الوطني قائد لواء (Brigadia General) فارق يحي من سيفاوا تحت الحكومة المحلية بوطنغا، في ولاية صكتو وقائد الأمر (4- Brigade Benin City) وتخرج في عام ١٩٨٢م.

## دور كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية في تنمية الاقتصاد في صكتو.

لا شك أن هذه الكلية لعبت دورا فعّالا في تنمية الاقتصاد في ولاية صكتو وفي أنحاء الدولة النيجيرية عامة نظرا إلى إنتاجاتها. وقد صار خريجوها من العلماء والمثقفين

والقضاة وهم ذوو الثقافة العربية، والإسلامية في شتى الفنون وأدوا دورا هاما في انتشار هذه اللغة إلى البعيد لا يعلمه إلا الله.

لقد شاركت هذه الكلية في خدمة وتنمية الاقتصاد مساعدة لأبناء المسلمين، وليتمتعوا من رزق الله وليكونوا معينين لإخوانهم، وذلك أدّى إلى ارتفاع هذه الكلية الى أرقى درجات في الولاية والدولة من ناحبة التقدم وإزالة البطالة بين أبناء المسلمين.

وجدير بالذكر أن يمتثل الباحث ببعض أشجارها المثمرة التي لن تتعب إعطاء أكلها كل حين، وتحتها الأشخاص الأجلاء الذين نالوا أنفسهم وتلاميذهم وأقرباءهم وجيرانهم مع أبناء أمة مسلمة في ولاية صكتو من فقر بعدًا، ما يدل ظاهرة تنمية الاقتصاد للغاية. ومن بعض تلاميذ هذه الكلية نضرب الأمثال بهم في هذا الجهاد.

١- البرفيسو سمبو ولي جنيد الذي تخرج في هذه الكلية المذكورة في عام ١٩٦٨م، وحصل على شهادة الليسان في التربية بكلية عبد الله بايرو كنو تابعة لجامعة أحمد بلو زاريا في عام ١٩٧٥م. ثم شهادة الماجستير بجامعة خرطوم ١٩٧٩م. ثم شهادة الدكتوراه بجامعة لُنْدُنْ، ١٩٨٥م، ثم حصل على منصب البروفيسور ٢٠٠١م.

وهو محاضر بجامعة عثمان بن فودي صكتو، وأديب مشهور وأب الأدباء في ولاية صكتو، ويعدّ هذا الشيخ شخصية عظيمة، إذ كان صورة دقيقة للأخلاق الفاضلة المحمودة، ومن أبرز النتائج التي أنتجها هذا الأب الفاضل هو إشراف المتخرجين الطلاب دارسي اللغة العربية، وانتشروا في الدولة وبعض المناطق الإفريقية وأنحاء العالم عامة. فهو قدوة حسنة من زملائه في تنمية اقتصاد إنسان إذ تحته تعلم عدد من الطلاب، واستعانوا منه واستفادوا. ومن بينهم العلماء والقضاة، ومحاضرو اللغة العربية في كلتا الجامعتين، جامعة عثمان بن فودي، وجامعة ولاية صكتو. ومن تلاميذه عدد كبير لا يحصى، لكن الباحث يكتفي بمثالين من كلتا الجامعتين لكثرة عددهم.

٢- الدكتور ناصر أحمد صكتو، (أستاذ مشارك) ومحاضر اللغة العربية وعضو في جمعية الأكاديمية للغة العربية وآدبها في نيجيريا، وتحته فروع كثيرة لا تحصى بل ذهبت بعيدة نتسع رسالة هذه الكلية.

٣- الدكتور سراج محمد صكتو رئيس قسم الدراسات اللغة العربية والإسلامية، وعميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة ولاية صكتو، وأمثالهم، والوقت لا يكفيني لذكر أسمائهم وأوّد سماحتهم لذلك. نظرا إذا أعرنا بعض اهتمامنا على أسماء خريجي الكلية فالعين مزان تعادل بأن هذه الكلية دبت أبناءها تربية رازقة، وعلمهم علما نافعا في دنياهم وأخراهم، وبهم تسمى أبناء الولاية صكتو. وتنمو اقصادهم وهم اليوم في أرغد عيش وعلى كل حال، والحمد لله.

٤- البروفيسور ثاني عمر موسى، ولد في مدينة صكتو، عام ١٩٦٣م، وتلقى مبادئ علوم الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية من والده المرحوم عمر موسى، وحضر مدرسة السلطان الابتدائية صكتو، والتحق بالكلية وحصل على الشهادة الثانوية (Grand II) في عام ١٩٨١م، ثم حصل على الشهادة الإعدادية لمرحلة الليسانس في كلية الآداب والعلوم عام ١٩٨٣م، ثم شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي ١٩٨٦م، وعدم الوطن ١٩٨٦ – ١٩٨٧م، في ولاية بوثي ثم الماجستير بالجامعة الإسلامية العالمية (بإسلام باد) باكستان ١٩٩١م، ثم شهادة الدكتور بجامعة عثمان بن فودي صكتو، ٢٠٠٠م، فرّقي إلى درجة أستاذ مشارك (Reader) ٢٠٠٣م ثم إلى درجة البروفيسور، ٢٠٠٦م، حاليا في جامعة عثمان بن فودي صكتو.

لا شك كل من يقرأ تاريخ هؤلاء البرافسة يجدهم من الذين أدّوا الأمانة والمهمة إلى أهلها نظرا إلى إنتاجاتهم، وثمراتهم المنتشرة في كل أنحاء صكتو، بفضل تأسيس هذه الكلية التي تخرج منها فتحت له ولغيره أبواب الرزق والوسيلة إلى التقدّم، وأزالت لعدد من أبنائها الفقر والبطالة والكآبة والحزن تنمية دراساتهم اللغوية والتجارية، والاقتصاد، في ناحية مختلفة، وأيهما تجد الموطن الإنجليزي، يتفوق عليه الموظف العربي ذو ثقافتين ثقافة اللغة

العربية، والإنجليزية بدرجة الدين الإسلامي واحترامه يتلعلع أيها تدركه ويتمتع بكل نصيب في الدنيا من لذائذها وطيباتها لا شك على هذه الظاهرة. تدفع أبناء الدولة إلى الأمام وتنمو اقتصادها إلى أرقى الدرجات، إذا كثر فيهم السامي.

**الخاتمة:**

فها هنا وصلت هذه المقالة إلى الختام بالحمد لله خالق الألسن واللغات، الذي شرّف كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية صكتو، وجعلها خير الكلية من الكليات في نيجيريا، ووهب لها علماء كثيرين، ودعاة جمّة وغيرهم، الذين أدركوا أنها لعبت دورا هاما في تطور اللغة العربية، والثقافة الإسلامية وكذلك في تنمية اقتصاد ولاية صكتو خاصة، والدولة عامة، وتبيّن في هذه المقالة أن خريجي الكلية عدد كثير، رفعوا شعارها إلى تنمية اقتصاد ولاية صكتو مما لا شك فيه. ثم تناولت نبذة يسيرة عن تاريخ بعض خريجي الكلية الذين ساعدوا على هذه التنمية في بلدنا، تحت هذه الكلية شجرة وارفة الظلال. وأخيرا نسأل الله عز وجل أن يرفع الكلية، في خدمة الدين الإسلامي.

**النتائج:**

مما توصل إليه البحث من النتائج ما يأتي:

١ ـ إن اللغة العربية من أقدم لغة من اللغات العالمية وأكثرها انتشارا وبها تتصل علاقات الدبلومسية والتجارية والاجتماعية والسياسية، والتعليمية.

٢ ـ فاللغة العربية من مدعمات النمو الاقتصادي في العالم .

٣ ـ بينت المقالة الطرق والمجالات المهمة لتنمية اقتصاد ولاية صكتو، منها دور كلية أبي بكر غمي التذكارية. وأخراج البرافسر، والمعلمين، والقضاة، والمثقفين، ومحاضري اللغة العربية والإسلامية في بعض الجامعات، والسياسيين، وغيرهم.

**التوصيات:**

- يوصي الباحث الحكومة بتوسيع عناية كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية لتدريب الطلاب الناشئين، وتنميتهم لترسيخ أقدامهم في اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، لدورها في تنمية اقتصاد الدولة عامة، وفي صكتو خاصة.
- من المستحسن اشتراك جمعية معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية أكثر في شؤون حركات الحجاج في كل سنة لمهارتها في اللغة العربية، والإسلامية، والاتصالات وذلك يرتفع مزيد اقتصاد، والتطور والعلاقات بين الحكومات الداخلية، والحكومات الخارجية.
- ينبغي لحكومة صكتو بانتباه تام إلى شأن اللغة العربية من أسس من المدارس الابتدائية، وخاصة كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية، وكلية السلطان أبي بكر التذكارية وغيرها وعلى رأسها إدارة دراسات اللغة العربية، والإسلامية بولاية صكتو في جميع ما قلته آنفا.

**الهوامش والمراجع:**


١- الأستاذ الدكتور فرحان السليم/ اللغة العربية ومكانتها بين اللغات.

٢- سورة يوسف الآية: ٢

٣- حامد القاضي ٢٠١٣م My life and time; Baraka press and publishers Ltd Kaduna

4- Al-Huda old boys Association (A.O.B.A) brief of Sheikh Abubakar Gumi memorial college Sokoto 1996.

٥- بشير محمد تأسيس كلية أبي بكر غومي التذكارية مخطوط سنة ١٩٩٥م.

٦- عمر محمد ضابط امتحانات الكلية في قسم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية دور كلية أبي بكر غومي التذكارية في تطور اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، (٢٠١٥م)، ص: ٤- ١٣.

٧- مجموعة من أسماء خريجي الكلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية في حفلة العيد الحمسيني عام ٢٠١٣م.

٨- سمبو ولي جنيد (البروفيسور)، البيانات الموجودة في ورقة الاستبيان.

٩- ثاني عمر موسى (البروفيسور)، البيانات الموجودة في ورقة الاستبيان.

١٠- الجناري صالح بلا (البروفيسور)، البيانات الموجودة في ورقة الاستبيان.

١١- غدا أحمد موي (البروفيسور)، البيانات الموجودة في ورقة الاستبيان.

١٢- سيفاوا عبد الله محمد (البروفيسور)، البيانات الموجودة في ورقة الاستبيان.

# إسهامات الشيخ عبد الله بن فودي في التنمية الاقتصادية: كتاب النيات نموذجا

**علي محمد**

**و**

**أحمد ليمن**

**ahmadliman1@yahoo.com**

**المقدمة:**

الحمد لله القائل: {...وأحل الله البيع وحرم الربا}[١] والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن التنمية الاقتصادية حاجة إنسانية محضة، وهدف يسعى إليه الناس، وذلك أن التنمية الاقتصادية من أهم أسباب نهوض المجتمعات والدول وتقدمها، لذا حرض الشيخ عبد الله بن فودي أشد التحريض في كتابه "كتاب النيات في أعمال الدينا والدينية". فالمقالة عبارة عن بيان مفهوم الاقتصاد الاسلامي، ثم ترجمة حياة الشيخ عبد الله بن فودي العلمية والأدبية، ثم تنتقل المقالة إلى بيان مساهمة الشيخ عبد الله في مجال الاقتصاد مع تلخيص مضمون كتابه كتاب النيات في الأعمال الدنيوية والدينية.

وتتلخص المقالة في النقاط التالية:

- مفهوم الاقتصاد الإسلامي.
- نبذة عن حياة الشيخ عبد الله بن فودي.
- عرض كتاب النيات.
- مساهمة الشيخ عبد الله في التنمية الاقتصادية في نيجيريا.
- الخاتمة

**مفهوم الاقتصاد الإسلامي:**

هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم النشاط الاقتصادي للدول الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن والسنة النبوي والتي يمكن تطبيقها بما يتلائم مع ظروف الزمان والمكان. ويعالج الاقتصاد الإسلامي مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي للحياة[٢].

ومن هذا التعريف يتضح أن الأصول ومبادئ الاقتصاد الإسلامية التي وردت في القرآن والسنة هي أصول الاقتصاد والتعديل، لأنها صالحة لكل زمان ومكان بصرف النظر عن تغيير الظروف مثل الزكاة.

**نبذة عن حياة الشيخ عبد الله بن فودي:**

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فودي بن صالح بن هارون بن محمد غروط بن جب بن محمد ثمبو بن ماسران بن أيوب بن بوبَ بابَ بن موسى جكل. وموسى جكل من رؤساء قبيلة تُورَبِّ الفلاتية التي هاجرت من تمبكتو إلى فوتا تور من بلاد السنغال لوقت قديم ثم هاجروا منها إلى كنَّ من بلاد هوسا في أواخر القرن الثامن الهجري فانتشروا في بلاد هوسا.

ولد الشيخ عبد الله في يوم الاثنين ليومين مضيا من شهر جمادي الأولى سنة ١١٨٠هـ في قرية مَرْنُونَ من حكومة ولاية وُرْنُو، وقيل في مغمي من حكومة محلية سابون برني ولاية صكتو حاليا بنيجيريا. وقيل في مغمي التي في ولاية زنفرا، وقيل في طغل التي في حكومة غُدَبَاوَا ولاية صكتو حاليا، والقول الأول هو المشهور[٣].

**نشأته وتعلمه:**

وقد نشأ الشيخ عبد الله بن فودي في بيئة علمية أدبية ببيت معروف بالعلم والصلاح، وكان أبوه يلقب بفودي، ومعناه الفقيه.

وقد أخذ الشيخ عبد الله بن فودي القرآن من أبيه وبعض الدراسات الإسلامية ثم سلمه أبوه إلى أخيه الشيخ عثمان ودرس لديه كثيرا من الكتب المعروفة في المنطقة

كالعشماوي والأخضري والعشرينيات والوتريات والشعراء والكتب السنوسية وغيرها في التوحيد والأجرومية والملحة والقطر ونحوها في الإعراب، كما أخذ منه علم التصوف وعلم الحديث دراية ورواية[٤].

**عرض كتاب النيات**

هذا الكتاب من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، عنوانه (كتاب النيات في الأعمال الدنيوية والدينيات). ومخطوط هذا الكتاب يعالج قضية هامّة وحساسة لدى أي مجتمع مسلم لاسيما مجتمع يتمتع بقيادة روحية راقية وذات ثقافة إسلامية عميقة ألا وهي العلاقة بين العبد وربه، والعلاقة بينه وبين سائر العباد، أي المعاملات.

بيّن الشيخ عبد الله بن فودي في مقدمة الكتاب الغرض الأساسي لتأليفه حيث يقول: "أن تكون الأفعال كلها بنية حاضرة، وينبغي للمؤمن أن تكون همته في تخليص باطنه واستقامته، قال الله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}٥. والمعنى على الجوارح الظاهرة العبادة وعلى الباطنة الإخلاص".

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وثلاثة عشر فصلا، حيث تكلم في الفصل الأول إلى الخامس عن الأعمال الدينية، بمعنى العبادات فأتى ببيان حقيقتها وكيفية النية فيها والإخلاص.

ثم في الفصل السادس إلى الأخير ذكر المؤلف المعاملات وخاصة الاقتصادية حيث تحدث عن الحرف والصناعات والتجارات بأنواعها وكيفية النية فيها، وكذلك ذكر آدابا تلزم على من يريد نجاة في الدارين أن يحافظ عليها مثل حسن المعاملة، والمحافظة على القيم الإسلامية، والتمسك بشعائر الإسلام، وتعظيم الدين وأهله، وغير ذلك من القضايا الاجتماعية والدينية والأخلاقية.

وقد استدل المؤلف في هذا الكتاب بعدّة آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية تحثّ على الإخلاص في العبادات والمعاملات وأودعها فيه، ثمّ ذكر الخصال الذّميمة بصفة عامّة ، ويقع الكتاب في سبع وعشرين صفحة.

وأما مصادر المؤلف في تأليفه لهذا الكتاب فهو: القرآن الكريم. والحديث النبوي الشريف اللذان هما الأساسيان في كل الأمور. ثم كتاب إحياء علوم الدين لأبي الحامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي ٥٠٥هـ. ثم أقوال العلماء القدامى المؤلفين في مجال علم الفقه والتوحيد والمعاملات، وغيرها من الكتب التي استعان الشيخ عبد الله بها في تأليفه لهذا الكتاب مع أنه لم يصرح بأسماء بعضها في الكتاب.

**مساهمة الشيخ عبد الله في التنمية الاقتصادية في نيجيريا.**

١. ومن أهم الإسهام الذي قام به الشيخ عبد الله بن فودي أنه عقد ثمانية فصول في كتابه يتحدث فيها عن الاقتصاد الإسلامي وأنواعه حيث ذكر في الفصل الأول الحرف والصنائع وكيفية النية فيها وأنواعها. وفي الفصل الثاني تحدث عن صناعة الغزل والنسج وكيفيتها وما يطرأ فيهما من المحرمات والموانع الشرعية.

وفي الفصل الثالث والرابع والخامس أتى بيان الخياطة، والنسخ وكيفيتهما، ثم أخيرا ذكر صناعة تجليد الكتب وقال: إنها من أهم الصنائع في الدين إذ بها تصان المصاحف وكتب الحديث والعلوم الشرعية.

ثم في الفصل السادس إلى الأخير تكلم المؤلف عن التجارة العامة أمثال التجارة من بلد إلى آخر، حيث نبه التجار على خصال محمودة يجب أن يتخلقوا بها في سفرهم، وخصال مذمومة يجب اجتنابها، كل ذلك للحصول على الخيرات والربح العظيم.

والهدف الأساسي من عقد هذه الفصول كلها هو الإسهام في التنمية الاقتصادية في نيجيريا وما جاورها.

٢. الدخل: من الكوادر الأساسية التي بها يتقدم كل الدول، إذ لا يمكن للدول أو الفرد والمجتمع أن يستقر في أي شيء إلا إذا كان له مصدر مالي يعتمد عليه، ويستطيع به قضاء حوائجه اليومية. وفي هذا المجال أن الشيخ عبد الله بن فودي قد أوجد تأليفات التي تطبع في المطابع المختلفة حتى توسعت المطابع، والناس يهتمون بشراء الكتب والأقلام وتصوير

المذكرات، وشراء النبد للانترنيت للبحث العلمي لأن مؤلفاته موجودة في الانترنيت وكل هذه الأشياء مهمة جدًا في التقدم والتنمية الاقتصادية في نيجيريا.

٣. النهي عن التبذير: إن الإسلام حرم استهلاك الأموال في المحرمات وحرم الخمر والمسكرات بجمع أنواعها، فقال عز وجل في محكم تنزيله: {ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما}[٦]. إن الشيخ عبد الله بن فودي فسر هذه الآية الكريمة في كتابه "ضياء التأويل في معاني التنزيل بقوله:{يسألونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار}، فقل: "إن فيهما ضررًا كبيرا من إفساد الصحة وذهاب العقل وتلف الأموال وإثارة البغضاء والعدوان بين الناس.

٤. علاج المشكلات الاقتصادية: تعتبر المشكلة الاقتصادية في النظام الاقتصادي هي جوهر علم الاقتصاد، فالإنسان منذ أن وجد على هذه الحياة وهو يحاول ويعمل من أجل تحقيق حاجاته الأساسية وتحقيق رغباته المتزايدة والمتطورة، وفي الإسلام كان الاهتمام بالفكر الاقتصادي جليا وواضحا ففي بداية نزول القرءان الكريم نجد قوله تعالى: {فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}[٧]. فهذه الآية الكريمة تربط بين الأمن والاقتصاد، {أطعمهم من جوع} والأمن أساسي {آمنهم من خوف}، وذلك لأهمية التنمية الاقتصادية وتأثيره المباشرة على كافة نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والعملية، ومن المؤكد أن جوهر التنمية الاقتصادية القضاء أو محاولة معالجة المشكلة الاقتصادية.

**الخاتمة:**

وفي الختام تبين فيما تقدم ذكره أن الاقتصاد هو العنصر الأساسي في تقدم كل دولة، وبدونه لا يتمكن التقدم وإنجاز ما هو عليه، وتحقيق الأغراض والأهداف، ولذا، إذا اعتبرنا فيما كتبه الشيخ عبد الله بن فودي في كتاب النيات أتى بأشياء مهمة جدا التي تتحقق بها التنمية الاقتصادية وتتم مكافحة الفقر في نيجيريا.

**الهوامش والمراجع:**

١. سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
٢. فقه المعاملات المالية في الإسلام، الشيخ حسن أيوب، القاهرة، دار التوزيع والنشر، سنة: ١٩٩٨.
٣. عمر محمد بوي، توصيح الغامضات، للشيخ عبد الله بن فودي، بلا تاريخ. ص١٠.
٤. الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك، أساليب البلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، سنة ٢٠٠٠م، ط:٢، ص ٢٥.
٥. سورة الماعون، الآية ٤.
٦. سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
٧. سورة القريش، الآية: ٣.

# دور الخطابة العربية في توفير الأمن الوطني:
# قراءة فنية في إحدى خطب الإمام عمر محمد بغاراوا

**سليمان محمد بلّو**
**sulaimanmuhammadb@gmail.com**
**و**
**منير محمد بكورا**

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

وبعد، فمن المعلوم أن للخطابة في اللغة العربية دورا كبيرا وأهمية قصوى في حياة الناس، وذلك لما لها من وقع وتأثير قويّ في حياتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومما يدل على ذلك قديما ما حدث في غزوة حنين لما آثر رسول الله – صلى عليه وسلم – بعض من المسلمين حيث وزع لهم الغنيمة التي وجدت، فكان الصحابة يتكلمون ويتحدثون عن ما فعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجمعهم سعد في مكان واحد فقام فيهم الرسول وألقى الخطب حتى أقنعهم ورضوا بما فعله وفهموا الحمكة التي إلى إيثارهم بتلك الغنيمة، وعلى هذا أصبحت الخطبة سلاحا بتارا يستعمل في تحقيق الأهداف والأغراض في مناسبات شتى.

ولقد كان الإمام عمر محمد بغاراوا أديبا بارعا، وفارسا من فرسان الخطابة في ولاية صكتو حاليا، وكان له تأثير على المجتمع الإسلامي في داخل صكتو وخارجها، كما أن له إنتاجات وأدوارا فعالا في تكوين الطلاب وتثقيفهم بالثقافة العربية الإسلامية في ولاية

صكتو حيث أصبح رئيس مجلس الشيوخ فرع ولاية صكتو، وكان لهذا نشاطات يقدمه للمجتمع، كان الإمام يلقي الخطب في مناسبات متباينة، وفي موضوعات مختلفة، ومعظم خطبه مهيأة يلقيها في منبر مسجد معهد السلطان محمد مثطو لتحفيظ القرآن والدراسات العامة.

هذا، مما جذب انتباه الباحثين إلى كتابة هذه المقالة بعنوان "دور الخطابة العربية في توفير الأمن الوطني: خطبة الإمام عمر محمد بغاراوا نموذجا" بغية إبراز ما في هذه الخطبة من الجمال الفني، والسحر البياني. وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

- الخطابة لغة واصطلاحا
- التعريف بالخطيب
- عرض الخطبة
- القيم الفنية في الخطبة
- الخاتمة
- الهوامش والمراجع

**الخطابة لغة واصطلاحا:**

كلمة الخطابة مكونة من ثلاثة أحرف وهي الخاء والطاء والباء وتدل على معان كثير في اللغة العربية منها: الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك. وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى: "لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء".

والخطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة. خطبت على المنبر خطبة بالضم وخطبت المرأة خطبة بالكسر.

وقيل: من "خاطب يخاطب مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق "الخطبة" بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين".[٤]

وقد ذكر الرازي أن خطبا مكونة من ثلاثة أحرف كما سبق وقال: "الخَطْبُ سبب الأمر تقول ما خطبك قلت قال الأزهري أي ما أمرك وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خُطُوبٌ انتهى كلام الأزهري. وخاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً وخَطبَ على المنبر خُطْبَةً بضم الخاء وخَطَابَةً وخَطَبَ المرأة في النكاح خِطْبَةً بكسر الخاء يَخْطُبُ بضم الطاء فيهما"[٥].

وأما في الاصطلاح، فهي: "مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام وجيز". وقيل: "كلام يحاول به إقناع أصناف السامعين، بصحة غرض، يقصده المتكلم لفعله أو الانفعال به"[٦].

وتعريف آخر أن الخطابة هي: "فن من فنون الكلام، يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا".[٧]

والخطبة قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها، وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد على المشافهة، ومخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد على الاستمالة وإثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت، وبث حماسهم عند اللقاء، وحملهم على ما فيه هدايتهم وصلاحهم.

**التعريف بالخطيب:**

ولد الأستاذ عمر محمد بغاراوا في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ الموافق لعام ١٩٥٨م، وكانت ولادته في قرية تسمى بِـبَغَارَاوَا وتقع هذه القرية في حكومة بوطنغا المحلية بولاية صكتو.

وأما نسبه فهو الأستاذ الخطيب عمر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن بلكو، وبلكو هذا هو أول من سكن في ذلك المكان المسمى ببغاراوا وذلك في عهد الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، ولما زار الشيخ القرية بايعه الشيخ بلكو ومن معه على اتباع الكتاب والسنة[٨].

نشأ الخطيب عمر محمد بغاراوا في بيئة اشتهرت بالعلم، والتقوى، والعفاف، والتمسك بشعائر الإسلام، ومما يؤيد هذا القول كون الخطيب نبغ في تلك القرية التي كانت مليئة بالعلماء العباقرة منذ زمن الشيخ عثمان بن فودي.

تعلم القرآن على يد والده الكريم المرحوم محمد الملقب بطن قرمي، فمنذ ذلك الحين شرع يدرس فنون العلم حيث تلقى من الوالد مبادئ علوم الدين الإسلامي أمثال: كتاب الأخضري، والعشماوي، والمقدمة العزية، ومتن الرسالة لأبي زيد القيرواني، وغيرها من الكتب الفقهية، وأما كتب اللغة فقد درس الخطيب كتبا شتى في ميادن متابينة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغيرها من علوم اللغة العربية[٩].

ومن أساتذة الخطيب عمر محمد بغاراوا الأستاذ مصطفى هباري الذي تلقى منه علوم البلاغة والصرف، والشيخ محمد غندو وعنده أخذ الخطيب مبادئ علم الفرائض وكتاب تحفة الحكام في القضاء، ومن شيوخه أيضا الشيخ ما لم شيخو طَنْ دُرِمِي، والشيخ غُوبِرَاوَا، حيث تعلم عندهما علم الحساب[١٠].

هكذا واصل الخطيب عمر محمد بغاراوا السير في تلقي العلم من أفواه علماء زمانه، ينتقل من شيخ إلى شيخ ومن مدرسة إلى أخرى، ولم يترك عالما اشتهر بالعلم في هذا الزمان إلا زاره وناقش معه وأخذ نصيبه منه.

وإذا ما انصرفنا إلى المدارس الحديثة، نجد أن الأستاذ عمر محمد بغاراوا قد أدلى دلوه فيها حيث التحق بكلية السلطان أبي بكر صكتو، سنة ١٩٧٩ميلادية، وتخرج منها سنة ١٩٨٤ ميلادية حامل الشهادة الثانوية في الدراسات العربية والإسلامية، وفي عام ١٩٨٥ ميلادية وجد القبول في كلية الآداب والعلوم المعروفة الآن بكلية التقنية والعلوم صكتو، التحق بكلية الشيخ شاغاري للتربية عام ١٩٩٠ ميلادية حيث حصل على شهادة التربية، وهكذا واصل الخطيب دراسته الحديثة حتى وجد القبول في جامعة عثمان بن فودي صكتو، قسم اللغة العربية عندما تخرج بشهادة الليسانس في اللغة العربية[١١].

**أهم مناصبه:**

لقد تولى الأستاذ عمر محمد بغاراوا المناصب في ولاية صكتو، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على تفوق الخطيب وكونه صاحب علم وثقافة، ومن المناصب التي تولاها ما يلي:-

أ- رئاسة مجلس العلماء النيجيري، فرع ولاية صكتو.

ب- نائب الإمام بمسجد معهد السلطان محمد مثطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو.

ت- ناظر القسم الابتدائي لمعهد السلطان محمد مثطو للقرآن والدراسات العامة صكتو سابقا.

ث- عضو فعال في منظمة جماعة المسلمين فرع ولاية صكتو.

**نص الخطبة الأولى:**

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فأيها الناس، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب. واعلموا أن التقوى أساس الأمن والأمان، وبها يشرف المؤمن وينبل، وبتركها يذل العبد ويسفل.

عباد الله، إن الأمن والأمان مطلب الشعوب والمجتمعات، وضالة الأمم والجماعات، ولا غرو وقد صح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من أصبح مؤمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" رواه الترمذي.

جاءت الشريعة الإسلامية بالعقوبات الصارمة، والحدود الحاسمة، استتبابا للأمن ومنعا للوهن، ولذا غضب النبي – صلى الله عليه وسلم – على أسامة عند ما شفع في حد، فقال: "وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" أخرجه البخاري.

إن كل مواطن –رجلا كان أو امرأة– ينبغي أن يكون رجل أمن وجنديا يدافع عن وطنه ومجتمعه. فأول الواجبات الأمنية، البعد عن الشرك بالله في ربوبيته وألوهيته، أو حكمه. فيجب علينا أن نكون يقظين حذرين يقول الشاعر:

وحسن ظنك بالأيام منقصة *** فظن شرا وكن منها على حذر

وحاصل الأمر – عباد الله– أنه ينبغي أن ننظر إلى الحقيقة الأمنية من أوسع أبوابها وأقرب الطرق الموصلة إليها.

اللهم آمنا في أوطاننا وبلادنا وقنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن. عباد الله فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله على آلائه، والشكر على نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير خلقه، وسيد رسله وأنبيائه. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فأيها المسلمون، إن من أهم الوسائل الموصلة إلى الراحة الأمنية، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك عماد الدين ومهمة الرسل، فيجب على أفراد الأمة عموما، وأهل العلم خصوصا، أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقوم ولاة الأمور بتطبيق العدل الشامل، وأن يحذر الصحفيون من بث الأخبار التي تزعزع الأمن والاستقرار، وأن لا يتهاون رجال الأمن وأجهزته، باستتباب الأمن والسلامة، واجتناب ما يبعث القلاقل والندامة. ويجب أن يقوم الأغنياء بأداء الزكاة، وإيجاد فرص الأعمال، كما ينبغي إنشاء الجمعيات الخيرية لكفالة الأيتام والأرامل والمعوزين، وضمانة العجزة والعاطلين.

اللهم وفقنا لما فيه الخير والصلاح، اللهم إنا نسألك العفو والعافية. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

**مضمون الخطبة:**

تضمنت الخطبة أمورا كثيرة لكن الخطيب افتتحها كعادة الخطباء المسلمين، فبدأ بالحمد والثناء والتعظيم على الله وتبارك وتعالى، ثم صلّى وسلّم على خير من بعثه الله رحمة للعالمين وذلك تشيدا لعظمة الله – سبحانه وتعالى – ورسوله وتبركا بهما، ومن هنا أتى الخطيب بكلمة: "أما بعد" لينتقل إلى الغرض المنشود والسبب لإلقاء هذه الخطبة أمام السامعين وليبين لهم مدى استعداده للعنوان الذي سيذكره، وهذا العنوان هو بيان أهمية الأمن والأمان وأنهما سببان لتنمية الاقتصاد في الدولة، ومهما توفر لدولة الأمن والأمان. فقد توفر فيها أسباب التنمية الاقتصادية وذلك لأسباب ذكرها الخطيب، ومن الأسباب التي ذكرها "التقوى" وهي مفتاح كل الخيرات والسبيل التي توصلك إلى وجود كل المطلوبات في الدنيا والآخرة، وهي الجسر الذي ينقذك من الهلاك إلى الهداية والرشد، وهي التي تخرج الإنسان من الضيق والمعزق والنكد والهم والحزن والغم، فالتقوى أمرها عظيم وشأنها كبير. أليست هي التي ذكرها في كتابه قائلا في محكم تنزيله: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب". فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن التقوى سبب لوجود المخرج من كل ضيق وكذلك دليل للحصول على الرزق من الله – سبحانه وتعالى – من حيث لا يتوقعه الإنسان، لذلك ذكرها الله في مواطن عديدة من كتابه الكريم، لذلك عندما افتتح الخطيب الخطبة أوصى نفسه وغيره بلزوم التقوى والتمسك بها وذلك لأنها أساس الأمن والأمان وسبب لوجود مكافحة الركود الاقتصادي، والتخلق بها مطلوب من الشعب والمجتمع وهي ضالة الأمم ومن هنا اقتبس نصا من نصوص الأحاديث التي تبين أهمية الأمن والأمان حيث يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه: "من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"[١٢].

أجاد الخطيب في الخطبة عندما ذكر الشرط الثاني من شروط وجود الأمن في الدولة والتنمية الاقتصادية، وذلك باجتناب الشرك بالله سبحانه وتعالى، لأنه أساس الشر كله وبه يدخل الإنسان النار، وبه يخسر الدنيا والآخرة فهو نقيض للنقطة الأولى التي ذكرها الخطيب، كما أن الشرك يكون سببا لهلاك الأمة أو نزول الفتنة، فحيث خلت الأمة من الشرك والظلم كان هذا دليلا لوجود الأمن والرزق والهداية والاستقامة من الله سبحانه وتعالى وعلى هذا يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم".

ومما ذكره الخطيب من أسباب وجود الأمن ومكافحة الكساد الاقتصادي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهما عماد الدين ووظيفة الرسل، فيجب على أفراد الأمة الإسلامية القيام بأداء واجبها نحو الأمر والإرشاد والنهي عن المنكر، فهما من اللبنة الأسياسية لوجود التنمية في الرزق، وهذا يكون في المسجد كما فعل الخطيب، ويكون في السوق، ويكون في المدرسة والجامعات وفي مناسبات شتى، فأين ما وجد الإنسان نفسه فيجب عليه أن يرشد الأمة الإسلامية إلى ما فيه الصواب والنجاح والتوفيق، وأن يحذرها مما فيه سوء العاقبة ويدنس مروءة المسلمين جميعا، ومما يؤكد هذا القول ما ذكره الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حديثه قائلا: "والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[١٣]. ويفهم من الحديث السابق أن الأمة الإسلامية إذا لم تقم بحقها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا يسبب تفرقها وتمزقها واختلاف بعضها على بعض.

**الظواهر الفنية:**

تكمن قيمة الظواهر الفنية في تصوير المعاني المعبر عنها لدى الخطيب وذلك ليشخص لسامع والقارئ الهدف المقصود، وعلى هذا يرى الباحثان أن الخطيب أحسن في استعمال بعض من الظواهر الفنية.

**الألفاظ:**

استخدم الخطيب الألفاظ المناسبة للمعنى المعبر عنها، ولأهميتها "جعل الشأن كله للصياغة اللفظية وجودة السبك"[١٤]. ولقيمتها سبك الخطيب خطبته بألفاظ جزلة متوخيا المعنى المطلوب من كل لفظة، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: "إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتنوّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولُها، ولا يتعبك تطلّبها، واعمله ما دمت في شباب نشاطك"[١٥]. وقد ذكر الخطيب كلمات في غاية الجودة منها قوله: "الأمن" و"الشعوب" و"التقوى" و"يدافع" "قوت" و"الناس" و"الدفع" و"الفتن" "العدل" و"الشامل" و"السلامة" و"الأغنياء" وغيرها من الألفاظ المختارة في قمة الجودة فلو شاء لعدل عنها إلى ألفاظ أخرى غير هذه. فمثلا كلمة "التقوى" أكثر وقعا في الأسماع والمشاعر من "الخشية" فلو شاء الخطيب لأتى بغيرها ولو أتى بها لما تأثرت في ذهن السامع والقارئ كما تأثرت تلك، لأنها تفيد معنى الخشية والخوف في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. وكذلك كلمة "الدفع" التي تدل على الرد والنهي والحجز في استعمال ما يكره، وخاصة إن كان العمل يجلب المشقة للأمة وعلى هذا يرى الباحثان أن الخطيب آثر هذه اللفظة ليدل على أن قيام الناس بواجبهم تجاه الأمة يكون سببا في وجود التنمية الاقتصادية، ولهذا ذكر ابن الأثير مقولة جيدة تردد على ألسنة الناقدين: "ومن هنا فلينعم الخائضون في هذا الفن نظرهم ويعلموا أن في الزوايا خبايا وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال وأغرقوا في الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب"[١٦].

ولو تتبعنا ما ذكره الخطيب من الكلمات الرائعة لوجدنا أن لكل كلمة وقع في الأسماع ومناسبة في محلها، كما يدرك غاية تبحر الخطيب في معاجم اللغة العربية.

**التراكيب:**

استخدم الخطيب أساليب متعددة في خطبته، وذلك لهدف يريده في الدلالة الوضعية من الكلام، حيث يعدل عن إحدى الجملتين إلى الأخرى لضرب من التأكيد والمبالغة، ويظهر ذلك في النماذج التي أتى بها الخطيب من الجملة الاسمية والفعلية والتقديم والتأخير.

ومما استخدمه الخطيب في التراكيب، الجملة الاسمية، حيث افتتح القصيدة بأداة التوكيد فقال في المطلع: "الحمد لله" استعمل الشاعر الجمل الاسمية بكثرة في الخطبة وذلك لما تفيده من الدلالة الثابتة، فقصد بذلك التأكيد والمبالغة باستعمال الجملة الاسمية أولاً لما فيها من مؤكد وإثبات الثناء لله على الله – عز وجل – على وجه الكمال.

ومما أجاده الخطيب كذلك افتتاحه بجملة اسمية لما لها من مبالغة ووقع في أذهان السامعين، فقال: "إن الأمن والأمان مطلب الشعوب والمجتمعات" أفاد الخطيب استقرار الأمن والأمان فيهما بحيث يفعل كل إنسان ما يلزمه من أداء ما عليه من الحقوق، وعلى هذا يرى الباحثان أن الخطيب أحسن في التعبير بالجملة الاسمية لما تفيده من الدوام والثبوت، فأراد أن يثبت للقارئ والسامع مدى وجود تحقق الأمن والأمان في المجتمع.

تناول الخطيب كثيرا من الجمل الفعلية كما استخدم الجمل الاسمية، وذلك لما تفيده من التجدد والاستمرار فقال: "اعلموا أن التقوى" و"غضب النبي" و "جاءت الشريعة الإسلامية" و"يتق الله" و"يقوم ولاة الأمور" والتعبير بالأفعال الماضية "جاءت" "غضب"، وغيرها مما ذكره الخطيب في الخطبة يعد جانبا من جوانب فنية دالة على زوال حدث قد وقع، وتحقيق أمر قد مضى، أجاد الخطيب أيضا في اختيار الصيغ الفعلية لأنها توحي إلى ما حدث أمره.

ومما أحسن الخطيب استعماله صيغ الفعل المضارع في عبارات شتى، منها "يتق" و"ينبغي" و"يشرف" و"يذل" و"يحذر" وغيرها من هذه الصيغة لأنها تختلف في المعنى عن

صيغ الفعل الماضي، لأن المضارع يفيد الاستمرار والتجدد بينما ذاك لا يفيد التجدد في المستقبل.

ومما أجاده الخطيب في الخطبة تنوع الأسلوب، فكان يستخدم الأساليب الخبرية تارة والإنشائية تارة أخرى، وهذا مما يجذب انتباه السامع، ويحرك فكرته، ويدعو السامع أو القارئ إلى المشاركة بوجدانه وأحاسيسه، وعلى هذا استعمل الخطيب كلتا الظاهرتين في خطبته في أماكن متباينة، ومن الأساليب الخبرية التي استخدمها الخطيب قوله: "إن ذلك عماد الدين، ومهمة الرسل" و"أول الوجبات الأمنية، البعد عن الشرك بالله" وغيرها. وأما الأساليب الإنشائية فتتمثل في قوله: و"كن منها على حذر" و"حسن ظنك بالأيام" وغيرهما.

**الموسيقى:**

لما تتبع الباحثان النظر في الموسيقى، أدركا أنها تنقسم إلى داخلية وخارجية، لكن نخص الموسيقى الداخلية بالدراسة حيث أنها تتمثل في التكرار والطباق والمقابلة والسجع، والتكرار هو "أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أم مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده[١٧]" ويأتي لأغراض كثيرة منها: التأكيد، وزيادة تنبيه، والتجديد للعهد، والتعظيم والتعجب وغير ذلك، أجاد في تكرار الكلمات بدون اختلاف المعنى بل توكيدا لشأنها فقال: "الأمن والأمان" ذكر الخطيب كلمة "الأمن" ثم كرر بعدها كلمة "الأمان" ذلك توكيدا لطلب وجود استقرار الأمن في الدولة بدون انفجار القنبلات التي تقتل الأفراد والجماعات، وتسبب تدمير الأماكن الشامخة التي لها ذكر في التاريخ.

ومما أحسنه الخطيب في هذه الظاهرة تكرار الكلمات بألفاظ مختلفة لكنها تؤكد المعنى في صورتها الأصيلة فقال: "جاءت الشريعة الإسلامية بالعقوبات الصارمة، والحدود الحاسمة" كرّر في العبارة ألفاظ "العقوبة" و"الحدود" توكيدا لمعنى العقوبة التي بسببها يمتنع المجرم من الوقوع في حد الآخرين إما بالسرقة أو الغصب، أو الخيانة وغيرها. كما كرر لفظة "الصارمة" و"الحاسمة" فهاتان الكلمتان تختلفان في النطق وتتفقان في المعنى إذ أن كل واحدة

منهما تفيد معنى القطع والإزالة والإبعاد عن الشيء، كررها الخطيب توكيدا للمعنى المراد في إثبات نفوذ الأحكام الشرعية لكل من وقع في حد من حدود الله.

ومما أجاده الخطيب تكرار كلمة "التقوى" أكثر من مرة فقال: "أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب. واعلموا أن التقوى أساس الأمن والأمان، وبها يشرف المؤمن وينبل، وبتركها يذل العبد ويسفل" إذا نظرنا إلى العبارة السابقة نرى أن كلمة "التقوى" كررت لهدف يقصده الخطيب وهو التمسك والأخذ بمعناها والتجنب عن نقيضتها.

وأما المقابلة فهي: "الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر[١٨]" أحسن الخطيب في استعمال الظاهرة حيث قال: "يشرف المؤمن وينبل، وبتركها يذل العبد ويسفل" قابل الخطيب بين كلمة "الشرف والنبل" و"يذل ويسفل" وكلاهما نقيض للآخر، مع أن الخطيب يقصد بهذه المقابلة إظهار ما فيها من العزة والكرم، وما يلزم من صاحب عكس التقوى، وقد أوجدت المقابلة نغما وموسيقى في ذهن السامع.

ومن الموسيقى الداخلية أيضا ظاهرة الطباق وهو: "مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان[١٩]" طابق الخطيب بين لفظتي "العموم" و"الخصوص" الأولى معناها الشمول، بينما الثانية تدل على الاختصاص بشيء ما، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدعوة والقيام بها أمر يهم به العلماء دون غيرهم.

**الخاتمة:**

فيما سبق عرض موجز عن "دور الخطابة العربية في توفير الأمن الوطني خطبة عمر محمد بغاراوا نموذجا" حيث تناول الباحثان عرضا عن مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحا، ثم تحدثا أيضا عن مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا، وعلى هذا واصل الباحثان في ذكر نبذة مختصرة عن حياة الخطيب من حيث مولده، ونشأته وعلماؤه وإنتاجاته، وبعد ذكر هذه المعلومات قاما بعرض الخطبة مع ذكر مضمونها، ومن هنا ركزا على الظواهر الفنية من

الأسلوب والألفاظ والتركيب، وبعد الظواهر أتى الباحثان بالموسيقى من حيث التكرار والمقابلة والطباق.

توصل الباحثان من خلال هذه الدراسة على النتائج التالية:

- الخطيب عمر محمد بغاراوا من الذين برعوا في صناعة الخطب، حيث اتخذها سلاحا باترا لمقاومة الأخلاق الرذيلة.
- أن للخطبة المنبرية دورا مهما في توفير الأمن الوطني.
- براعته في صناعة الكتابة باللغة العربية.
- بث الثقافة العربية والإسلامية في أماكن شتى من مساجد ومؤتمرات، وندوات وغيرها.
- أن أسلوب الخطيب في الخطبة سهل جدا بحيث يفهمه السامع والقارئ، وخاصة في اختيار الألفاظ التي تدل على المعنى المناسب.

**الهوامش والمراجع:**

١- الأزهري، **تهذيب اللغة**، الجزء الثالث، المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، ص١٤٩.

٢- ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، ص٣٥٣.

٣- راجع: **mawdoo3.comd** يوم الإثنين الخامس عشر من شهر سمتمبر ٢٠١٧م الساعة ٥:٥١مساء.

٤- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية – بيروت ج١، ص١٧٣.

٥- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان – بيروت، (طبعة جديدة)، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر، ص١٩٦.

٦- ابن عاشور، محمد الطاهر، **أصول الإنشاء والخطابة**، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، ص١١٨.

٧- بيومي، مصلح سيد، الدكتور، **الخطابة في الإسلام**، بدون بيانات النشر، ص١١.

٨- راجع، موقع عبد الرحمن عمر بغاراوا بعنوان: www.elbagarawee.com تاريخ الزيارة يوم الجمعة ٢٠١٧/٠٩/٢٨م، الساعة ٩:٠٠صباحا.

٩- بغاراوا، عمر محمد، **سيرته الذاتية**، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، بجامعة عثمان بن فودي،صكتو، عام ١٩٩٦م، ص٤، بتصرف من الباحثين.

١٠- المرجع نفسه، ص٤.

١١- المرجع نفسه، ص٥.

١٢- ابن الأثير، نصر الله محمد الموصلي، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، الجزء الثالث، دار النهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع، ص٥٠.

١٣- الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، باب في التوكل على الله عز وجل، رقم الحديث ٢٣٤٦، ص: الجزء الرابع، ص٥٧٤.

١٤- الترمذي، المرجع السابق، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٢١٦٩، الجزء الرابع، ص ٤٦٨.

١٥- بدوي، أحمد أحمد، الدكتور، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٥٧.

١٦- ابن الأثير، الجزء الأول، مرجع سابق ص٢٧٦.

١٧- المرجع نفسه، ص٢٧٦.

١٨- أحمد مطلوب، الدكتور، **أساليب بلاغية الفصاحة وبلاغة المعاني**، الطبعة الأولى، ص٢٣٤.

١٩- ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده**، الجزء الأول، المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، ص ١١٢.

# تأثر لغات إفريقيا باللغة العربية: هوسا وفلفلدي نموذجا

**عبد الله غربا إبراهيم**
**garbaabdullahi89@yahoo.com**

**المقدمة:**

على الرغم من أن تأثير اللغة العربية في لغات إفريقيا من الأشياء المعروفة، إلا أنه قد ظل هذا التأثير محصورا في حقول معجمية معينة، فالكثير من ألفاظها التي دخلت في تلك اللغات اندمجت فيها وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها.

وقد احتفظت بعض هذه الألفاظ بدلالتها بل ونطقها الأصلي، بينما دخل تغيير طفيف على دلالة ونطق ألفاظ أخرى. ويرجع دخول الألفاظ العربية على اللهجات الأفريقية عموما والغرب أفريقية على وجه الخصوص إلى احتكاك العرب بمتحدثي هذه اللغات، وتأثرهم كذلك باللغة العربية التي هي لغة الدين الإسلامي.

وقد جاء هذا البحث المتواضع الموسوم بـ"أثر اللغة العربية في لغات إفريقيا – هوسا وفلفلدي نموذجا" لينظر في أثر ذلك الاحتكاك وتداخل اللغات الإفريقية أو كيف انصهرت العربية في لغات إفريقيا وخاصة لغتي الهوسا وفلفلدي، وتمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور مع اعتماد المنهج التاريخي والتحليلي لبلورة الدراسة كما يلي.

**المحور الأول: وصول اللغة العربية إلى المناطق الإفريقية**

الذين تحدثوا عن وضع اللغة العربية ومكانتها في إفريقيا كثيرون وجل هؤلاء باحثون عرب، ركزوا حديثهم على تاريخ وعوامل انتشار اللغة العربية في إفريقيا وتأثيرها على لغات شعوب القارة الإفريقية، وربطوا ذلك كله بالإسلام.

والواقع أن جذور العلاقة بين اللغة العربية وبين عدد كبير من اللغات الإفريقية ترجع إلى آلاف السنين قبل الإسلام، وهي علاقة لا تنحصر في التأثير والتأثر، كما يعتقد هؤلاء

الباحثون، بل هناك ما يكفي من الأدلة اللغوية التي تؤكد أن في أعماق هذه العلاقة تكمن صلة رحم بينهما.

وأما ما يهمنا في هذه الدراسة، فهو كشف اللثام عن تأثر اللغة العربية بلغات هذه القارة خاصة لغتي هوسا وفلفلدي، ولكن قبل الحديث عن هذا سنمهد بالكلام حول كيفية وصول اللغة العربية إلى المناطق الإفريقية وعواملها كما يلي.

**هجرات القبائل العربية:** تدفقت موجة الهجرات الجماعية المتتالية التي توافدت على القارة الإفريقية نتيجة للقحط والجفاف الذي كانت تمر به الجزيرة العربية وبلاد اليمن، مما أدى بالعديد من القبائل العربية إلى الهجرة إلى الأراضي الإفريقية بحثا عن الماء والكلأ، وخاصة شرق أفريقيا، حيث أسسوا مراكز ومدنا تجارية على امتداد الساحل وجزره ابتداء من مقديشو مروراً بهرر وممبسا وكلوا وباتي وزنجبار ومالندي وجزر القمر والتي كانت تأتي مباشرة من الجزيرة العربية وبلاد اليمن وكان لها تأثير كبير في نشر مفردات اللغة العربية بين أبناء سكان القارة الإفريقية.

- **دور التجار العرب والمسلمين:** ساعدت حركة التجار على شيوع الألفاظ العربية خاصة ما يتعلق منها بالنواحي التجارية وعلى الأخص أسعار البضائع والسلع[١].

- **اعتماد العربية لغة المكاتبات والدواوين الرسمية:** أصبحت اللغة العربية لغة المراسلات بين الناس إثر استخدامها رسميا في الدواوين: ويورد لنا القلقشندي نص رسالة أرسلها سلطان برنو عام ١٣٩١م إلى سلطان مصر، تدل على تمكن الأول من اللغة العربية أو على الأقل تمكن موظفي حكومته الذين كتبوا الرسالة بالعربية[٢].

- **كون اللغة العربية لغة العلم والثقافة:** ظلت العربية لغة العلم والثقافة – دون منافس– في الدول الإفريقية، حتى التاريخ القومي لبلادهم كتبوه باللغة العربية مثلما فعل المؤلفون أمثال السعدي والتنبكتي ومحمود كعت[٣].

– **المصاهرة:** أدى التآلف الاجتماعي إلى التصاهر والمزاوجة بين الوافدين العرب والأفارقة، فنتجت عن ذلك أجيال تحمل السمات العربية في حياتهم الاجتماعية والفكرية والثقافية.

– **دور العلماء والفقهاء العرب:** هناك مجموعة من العلماء الذين قدموا لتدريس العلوم الدينية في الزوايا العلمية الكبرى في إفريقيا وكان لذلك دور كبير في نشر وتعليم اللغة العربية بين أبناء القارة الإفريقية.

كل هذه العوامل ساعدت على انتشار اللغة العربية في أوساط القارة الإفريقية وقدمت الحرف العربي للغات الإفريقية الذي مكنها من دخول عالم اللغات المكتوبة، والذي من خلاله تمكنت من القيام بدورها في التعبير عن آدابها وإيصال العلم والمعرفة لمجتمعاتها واللغتان الفلانية والهوساوية من بينه.

**المحور الثاني: اللغة الهوسوية**

**مدخل : أصل لغة الهوسا وتسميتها:**

تعتبر لغة شعوب الهوسا من أكبر اللغات الأفريقية وأكثرها انتشارا في القارة الأفريقية بعد اللغة العربية. ويطلق أهل الهوسا على أنفسهم: هوسا باكوي والهوساوا والهوساس، فكلمة الهوسا تعني عندهم اللغة والناس.[٤]

ويتفق عدد من المؤرخين على أن لكلمة هوسا مدلولا لغويا أكثر من أن يكون عرقيا، وأن الهوسا في حد ذاتها ليست قبيلة بقدر ما هي أمة تنضوي تحتها عشرة أقاليم لسانهم واحد، وعلى كل إقليم أمير يسير أمور إمارته. وهذه الأقاليم أوسطها كاتنة، وأوسعها زكزك، وأجدبها غوبر وأبركها كنوا ويتواجد الهوساويون في مساحة جغرافية واسعة في كل من ليبيا، والسنغال، والسودان، والنيجر، وتشاد، ومالي، وبوركينافاسو، وبنين، وغينيا كوناكري، وغامبيا، وغينيا بسياو، وسراليون، وليبيريا، وساحل العاج، وغانا، وتوجو، ونيجيريا، والكاميرون، وأفريقيا الوسطى، وأرثيريا، وأثيوبيا وأدى هذا الانتشار الواسع لمناطق

الهوساويين إلى وجود أكثر من مائتي وثمانين مليون نسمة في أفريقيا يتحدثون الهوسا، وللغة الهوسية لهجتان رئيستان هما[٥]:

– اللهجة الغربية ويتكلم بها أهل صكتو وتنتشر في المناطق الشمالية الغربية من نيجيريا والنيجر، وهي أشد محافظة على الأنماط اللغوية القديمة.

– اللهجة الشرقية ويتحدث بها أهل كنوا، وتنتشر في الأجزاء الشرقية من نيجيريا والنيجر، وهي التي وقع عليها الاختيار على أن تكون لهجة فصحى بالرغم من مرورها بعدة تغيرات بقصد تبسيطها نظراً لكثرة استعمالها من قبل غير المتحدثين بها.

ونتيجة لانتشارها الواسع صارت لغة التفاهم بين القبائل الأفريقية المتحدثة بها وقد عمق انتشار اللغة الهوسية وضعية المتحدثين بها فالقبائل التي تتكلمها تمارس حرفتي التجارة والرعي ومن شأن التجار والرعاة التنقل والترحال وبذلك أسس المتكلمون بها مراكز تجارية يقيمون فيها تجارتهم، إضافة إلى ذلك أن شعب الهوسا على درجة كبيرة من الرقي الحضاري وأكثرهم يقطنون المدن فكانوا في أمس الحاجة إلى استعارة أكثر الكلمات التي تعبر عن الحضارة والعمران[٦].

**ب: أثر اللغة العربية في لغة الهوسا**

أ– من أوجه الاشتراك بين العربية وهوسا.

وجد الهوساويون إلهامهم في التراث الأدبي العربي الذي ازدهر في ظل هجرة القبائل العربية لأفريقيا والتي أحدثت انقلابا ثقافيا علميا كبيرا، مما أدى إلى ظهور العديد من العلماء والفقهاء الذين تتلمذوا على يد نخبة من العلماء العرب الذين قاموا بتدريس علوم اللغة العربية والإسلامية في جامعة سنكري، ومسجد حنغرى يير، ومسجد سيدي يحيى، ومسجد جنى، ومسجد التواتتين، والجامع الكبير باقدز، وزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بكانو، وزاوية السمانية بكاتو، ومسجد كتيو، ومسجد إيسين، ومسجد إدلوؤ، ومسجد أوكانو، ومسجد تنومبو، ومن هؤلاء العلماء العرب الذين كان لهم دور في تعليم أبناء الهوسا من أمثال العالم زكريا محمد بن أبي بكر الغدامسي، والقاضي محمود أبو بكر،

والإمام عثمان الحسن التسني، وغيرهم من العلماء العرب المسلمين الذين ارتادوا هذه المنارات والرؤيا العلمية الكبرى في أفريقيا، ولقد تأثرت اللغة الهاوساوية باللغة العربية كذلك نتيجة الاحتكاك.

كان من أهم نقاط التلاقي بين اللغة العربية ولغة الهوسا في التأنيث والتذكير، ففي لغة الهوسا كل الأسماء المؤنثة تكون نهايتها بالفتحة الممدودة، ومثال على ذلك كلمة سندا "عصا" كجير "مقعد" رئدا "زير" فهذه الفتحة علامة التأنيث المشتركة في اللغتين وصورتها الكاملة تتشكل من عنصرين صوتيين هما الفتحة + التاء، وقد استبعدت التاء بقصد التخفيف وأبقيت الفتحة لتقوم مقامها.

ومن أوجه الاشتراك بين اللغتين في الأصوات توافقهما في الكثير من الضمائر كضمير النسبة، وضمائر النصب المنفصلة ففي اللغة العربية نقول: بيتك وبيتك وبيتكُم، أي مرة بالفتحة على الكاف، ومرة بالكسرة، ومرة بالضمة للتفريق بينهم المذكر والمؤنث المفرد والجمع المذكر، وهذا يندرج على لغة الهوسا حيت يقولون :"كذنك" بيتك وكذنك وكذنكُ بحذف الميم نظراً لأن الكلمات الهوسية لا تميل إلى الوقوف على ساكن، كذلك تلتقي اللغتان في صيغ الجموع فتحتوي الهوسا إلى جانب جمع التكسير على أزيد من عشر صور أخرى، ومن الأمثلة على ذلك في صيغ التكسير بالألف الممدودة فنقول في العربية "مسجد مساجد"، وفي الهوسا "دوكي دواكي"، كما أن العربية والهوسا تلتقي في إضافة الميم إلى الأفعال لاشتقاق اسم الفاعل، ففي العربية نشتق من الفعل "زارع مزارع" ويناظرها في الهوسا "نوما – منومي"[٧].

ب- شعر بهوسا مكتوب بالعربية.

ومما اشتهر به هوسا أن يكتبوا لغتهم بالحروف العربية، وقد جمعوا بينهما فى شعر، فهذا مقطع من قصيدة بالهوسا للشيخ عبد الله بن فودي، في مناسبتها قيل إن سلطان غوبر باوا حنيغرو، طلب من الشيخ عثمان أن يؤلف له قصيدة يعظه فيها، فأوكل الشيخ عثمان هذه المهمة لأخيه عبد الله لأنه أفصح منه في لغة الهوسا فقال فيه[٨]:

زمك أزمي كنا سلا داوم على الصيام والصلاة

واجبي ذك نافـــلا الواجبة منها والنافلة

باد زكـــــك بلبلا أعط الزكاة بسخاء

جنكيـــي ناك نتـلا أعطف على رعيتك

كنك كلوا مدوغـرا بذلك تكون قد زودت نفسك

**المحور الثالث: اللغة الفلانية**

الفلانية لغة من فصيلة اللغات الأطلسية الغربية، وهي من عائلة لغات النيجر الكردفانية، ويطلق عليها في النيجر ومالي وبوركينا فاسو ونيجيريا والكاميرون وتشاد "فولفلدي"، كما تسمى "بولار" في كل من السنغال وغينيا وغامبيا وموريتانيا[٩] والفلانية وسيلة اتصال لأكثر من أربعين مليون نسمة ، ينتشرون في أكثر من خمس وعشرين دولة إفريقية[١٠].

لقد اختلف الباحثون والمؤرخون فى لفظة "الفلانيين مند أوائل القرن الثامن عشر، وحتى القرن العشرين حول المعنى اللفظي لتسمية الفلان، ويمكن أن نستعرض بعض الآراء حول لفظة الفلان[١١] على النحو التالي:

- يرى كلابرتون والذي ألف كتابا عن الفلان عام ١٨٢٥م أن اسمهم الحقيقي هو "فلانس، ويسمونهم خطأ فلالة[١٢].

وجاء دافزاك الذي ألف كتابا عنهم عام ١٨٢٩م ليوافق رأي كلابرتون حول تسميتهم باسم "فلانس".

وبارت الرحالة الألماني الذي وصل إلى مضارب خيام الفلان وحاول أن يصل إلى أصل التسمية، ولم يستطع ضبط موضوع لفظة الفلان. كذلك جاء الباحث طوكسي محاولاً تصحيح من سبقه في تسمية الفلان من خلال كتابه "عادات وتاريخ الفلان" الذي ألفه عام ١٩٣٧م إلا أنه وقع في نفس المحظور.

أما المؤرخون أمثال المقريزي، وعبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان فقد عرف هؤلاء قبائل الفلان عند أبناء السودان بعدة تسميات، وصلت إلى ما يزيد على مائة وأحد عشر اسماً، حيث يطلق عليهم شعب الماندنك لفظ فولية أو فولة، ويناديهم أهل حوس، بالفلاني. وقبائل التيبو والتيدا، والكانوري ، يطلقون عليهم الفلانا، أو الفلالا، ويسميهم أهالي السنغال بالبولو أو بولار، وقبائل الولوف يطلقون عليهم بول. أما أهل برنو فينادونهم بالفلاطي، ويسمى الفلانيون بلغة اليوربا رايينوني فلاني، أي بمعنى قوم جاءوا من وراء البحار، وتسميهم قبائل الموسى سلميز أو سلمي، كما يطلق عليهم أهل غامبيا وسيراليون اسم فيلا، أما أهل كورورفا فيسمونهم أيط ومعناها أبيض، ويرد تسمية الفولانيين بألفاظ مختلفة في المصادر العربية، والإفريقية فيطلق عليهم تارة الفلانه، أو الفلان[١٣] أو الفل أو الفلالة[١٤].

ويرى المؤرخ الإفريقي موسى السعدي أن أصل لفظة الفلان هي الفلاح، أما العالم عبدالله بن فودي فإنه انتحى منحى آخر مفاده أن لفظة فلانه مشتقه من فعل "فلت" في اللغة العربية ، أي نجا ينجو، ولهذا السبب كان اسمهم فلاتيون[١٥].

وهناك رأي، وهو الأقرب إلى الصواب من غيره من الآراء والأكثر مصداقية هو أن اسم الفلان جاء تحريفاً، إلى "ألفان" من العسكر تركهم عقبة بن نافع في أفريقيا، إبان الفتح الإسلامي للمنطقة الذي وصل بجيشه إلى كل السوق على ضفاف نهر النيجر وحرفت ألفان إلى ما يعرف اليوم بالفلان، ويؤكد عبدالله بن فودي في إحدى قصائده[١٦]:

وعقبة جد الفولانيين من عرب * ومن توردب كانت امهم يجتمع

والفلانية ـ اليوم ـ هي اللغة الرسمية في فوتاتورو بالسنغال وفوتا جالون في جمهورية غينيا، وفي ماسينة بمالي، وفي لبتاكو التي يقسمها النيجر وبوركينا فاسو، وفي منطقة أدماوا التي تتقاسمها أربع دول وهي نيجريا والكاميرون وتشاد وجمهورية إفريقية الوسطى، وتعتبر وسيلة اتصال لأقوام مختلفي اللغات، ولغة مشتركة لأكثر من أربعين مليون نسمة يعيشون في قارة أفريقيا[١٧].

هذا وقد أخذت الفلانية مكانا بارزا بين اللغات الأفريقية، واهتم بها علماؤها وأهلها والعرب والغرب على السواء؛ فقد أعطت اللغة العربية للغة الفلانية الحرف العربي فرسمت به أصواتها، وأهلتها كفاية أدائها التي يتداولها الفلان كما تداولها كثير غيرهم من شعوب العالم، واستمرت عنايتهم بالخط العربي واعتمادهم عليه إلى ما قبل عهد الاستعمار[١٨].

والبحث العلمي في اللغة الفلانية وتاريخها يشكل مسألة مهمة للباحثين والدارسين حيث يتبين للقارئ العربي والأفريقي تاريخ الشعب الفلاني والعلاقة المتميزة منذ قديم الزمان بين العرب والفلانيين، وأثر اللغة العربية على تنمية وتغذية اللغة الفلانية بالألفاظ عن طريق الاقتراض، والمفاهيم بواسطة الاطلاع والتبحر في الدين الإسلامي، وتزودت آدابها بما تزودت من الأدب العربي، وساعدتها في أن تكون لغة ثقافة وأدب وعلم ولعل الباحث من هذا الجانب يستعرض أهم خصائص اللغة الفلاتية في نقاط آتية:

**أهم خصائص اللغة الفلانية:**

١- تعبر اللغة الفلانية عن الوظائف النحوية بوضع مورفيمات، فكلمة: أنا في اللغة الفلانية "من" وإذا أردنا أن نقول "نحن" نضيف نونا آخر بين الميم والنون ونقول: "منن" وكذلك في الفعل مثل :"فعلت" منطي، إذا قلت: "فعلنا"، تضيف كافا فنقول: "منكطي"[١٩].

٢- إن اللغة الفلانية تعتمد على الموقعية، فتعبر عن الفاعلية والمفعولية فيرد الفاعل ثم الفعل فالمفعول مثل :"علي جنكي دفتري"، قرأ علي الكتاب". الفاعل دائماً يأتي قبل الفعل.

٣ - من الجانب الصرفي فإن اللغة الفلانية ليس لها أداة تعريف، وكذلك النكرة ليس لها علامة تدل عليها.

٤- أما التذكير والتأنيث فإن اللغة الفلانية لا تتعامل بالتذكير والتأنيث مثل لغة الهوسا والعربية بل تنظر إلى الكائنات من حيث أنها حية أو غير حية ومن حيث حجمها أو شكلها أو ملمسها، أو المادة التي عملت منها، ومن هنا تنقسم الكائنات إلى مجموعات، مثل مجموعة الآدميين، ومجوعة المواد السائلة، ومجموعة الأشياء الصلبة، وكل مجموعة اسمية

لها خصائصها الصرفية والدلالية الخاصة بها، وهذه الخصائص عبارة عن أزواج من المرفيمات في شكل سوابق ولواحق كل زوج يختص بصيغتي المفرد والجمع، وتشتق منه الضمائر وأسماء الإشارة وبعض العناصر الصرفية والنحوية[٢٠].

**أهم اللهجات الموجودة في اللغة الفلانية:**

إن تتبع الباحث اللغوي للهجات الموجودة في اللغة الفلانية يعطي صورة واقعية للمجتمع الفلاني وهي على النحو التالي[٢١]:

. لهجة قوتا تورو في السنغال.

. لهجة فوتا جالون في غينيا.

ـ لهجة ماسنا في مالي.

ـ لهجة سكتو في الجزء الغربي من جمهورية النيجر وأجزاء من بوركينا فاسو.

. لهجة وسط شمال نجيريا، أي في منطقتي كانم وبرنو.

ـ لهجة أمادوا في جمهورية نيجيريا والكاميرون وتشاد وإفريقيا الوسطى.

**النموذج:**

فإذا انتقلنا للحديث عن أثر اللغة العربية في اللغة الفلانية وجدنا أنفسنا أمام كم هائل من الألفاظ العربية بعضها بدلالاته الأصلية، والآخر قد أضيف إليها فالفلانية أخدت من اللغة العربية أكثر من ألف وخمسمائة كلمة[٢٢] .

وهذا ما أكده الشيخ عبد الله بن فودي في رسالته المعنونة تحت اسم مسألة أصل الفلانيين حيث قال :"إن لغتنا هذه اللغة الفلانية كثيرة التوافق باللغة العربية".[٢٣]

وفيما يلي نورد بعض النماذج من أشعارهم بالفلانية[٢٤]

المقطعان الأول والثاني من قصيدة غي التوحيد للشيخ عثمان بن فودي (بالفلفدي)

| | |
|---|---|
| ميثـــي بنغطو كمـــوج | أحمد الذي رفـــع السماوات |
| وطيطي محـــل رزكـــوج | وجعلـــــها محـــلا لـــلأرزاق |
| طي كم يو إييل تدنقوج | التي تأتي يفعل السحب الممطرة |

أبيات من قصيدة للشيخ عثمان بن فودي بالفلفدي يصلي فيها على النبي – صلى الله عليه وسلم:

ميتي مغفلتاك هـــــرتا مـــطانتاك عــغتا يجـــتتا

مسلمني بلاط ذكيـاط جولط جوي شطاط مونناط

مسلمني صحابين هال هينـــف ياكيـــسي فامنال

**الترجمة**

أحمد الذي لا يغفل ولا يسهو ولا يـــــنـــام ولا يـــنســـى

أسلم على الذي أرسل وأعطي الصلوات الخمس الموقر والمعظم

أسلـــم على أصحابـــه وآله وكـــل التابعيـــن إلـى المنال

**الهوامش والمراجع:**

١. يحيى أبوعزوز ، **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر**، من عروض مقدمة في أعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص١٣٥- ١٤٥.

٢. القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٨، القاهرة ،المطبعة الأميرية للنشر،١٩١٥م، ص٤٣٠.

٣. عثمان فودي، **الوصية من الراعي إلى الرعية**، تحقيق أحمد مصطفى أبوا لخير، المنصورة ، ١٩٨١م، ص ٥-٦.

٤. علي أبوبكر، المرجع السابق، ص،٣٨٧-٤٦٩.

٥. الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص٩٨.

٦. المصدر نفسه، ص١٧.

٧. مجهول إعلام غدامس، المصدر السابق، ص١١-١٢

٨. الهادي المبروك الدالي ، قبائل الفلان؛ دراسة وثائقية، ط١، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، ٢٠٠٣م، ص٣.

٩. ليبيا، مصر، السودان، الصومال، موريتانيا ، مالي ، السنغال ، النيجر ، تشاد ، أثيوبيا ، كينيا ،أوغندا، زائير، أفريقيا الوسطى، الكاميرون، نيجيريا، بينين، التوجو،غانا، ساحل العاج، غينيا بيساو، غينيا كونا كري، غامبيا ، بوركينا فاسو، سيراليون.

١٠. Tauxier l'anis mourus et histoire des peuls paris payot.1937.p12

١١. حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، القاهرة، معهد الدراسات الإفريقية، ١٩٨٤م، ص١١٩، وينظر: كتاب إبراهيم طرخان، إمبراطورية الفولاني الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٨٥م ، ص١٢٤، الفلانة في السودان ومساهمتهم في التنمية، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٤، وينظر كتاب الهادي المبروك الدالي، قبائل الفلان، المرجع السابق، ص١٠ .

١٢. الهادي الدالي، المرجع نفسه، ص١٠.

١٣. المرجع نفسه،ص١٢٣.

١٤. عبد الله بن فودي، **تزيين الورقات**، تحقيق هسكيت أيدان، ١٩٣٦م، ص١٢.

١٥. الهادي الدالي، المرجع السابق، ص١٧ .

١٦. حسن عيسى عبد الطاهر، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني**: دار الثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م، ص٥٩.

١٧. الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص٣٨.

١٨. المرجع نفسه، ص٣٨.

١٩. علي يعقوب، **تعليم القراءة والكتابة الفلانية عن طريق الحرف**، بحث غير منشور، ص ٢.

٢٠. الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسسكو، الرباط، ١٩٩٩م، ص١٩.

٢١. علي يعقوب، المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

٢٢. عبد الله الحاج غطاطو، **أساليب التنشئة الاجتماعية عند الفولي في النيجر**، الدبلوم العالي للتربية، نيامي، الجامعة الإسلامية بالنيجر، ص١١.

٢٣. علي ابوبكر، **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ - ١٩٦٠م**، ص٣٧.

٢٤. مجهول إعلام غدامس، المصدر السابق، ص١١-١٢.

# فكرة الاقتصاد في المنظور الإسلامي: خطبة الشيخ سعود شريم نموذجا

**الدكتور إبراهيم عمر محمد**
**iumuhammad616@gmail.com**
**و**
**الدكتور سراج محمد صكتو**

**المقدمة:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد/ فيعالج الاقتصاد الإسلامي مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق منظور الإسلامي للحياة، والأصول ومبادئ الاقتصادية الإسلامية التي وردت في القرآن والسنة هي أصول لا تقبل التعديل؛ لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وإلى جانب ذلك فإن الاقتصاد الإسلامي يتضمن القوانين التي تفسر الظواهر الاقتصادية وتبين طبيعة سلوك المتغيرات الاقتصادية في ظل الالتزام بالأحكام الشرعية الإسلامية.

بناءً على ما ذكرناه فهذه مقالة بعنوان "فكرة الاقتصاد في المنظور الإسلامي: خطبة الشيخ سعود شريم نموذجا" ستتناول في طياتها النقاط التالية:

- سيرة الشيخ شريم الذاتية.
- عرض الخطبة.
- لب الدراسة.
- الخاتمة.

**السيرة الذاتية للشيخ سعود بن إبراهيم شريم:**

هو سعود بن إبراهيم بن محمد آل شريم من الحراقيص من بني زيد من قضاعة قحطان وهي قبيلة مقرها مدينة شقراء بنجد، ولد بمدينة الرياض عام ١٣٨٦هـ. درس المرحلة اابتدائية بمدرسة عرين، ثم المتوسطة في المدرسة النموذجية، ثم الثانوية في اليرموك الشاملة والتي تخرج فيها عام ١٤٠٤هـ، ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة تخرج فيها عام ١٤٠٩هـ، ثم التحق عام ١٤١٠هـ بالمعهد العالي للقضاء ونال درجة الماجستير فيها عام ١٤١٣هـ. تلقى العلم مشافهة عن عدد من المشايخ الأجلاء من خلال حضور حلقات دروسهم، منهم سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى – في عدة متون خلال دروس الفجر بالجامع الكبير بالرياض، والشيخ العلامة عبد الله بن الجبرين في منار السبيل في الفقه وكذا الاعتصام للشاطبي ولمعة الاعتقاد لابن قدامة وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وفقه الأحوال بالمعهد العالمي للقضاء أثناء الدراسة، والشيخ الفقيه عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل عضو المجلس الأعلى للقضاء سابقاً حيث قرأ عليه في حاشية الروض المربع في الفقه الحنبلي وكذا تفسير ابن كثير. كما تلقى العلم عن الشيخ عبد الرحمن البراك في الطحاوية والتدمرية، والشيخ عبد العزيز الراجحي في شرح الطحاوية، والشيخ فهد الحمين في شرح الطحاوية، والشيخ عبد الله الغديان عضو هيئة كبار العلماء في القواعد الفقهية، وكتاب الفروق للقرافي أثناء الدراسة في المعهد العالي للقضاء، والشيخ صالح بن فوزان عضو هيئة كبار العلماء في فقه البيوع أثناء الدراسة بالمعهد العالي للقضاء عام ١٤١٠ هـ. وفي عام ١٤١٢هـ صدر أمر خادم الحرمين الشريفين بتعيينه إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام. وفي عام ١٤١٣ هـ عين بأمر ملكي قاضياً بالمحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

وفي عام ١٤١٦هـ تفرغ لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى. وقد نال الشهادة بتقدير (امتياز)، وكان عنوان رسالته ( المسالك في المناسك ) مخطوط في الفقه المقارن للكرماني، وكان المشرف على رسالته الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء. وفي عام ١٤١٤هـ صدرت الموافقة السامية بتكليفه بالتدريس فيالمسجد الحرام.

**مؤلفاته:**

١. كيفية ثبوت النسب ( مخطوط).
٢. كرامات الأولياء ( مخطوط).
٣. المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة (مخطوط).
٤. المنهاج للمعتمر والحاج.
٥. وميض من الحرم (مجموعة خطب).
٦. خالص الجمان تهذيب مناسك الحج من أضواء البيان.
٧. أصول الفقه سؤال وجواب ( مخطوط).
٨. التحفة المكية شرح حائية ابن أبي داود العقدية (مجلد مخطوط).

**عرض الخطبة:**

أمّا بعد: فإنّ الوصية المبذولةَ لي ولكم . عبادَ الله . هي تقوَى الله سبحانَه ومُراقَبتُه في السّرِّ والعَلَن، فاتقوا الله عِبادَ الله، وأتبِعوا السيئةَ الحسَنَة تمحُها، وخالِقُوا الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ.

"**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**"(يوسف:٩٠)

أيُّها النّاس، المالُ في هذهِ الدّنيا شريَانُ الحياةِ التّنمَويّ المادّيّ، كما أنّ الشّرعَ والدين شريانُ الحياة الروحيّ والمعنويّ وللمالِ في نَفسِ الإنسانِ حَظوَةٌ وشَرَه وتطَلُّبٌ حثيثٌ، إذا لم يُحكَم بميزانِ الشّرع والقناعةِ والرّضَا فإنه سيَصِل بصاحبِه إلى درجةِ السّعارِ المسمُومِ والجشَع المقيت. ولا جرَم عِباد الله، فإنّ حبّ ابنِ آدمَ للمَال ليسرِي

في جَسَده سَرَيان الدّم في العُرُوق، كيفَ لا والله – جلّ وعلا – يَقولُ عنِ ابن آدم : "**وَإِنّهُ لحُبّ الخَيْرِ لَشَديدٌ** "( العاديات : ٨) أي : المال، ويقول سبحانه عَن جمـــاعة بَني آدَم "**وَتُحبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا**" (الفجر: ٢٠) ومن هذا المنطلَق تَنافَسَ الناسُ سَعيًا تلوَ سَعيٍ في تحصيلِ هَذَا المالِ، وكَدْحًا تلوَ كَدْحٍ في لَمْلَمَة المستَطَاعِ من هذا البرّاق الفاتن، غيرَ أنّ صِحّةَ مثلِ هذا الكدح أو فسادَه وحصولَ الأجر فيه أو ذهابَه لمرهونٌ بحُسنِ القَصد والموْرِد فيه أو بسوئهما معًا، وفي كلا الأمرَين يقول سبحانه: "**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه**" (الانشقاق: ٦)؛ لأنّ المالَ سلاحٌ ذو حدّين، فهو لأهلِ الإسلام والإيمانِ وحُسنِ القصد به نعمةٌ يحمَدونَ الله تعالى عليها صباحَ مَساء، وهذه هي سيمَا الأمّة الخيرية: "**الّذينَ يُنفقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ سِرًا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**" (البقرة: ٢٧٤). وهو لأهلِ الكُفرِ حَسرةٌ وبَلاء مهما تعدّدت مَصادرُه وكثُر توافُره؛ لبُعدهم عن وضعه في موضعه، وما ذاك إلاّ ليَكونَ ندامةً ووبالاً عليهم كما قَالَ تَعَالى: "**وَلاَ يَحْسَبَنّ الّذينَ كَفَرُوا أَنّمَا نُمْلِي لُهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**" (آل عمران: ١٧٨)، فإنّ مُعظَمَ أوجُه الإيرادات والصّادرات لَدَى مَن كفَر بالله وبرسوله منصبّةٌ فيما حرّم الله ورسوله مِنْ أخذِهم الرّبا وأكلهم أموالَ الناس بالباطلِ والصدّ عن سبيل الله، وتلك . لعمرُ الله . هي الحسرةُ والندامة، ولات ساعةَ مَنْدَم، ولَيسَ بَعدَ الكُفرِ ذَنبٌ، "**إِنّ الّذينَ كَفَرُوا يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللّه فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمّ يُغْلَبُونَ وَالّذينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنّمَ يُحْشَرُونَ**" (الأنفال: ٣٦) وإنّ مما يَدُلّ عَلَى أهميّة المالِ في حَياة الفردِ والجماعة وُروده في القرآنِ متصرّفًا مَدحًا وذمًّا في أَكثرَ من ثمانين موضعًا.

أيّها المسلمونَ، إنّ الشريعةَ الإسلاميةَ الغرّاء جاءَت حاضّة على عِمارة الأرض وتَنميتِها اقتصاديًّا بما يَكونُ عَونًا على أداءِ حقّ الله فيها، فَلَقَد قال رسول الله: "إذا

قَامَتِ الساعة وفي يدِ أحدِكم فَسِيلةٌ فاستطاعَ أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها، فله بذلك أجر[١]"

ومن هنا فقدْ حَرِصَ الإسلام أشَدّ الحِرص على توفيرِ ضماناتٍ أو رَكائز لتَحقيقِ هذه التّنميَة الاقتصادية واستمرارها، ولعل من أبرزِها تحقيق الاستقلال الاقتصاديّ والتنمية المستقلّة لدى المجتمع المسلم؛ ليكون قائدًا لا منقادًا، ومَتبوعًا مِنْ قِبَلِ غيرِه لا تَابعًا. والاستقلالُ الاقتصاديّ يعني بداهةً نفيَ التّبعيةِ الاقتصاديّة للأجنبيّ، ويعني سيطرةَ المجتمع المسلِم على مُقدّراتِ بِلاده الاقتصاديّة دون تدخُّلٍ أجنَبيّ؛ لأنّ فُقدانَ السيطرةِ الاقتصاديّة فقدانٌ لما عداه من السيطرَة السياسيةِ والعسكرية والاجتماعيّة والثقافيّة؛ ولذا فإنّ التّنميةَ الاقتصاديّة لدى المجتمع المسلِم لا يمكِن أن تَتِمّ دونَ الاستقلال الاقتصاديّ والتنمية المحلّيّة المعتَقَة من رقِّ الأجنبيّ لها.

إنّ الأمّةَ الإسلاميّةَ في هذا العَصرِ لتكتوِي بلهيبِ منَ الفوضَى الاقتصادية والضّعف التنمويّ، كما أنها تعيش فَسادًا اقتصاديًّا يدبّ دبيبًا ويتسلّل لواذًا بين الحِينِ والآخَر عبرَ منافذِه الرّئيسة في المجتمعاتِ المسلِمَة، وَهِي منافذُ التّسلّل الفرديّ والمؤسّسي والمنتَظم . وإنّ اتساعَ مِثلِ هذهِ المنافذ لَكَفيلٌ بتفعيل البَلبَلَة والخلخلَة المسبِّبين عَدمَ الاستقرار السِّياسيّ والاجتماعيّ، والنتيجةُ التالِيَة لمثل ذلكم تخلّفٌ ذَريع في السوق الماليّة والنّموّ وضَعفٌ اقتصاديّ فادح بالمسلمين.

وإنّ كثيرًا من الدِّراسات الحديثةِ لتؤكّد وُجودَ علاقةٍ عكسيّة بين الفساد الاقتصاديّ والنّموّ. ومن هنا فإنّ الأمّةَ الإسلاميّة لو أخذَت بالمعنى الحقيقيّ للاقتصادِ الإسلاميّ لما حادَتْ عن الجادّة، ولما عاشَت فَوضَى التخبُّط واللّهَث وراءَ المغريَات المالية من خلالِ التهافُت على ما يُسمّى بالبورصَة[٢] والمرابحات الدوليّة التي لم تُحْكَمْ بالأُطُر الشرعيّة، وفوضَى التّخبّط أيضًا في سوءِ الموازَنَة وعَدَم إحكامِ القروض المالية في الحاجيات والتحسينيّات؛ ما يُسبّب تراكمَ الدّيون على مجتمَعاتٍ لا تُطيق حملَها؛ ولذا فإنّ التنميّة الاقتصادية الإسلاميةَ لا تعترِف بِتَنمية الإنتاجِ الاقتصاديّ بمعزِل عن

حُسن توزيعه، كما أنّ جهودَ وأهدافَ الاقتصاد الإسلاميّ يجب أن تكونَ مُصاغَة بعناية فائقة للقَضَاءِ قدرَ الطاقة على فَاقَةِ الفرد المسلِم وبطَالَته وأمِّيّته ومعاناتِه السّكنيّة والصّحّية والغذائيّة.

ولو تأمّل الناس حقيقةَ المفهوم الاقتصاديّ الإسلامي لما وقعوا في مثلِ هذه الفوضَى ومثل ذلكم التخبّط؛ لأنّ كلمةَ الاقتصاد في الأصلِ مأخوذةٌ من القَصد، وهو الاستقامةُ والعَدل والتّوازُن في القولِ والعمل، وفي الإيراداتِ والصّادرات، وفي الكَسب والإنفاق. فالاقتصادُ الإسلاميّ هو في الحقيقةِ توازنٌ في التنمية واعتدالٌ في السوقِ الماليّة، يحمل المجتمعَ المسلم إلى الاعتدالِ والموازنَةِ دون إفراطٍ أو تفريط؛ ولِذا ـ عِبادَ الله ـ كان وَاجبًا على المجتَمَعات المسلمة أن تَسعى جاهدةً إلى أَسلَمَة الاقتصادِ والتنمية من خِلالِ توحيد المصدر، وهو كتاب الله وسنّةُ رَسولِه؛ لأنّ العقيدةَ الصّحيحةَ وصِحّة المصدَر كفيلان في إحسانِ تَشغيلِ الملكيّة على مستوَى الأفراد والشعوب.

وقَد يَتَعَجّب بعض السُّذّج من مثلِ هذا الطّرح نظرًا لفَهمِه القاصِر على أنّ الاقتصادَ يخضَع لضَوابِط ومعايير تُترجَم في صِيَغٍ رِياضيّةٍ فحسب، كلا بل إنّ النظام الاقتصاديّ المهيمن في عالمنا المعاصِر كانَ في الأصل قد وُجِد في بيئةٍ ملائمةٍ له لدى غَير المسلِمين، وذلك بعدَ أن تغيّرت لديهم مجموعةُ المبادئ والقِيَم التي كانَت تحكم تفكيرَهم وسلوكَهم، وذلك بأخذِهم بالفلسَفَة الفَرديّة كحَلَقة فلسفيّة تحكم الغير وتحدُّه بمعيار المصلحة الخاصّة دونَ النظرِ إلى ما سِوى تِلكمُ المصلحَة من ناتجٍ عامّ. ومن هنا صارَتِ النظرة الأجنبيّة للاقتصاد مذبذبةً بين تحليلٍ اشتراكيّ وتحليلٍ رأسمالي. وهذا دَليلٌ واضح على تأثيرِ الاعتقَاد أيًّا كان نوعُه على التنمية الاقتصادية.

ولذا فإنّ التقدُّم الحقيقيّ في دِراسة الاقتصادِ الإسلاميّ إنما يجيء في الدّرجَة الأولى من خلالِ رَبطِه بالقيَمِ والمبادئ الإسلاميّة، والاحتفاظِ له بالصِّبغة التي أرادَها الله، وعدمِ مَسخِه وتشويهِه بوضعِه في قوالِب الاقتصادِ الوضعيّ.

مما يَدلُّ على ما ذكرناه بأنّ الإسلام ينظر إلى النّشاطِ الاقتصاديّ المتعلّق باستخدام الملكيّة والتصرّف فيها على أنه محدودٌ بما شَرَعَ الله وما نهى عَنهُ هو قولُه تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**" البقرة : ٢٧٨،٢٧٩) بل قَد جَاءَ في الشّرعِ مَا يَدُلُّ عَلَى أنّ فسادَ حالِ المسلمين وذلّهم وضعفَهم وتمكّنَ عَدُوّهم منهم قد يَكون بِسَبَبِ ما يَرتَكِبونه من مخالفاتٍ في مجالات السوقِ الماليّة،[٣] فقد قَالَ – صلى الله عليه وسلم: "إذا ضَنّ النّاسُ بالدينار والدّرهم وتبايَعوا بالعينة وتبعوا أذنابَ البقَر وتركوا الجهادَ في سبيل الله أنزَلَ الله بهم ذلاًّ، فلم يرفعه عنهم حتى يُراجعوا دينَهم[٤]"

وبعد يرعاكم الله، فإنّ الاقتصادَ الإسلاميّ ليحتاجُ في النّهوضِ به إلى المستوَى المطلوبِ إلى جهودِ المخلصِين من العلماءِ وأهلِ الاقتصاد، ومُساهمتهم الجادّة في إيجادِ المِفتاح المدخَلِيّ للاقتصادِ الإسلاميّ الصحيح، مع مراعاةِ فقهِ هذه المعضِلة في تَركيبها الواقعيّ وتشكيلها الاجتماعيّ، وكذا مُراعاة الخضوعِ للخطوَاتِ المشهورة في كلِّ دراسة جادّة، وهي أن تُبنَى على الملاحَظَة أوّلا، ثمّ الافتِراضِ ثانيًا، ثمّ التّجريب والوصول ثالثًا، أو بمعنى آخر: تخضَع لاستخدامِ المنهجِ الاستقرائيّ والاستنباطيّ بهدَفِ الوصول إلى كشفِ العلّة الكامنَة والسّبب القابع وراءَ ضُمُور الاقتصادِ الإسلاميّ في مقابِلِ ضدّه. وهَذَا الأمرُ يتطلّب منّا أن نَبحَثَ في المنهجِ النبويّ كَسَبيلٍ أسَاسٍ لكشفِ سنَنِ الهداية والإرشاد وتجنّب قتل النّفس بالممارسة السلبيّة للاقتصاد، انطلاقًا من قوله تعالى : "**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**" البقرة: ٢٧٥"، وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**" النساء:٢٩.

بارَكَ الله لي ولَكم في القُرآنِ العَظِيم، ونفعَني وإيّاكم بما فيهِ من الآياتِ والذّكر الحَكيم، قد قُلْتُ ما قُلْتُ، إن صَوابًا فمِن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنّه كان غفّارًا[٥].

**لبّ دراسة:**

- أهمية المال: لا شك أن دين الإسلام يهتم بالمال، كونه من أكثر ما يحبه الإنسان في طبيعته فشرع الدين طريقة تحصيله، أحل بعضها وحرم بعضها. مثلا فأحل البيع والصناعة والحرف، وحرم الربا والسرقة والتطفف. ونفهم ذلك في بداية هذه الخطبة. حيث بيّن لنا الشيخ أن المال نعمة للمؤمن، إذا اكتسبها عن طريق ما أحل له الله وأنفقها كما شرع له فله الأجر والثواب، وأما الكافر بالنسبة له فالمال بلاء وحسرة مهما تعددت مصادره، وذلك لبعدهم عن وضعه في غير موضعه، واستدل بالشواهد من القرءان الكريم. وإنّ مما يَدُلّ عَلَى أهمّيّة المالِ في حَياةِ الفردِ والجماعة وُرودَه في القرآنِ متصرِّفًا مَدحًا وذمًّا في أَكثرَ من ثمانين موضعًا.
- تنافس الناس على المال واختلاف مشاربهم فيه: كما خلق الله الناس باختلاف الألسنة والألوان هكذا قدّر لكل واحد منهم ما اكتسب من الرزق والمال، وعلى ذلك يتنافسون إلا أن الله تبارك وتعال نظم لهم منهجا شرعيا. فقدْ حَرِصَ الإسلام أشَدّ الحِرص على توفيرِ ضماناتٍ أو رَكائز لتَحقيقِ التّنميَة الاقتصادية واستمرارها، ولعل من أبرزِها تحقيق الاستقلال الاقتصاديّ والتنمية المستقلّة لدى المجتمع المسلم.
- حض الإسلام على عمارة الأرض: صحيح أن دين الإسلام حض على عمارة الأرض، ويتحقق ذلك عن طريق تحقيق الاستقلال الاقتصاديّ والتنمية المستقلّة لدى المجتمع الإسلامي ليكون قائدًا لا منقادًا، ومَتبوعًا مِنْ قِبَلِ غيرِه لا تَابعًا.
- حرص الإسلام على تحقيق الاستقلال الاقتصادي: المقصود بالاستقلال الاقتصادي هو سيادة الدول على كل مواردها وإمكانيتها الاقتصادية وتحقيقها بالاكتفاء الذاتي

والتخلص من التدخل الأجنبي[٦]، لأنّ فُقدانَ السيطرةِ الاقتصاديّة فقدانٌ لما عداه من السيطرَة السياسيةِ والعسكرية والاجتماعيّة والثقافيّةِ.

- الفوضى الاقتصادية: الفوضى الاقتصادية هو على العكس تماما بالاستقلال الاقتصادي، لأنه يدل على سقوط الدولة اقتصاديا، مثلا إذا عجزت الدولة عن تحمل مسؤوليتها إلا بمساعدة الدول الأجنبية فقد حدثت الفوضى الاقتصادية في ذلك الوطن. ومثال ذلك ما يحدث في بعض بلاد المسلمين اليوم، فتجدهم يعانون بازدحام المتاجر وتضاعف الأسعار ويمكثون ثلاثة أشهر بدون راتب.
- العلاقة بين الاقتصاد والنمو: من المستحسن أن ينمو الاقتصاد نموا إيجابيا، وذلك عن طريق وجود القيم المضافة إلى كافة وحدات الإنتاج العاملة في فروع الإنتاج المختلفة في اقتصاد معين، مثل الزراعة والتعدين والصناعة. ويتحقق النمو الاقتصادي الإسلامي كذلك بمساعدة الآخرين بالقرض والدَّين نظرا إلى قوانين الشرعية في ذلك، ولأجل ذلك فأهدافَ الاقتصاد الإسلاميّ يجب أن تكونَ مُصاغَة بعنايةٍ فائقة للقَضَاءِ قدرَ الطاقة على فَاقَةِ الفرد المسلِم وبطَالَته وأمِّيّته ومعاناتِه السّكنيّة والصّحّية والغذائيّة.
- حقيقة مفهوم الاقتصاد الإسلامي: الاقتصاد الإسلامي هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقا لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية. عرف الدكتور محمد شوقي الفنجري الاقتصاد الإسلامي بأنه المجال الحيوي الذي تظهر فيه انطباعات المجتمعات الروحية والمادية، وفيه تتجلى خصائص الأمم، وتتكشف عناصر الخير والشر فيها. ومما أكد الشيخ الشريم في هذه الخطبة هو أن كلمةَ الاقتصاد في الأصلِ مأخوذةٌ من القَصد، وهو الاستقامةُ والعَدل والتّوازُن في القولِ والعمل، وفي الإيراداتِ والصّادرات، وفي الكَسب والإنفاق. فالاقتصادُ الإسلاميّ هو في الحقيقةِ توازنٌ في التنمية واعتدالٌ في السوقِ الماليّة، يحمل المجتمعَ المسلم إلى الاعتدالِ والموازنَةِ دون إفراطٍ أو تفريط.

- السبيل لنهضة الاقتصاد الإسلامي: كما كان معروفا أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام، يغطي كل جوانب الحياة، ونحن المسلمون علينا أن نؤمن بهدي الإسلام في مجال الاقتصاد، وفي الإسلام العديد من الأوامر والنواهي والتوجيهات الاقتصادية في مختلف المجالات الحياتية. فإن وجود علم الاقتصاد طبقا لهدي الإسلام هو فرض شرعي، شأنه شأن بقية الفرائض الشرعية. وقد أشار لنا الشيخ على أنّ التقدُّم الحقيقيّ في دِراسة الاقتصادِ الإسلاميّ إنما يجيء في الدّرجَة الأولى من خلالِ رَبطِه بالقيَمِ والمبادئ الإسلاميّة، والاحتفاظِ له بالصِّبغة التي أرادَها الله، وعدمِ مَسخِه وتشويهِهِ بوضعِه في قوالِب الاقتصادِ الوضعيّ.

**الخاتمة:**

تناول الباحثان فيما سبق من هذه الصفحات عرض خطبة الشيخ سعود الشريم التي تنظر إلى الاقتصاد بالمنظور الإسلامي، واستخرجا منها أهمية المال، وتنافس الناس عليه، واختلاف مشاربهم فيه، وحض الإسلام على عمارة الأرض، وحرص الإسلام على تحقيق الاستقلال الاقتصادي، وابتعاد أسباب الفوضى الاقتصادية والضعف التنموي، كما تناولت المقالة العلاقة بين الاقتصاد والنمو، وحقيقة المفهوم الاقتصاد الإسلامي، ثم السبيل لنهضة الاقتصاد الإسلامي، ومن النتائج التي توصلا إليها أن الاقتصاد في الإسلام أمر شرعي فيه الأوامر والنواهي والتوجيهات والنظام التي يجب أن نؤمن بها ونعمل بها كسائر أمور الشرعية المفروضة.

**الهوامش والمراجع:**

١. الأدب المفرد (٤٧٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (١٩١/٣ )، وعبد بن حميد ( ١٢١٦ )، وصححه الضياء في المختارة 7/262 ) -264وهو في السلسلة الصحيحة.

٢. البورصة سوق لها قواعد وقوانين وفنية تحكم كيفية اختيار ورقة مالية معينة وتوقيت التصرف فيها، وهي ما تسمى باللغة الانخليزية .market exchange

٣. فؤاد عبد الله عمر، الدكتور، **مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره**، بحث رقم ١٤٢٤,٢٦ من مجموعة بحوث مقدمة من المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب تحت رعاية البنك الإسلامي، ص٥٤.

٤. مسند أحمد ( ٤٢/٢ ، ٨٤ ) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو أيضا عند أبي داود في كتاب البيوع ( ٣٤٦٢ )، والروياني ( ١٤٢٢، وأبي يعلى ( ٥٦٥٩ )، والطبراني في الكبير(٤٣٢/١٠ )، وصححه ابن القطان كما في التلخيص الحبير (١٩/٣)، وقواه ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود (٢٤٥/٩)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة.

٥. موقع منتدى العام:www.mareb.org ، وهي خطبة الجمعة ألقاها في الحرم المكي الشريف بتاريخ: ١١أكتوبر ٢٠٠٨م.

٦. محمد الشوقي الفنجري، الدكتور، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤، ص٤٥.

# دور الخطابة في التنمية الاقتصادية في نيجيريا
# خطبة الإمام عمر علي بَاسَوْرَ بِرْنِنْ كَبِ نموذجا

**منير سيد مالمي**
**munirusidi@ gmail.com**
**و**
**الدكتور محمد عمر موسى**
**muhdhaki2@gmail.com**

**المقدمة:**

الحمد الله القائل :" **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**"[١]. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد العربي الأبطحي الهاشمي القائل "ما عال مقتصد قط"[٢]، وعلى آله الطاهرين وصحبه أجمعين.

وبعد/ فإن الخطبة المنبرية تلعب دورا هاما في رقي الاقتصاد وتطوره وتغير حياة المجتمع بدرجة عظيمة، لأنها سبيل استيقاظ همم الناس ونصرتهم ونشر المحبة بينهم، والإقلاع من الضعف إلى القوة ومن التفرقة إلى الألفة، ولذا تجد الخطبة المنبرية يشكل الدعائم الرئيسة التي يقوم عليها الأئمة للتأمين الوطني. وسوف يرصد الباحثان ذلك في النقاط التالية:

- مفهوم الاقتصاد
- الفكر الاقتصادي وإساهامات المسلمين فيه.
- الاقتصاد النيجيري.
- دور الخطابة في التنمية الاقتصادية في نيجيريا.
- الخاتمة والنتائج.

**مفهوم الاقتصاد.**

الاقتصاد لغة، هو الوسط بين طرفين، ومنه القصد وهو: إتيان الشئ، وقصد في الشيء خلاف الإفراط فيه وهو ما بين الإسراف والتقتير، "والقصد في المعيشة" أن لا يسرف الإنسان ولا يقتر.

واصطلاحا: هو دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة وتنميتها لإشباع حاجاته[٣]. وأما علم الاقتصاد هو العلم المعرفي الذي يهتم بالثروة والاستهلاك والإنتاج[٤]، ويعرف الاقتصاد بأنه العلم الذي يتعامل مع قضايا الضرائب والأعمال والتمايل وعملية الإنتاجات الخاصة من بيع وشراء، وتوزيع المنتجات.

ويعد علم الاقتصاد من أهم علوم التاريخ وارتباط وجوده مع مجموعة من المفكرين والعلماء الاقتصاديين، أمثال آدم سِمِثْ، وكَارْل ماكْس وغيرهم من علمائه، وحرصوا جميعا على الاستخدام بيانات تاريخية للاقتصاد، وظهرت المدرسة الاقتصادية في ألمانية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وفي هذا القرن نجح علم الاقتصاد نجاحا باهرا مقارنا بغيره من العلوم الاجتماعية، ومن أهمية علم الاقتصاد أنه علم أثر في حياة الإنسان، إذ ساهم في ظهور الفريد من الظواهر المؤثرة في شعوب العالم من ارتباط الاقتصاد مع علم السياسة، وكذلك ساهم الاقتصاد في تقرير الأمن، كم أنه شاهد على تطور وازدهار مجالات العمل المتنوعة[٥].

**الفكر الاقتصادي وإساهامات المسلمين فيه.**

يقصد بالفكر الاقتصادي دراسة تقضي الخطوات الارتفاعية التي خطها الإنسان للكشف عن القوانين الحاكمة لظواهرها الاقتصادية، ودراسة موافقة العلماء والباحثين عن الظواهر المادية. وخاصة في عهد الإغريق والرومان بالنسبة للقديم. وأما الفكر الاقتصادي الإسلامي إن لم يكن له دور ملموس في أرض الواقع وذلك لأمور خارجة لا تمت إلى واقع الفكر الاقتصادي إلا أنه خرج الآن عن سبيله الصمت، وظهر في الميادين المختلفة، حيث يدرس في الجامعات المختلفة والمعاهد الخاصة، وعقدت مؤتمرات وندوات حول الاقتصاد

الإسلامي أهمها (المؤتمر الذي عقده مجمع البحث الإسلامي في الفترة ما بين ١٩٦٤م إلى عام ١٩٧٧). وكان من نتائجه إنشاء بنوك إسلامية، والمؤتمر المنعقد بمكة تحت إشراف جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٩٥ هـ الموفق ١٨٧٦م، الذي شارك فيه معظم الباحثين في الاقتصاد الإسلامي من مختلف أنحاء العالم، والمؤتمر الاقتصاد الاسلامي: المنعقد بِلَندُنْ تحت إشراف المجلس الأروبي، الذي شارك فيه كذلك علماء مسلمون ومستشرقون أجانب، وعدد من المفكرين من علماء النهضة الإسلامية الحديثة وكانت لهم جهود طيبة في إنشاء عدد من البنوك الإسلامية، وتدريس الاقتصاد الإسلامي في الجامعات[٦].

**الاقتصاد النيجيري:**

يقصد الباحث بهذه النقطة إعداد النظر في التساؤلات التي سبق ذكرها في المقدمة نسبة إلى الاقتصاد النيجيري، أصله وتطوره ونموه، وانهياره وما يتولد منه، تأصل الاقتصاد النيجيري من اسمها "عملاق أفريقيا" بسبب اقتصادها وعدد سكانها، وهي البلاد الأكثر سكانا في إفريقيا، وأصبحت نيجيريا واحدة من أكبر ٢٠ دولة اقتصادا في العالم[٧].

وقد لعبت اختياطيات النفط في البلاد دورا رئيسيا في تنامي الثروة ويعتبر البنك الدولي نيجيريا سوقا ناشئة سريعة لما فيها من القوائد وتسمية، وزيادة سنان الاقتصاد في العالم. ولعل هذا هو أصل اقتصاد نيجيريا واستمرت به حتى أصبحت الناتج المحلي الإجمالي اقتصادها الأكبر في إفريقيا التي تبلغ قيمة أكثرة مليار دولار وبذلك تفوقت على جنوب إفريقيا اقتصادا في العالم ٢٠١٢م[٨].

السؤال المطرح هنا هو: ما السبب الذي أدى إلى انخفاض هذا الاقتصاد إلى أرذل عمر حتى تولدت القبائح الكثيرة منها الشدة والفقر والبطالة؟ وسبب ذالك هو كب وكف بعض رؤساء الأمة على اقتصاد هذه المنطقة وشربوا منه ماشربوا ثم حصروا سؤره على أبنائهم وأحفادهم، ولذا اضطرت الأمة إلى طلب المعيشة بعد وقعهم في الشدة والبطالة، وطلبوهم أن يتركوا لهم الباقي لسد بعض حاجاتهم، واتخذ الرؤساء هذه الفرصة في توجيههم

إلى ما أرادوا وما شاؤوا قبل إلغائهم العظم التي لا ثمن فيها، وأما علاج هذا المشكلة فصعب جدا إلا ما شاء الله.

**دور الخطابة في تنمية الاقتصاد النيجيري.**

إن الخطب المنبرية تلعب دورا حاسما في رقي المجتمع وتطوره وتغير حياته بدرجة ملحوظة، فهي سبيل الوعظ والإرشاد والإقلاع من الضعف إلى القوة ومن الفرقة إلى الألفة، ولذا تجد أئمة الإسلام يشكلون دعائم خطاباتهم لإيجاد التعطف والترحم والتطور والتقدم والأمن في الأمة الإسلامية، وسوف يقوم الباحثان بعرض خطبة واحدة، نموذجا لذلك.

**خطبة الإمام عمر علي بَاسَوْرَ[٩] بِرْنِنْ كَبِ:**

الحمد لله الذي منّ علينا بدين متكامل، ولكل مجالات الحياة تشريع شامل، فهو إيمان وعمل ومعاملة، شريعة وفكر وعاطفة، شرع لنا الدين الذي سما بالإنسان إلى معارج الكمال، وكريم الخصال وحميد الفعال، والصلاة والسلام على النبي المتمم لمكارم الأخلاق، كما قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[١٠].

أما بعد: فيا أمة الإسلام فإن الإسلام له منهجه الاقتصادي الكامل ومنهجه السياسي الشامل، دين ودولة، كسب وغنى وعدالة، بالإسلام يحرص على تنمية موارد الاقتصاد، قال تعالى" **فإذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**"[١١] ليعيش المسلم حياة طيبة، الحياة التي ترفعه من حد الكفاف إلى حد الكفاية والرفاهية.

أخوة الإيمان والإسلام: لقد حاول بعض الكتاب استنباط مفهوم التنمية في الإسلام، استنادا إلى النصوص أو معانٍ قرآنية فقيل إن التنمية هي طلب عمارة الأرض وذلك من قوله تعالى:" **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب**

**مجيب**"[١٢]. وقيل إن التنمية تعني الحياة الطيبة إشارة إلى معنى الآية الكريمة:" **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**"[١٣].

الاقتصاد في الإسلام له هدف أساسي، وهو تحقيق التوازن بين مصلحة الجماعة والفرد بقصد تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة في الله: لا بد من تلازم القيم الإيمانية، مع التنمية الاقتصادية، لأن هناك ضوابط دينية وأخلاقية تحكمه وهي تتمثل في قوله عز وجل:" **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**"[١٤]. ومن هذه الضوابط ما يلي:

١. أرزاق العباد على الله تعالى: فما على الإنسان إلا أن يسعى في الطلب ويحسن التوكل على الله قال تعالى:" **قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**" [١٥].

وقال الرسول {لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا}[١٦].

٢. كثرة الرزق لا تدل على محبة الله .قال تعالى:" **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من قضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون * وزخرفا وإن كل ذلك لمّا متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**[١٧].

٣. الرزق يربو له فيه بالطاعة ويمحق بالمعصية، وفي المسند {إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه}[١٨]، قال تعالى: "**ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون**"[١٩].

٤. رزقك لا محالة يأتيك قال الرسول {وإن الروح الأمين قد ألقى في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها}[٢٠]، فلو أن الناس عملوا بذلك وءامنوا به لما كان هناك سرقة ولا نهب ولا غصب ولا اختلاس ولا تحايل على قضية الرزق.

فيا أيها الإخوة: هناك معوقات للتنمية الاقتصادية نذكر منها ما يلي:

١. الربا بجميع أنواعه، لأنه يترتب عليه أضرار خطيرة على الفرد والمجتمع.

٢. الغش والخداع: ويعتبر الغش بأنواعه؛ وهو إظهار الشيء على غير ما هو عليه في الواقع وذلك بكتمان العيب وإخفائه، وهو مذموم عقلا وشرعا، وحرام بإجماع المسلمين لما فيه من آفة خطيرة اجتماعية واقتصادية.

٣. صناعة وبيع الأشياء المحرمة في مجال الأطعمة والأشربة والصناعات لأن الشريعة لا تسمح بالكسب الخبيث قال تعالى:" **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون**"[٢١].

٤. التبذير والإسراف، فهي من العادات القبيحة التي فشت بين الناس قال تعالى:" **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**"[٢٢].

٥. الاعتماد على الغير في الإنتاج ويظهر ذلك في كثرة الاستيراد وقلة التصدير. وفقني الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

**الخطبة الثانية:**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، فيا عباد الله: فهذه الحوافز والدوافع التي تحرك الأفراد في نجاح التنمية الاقتصادية، لقد جعل الله تعالى حوافر ودوافع تجعل الإنسان يسعى لتحقيق التنمية الاقتصادية من خلال المنهج التربوي الإسلامي حوافز أخروية وروحية، تجد أن هناك آيات كثيرة وأحاديث جليلة ترغب في العمل وتحث عليه قال تعالى:" **ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون**"[٢٣]. وقوله تعالى:" **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**"[٢٤]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: {ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو

بهيمة إلا كان به صدقة،}[٢٥]. وفي مجال الحوافر الدنيوية يقول الرسول فيما أخرجه البخاري {من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق}[٢٦]، وقال أيضا {من أحيى أرضا ميتة فله منها وما أكلت العوافي منها}[٢٧]. وخلاصة القول فإن التنمية الاقتصادية في الإسلام تنمية شاملة متوازنة تجمع بين تنمية الإنسان وإعداده إعدادا صحيحا ليضطلع بمسؤولياته أمام الله عز وجل وبين الثمة المحيطة به اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا لتمكنه من القيام بهذه المسئوليات على الشكل المطلوب: "**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القرى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون**"[٢٨].

قوموا إلى الصلاة يرحكم الله".

**التعليق:**

افتتح الخطيب خطبته بالحمدلة والصلصلة وببراعة الاستهلال قبل شروعه في الخطبة: كما هو عادة الخطباء، ثم ذكر طرق ووسائل الأرزاق والحياة الطيبة للإنسان التي بسطها الله في الأرض كلها في الآية الكريمة التي مر ذكرها، هي قوله:" **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب**"[٢٩]. وقوله:" **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**"[٣٠] في الآيتين دلالة واضحة على تنمية حياة الإنسان تنميةً طيبة حسب قوته وتمكنه من عمارة الأرض في طلب المعيشة وأشار الإمام أيضا إلى السبب الأول في عمارة الأرض ومنع الفساد في الأرض هو إقامة العدل بين الناس بقوله: "التوازن بين مصلحة الجماعة والفرد تحقيق سعادة الإنسان"، لأن التعديل بين المجتمع ينمي اقتصاده نموا واسعا شافعا عن عيوب، وكل ما ينخفض منه اقتصاد المجتمع من الفقر وارتفاع الأسعار والظلم وغيرها، ثم أوصى الناس بملازمة تقوى الله لأنها أصل كل شيء، ثم ذكر بعض الأخلاق الذميمة التي تنقص رزق الإنسان وطيب حياته، كما قيل إن الإيمان يزيد وينقص. واستمر الخطيب عمر علي، بذكر بعض الآيات القرآنية الدالة على اتصاف بعض الناس بتلك الصفات هو قوله تعالى:"

**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**"[٣١]. وقوله تعالى: "**قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**"[٣٢]

واستمر بذكر أسباب الرزق، من كثرة طاعة الله واتباع السنة، وأن الرزق شيء مقسوم قسمه الله على عباده أي كل على رزقه لا يجاوزه. بعد أن ذكر الإمام الأسباب والضوابط في تنمية الاقتصاد إيجابيا، ثم شرع في ذكر أمور سلبية في الاقتصاد في حياة الإنسان وصناعاته كالربا، والغش والخداع، والتبذير والإسراف، والاعتماد على الغير وغير ذلك، وشجعهم على الاعتماد على النفس وأتى بالحديث الشريف الذي يحث الناس على ذلك لأن الزراعة من صناعات الناس بل يعتمد بعض اقتصاد المجتمع عليه، بقوله: مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرا أو بهيمة إلا كان به صدقة".

واختتم الخطبة قبل الدعاء بالإشارة إلى أن وسائل تنمية الاقتصاد كثيرة لا تعد ولا تحصى، وشجعهم على القيام بالزراعات.

**الخاتمة:**

يتضح للقارئ فيما عرضه الباحثان أن الخطب المنبرية تلعب دورا هاما في تنمية الاقتصاد النيجيري، وفي هذا وقف الباحثان على بيان مفهوم الاقتصاد، من تعريفه وفروعه ومناهجه وعناصره، ثم بيان الفكر الاقتصادي وإسهامات المسلمين فيه، حيث ذكر فيه خطوات العلماء والباحثين فيه، وذكر بعض العهود التي مر بها الاقصاد، ثم دور الاقتصاد الإسلامي في المعاهد والجامعات، والمؤتمرات، والندوات. ثم النظر إلى الاقصاد النيجيري من ارتفاعه وانخفاضه، وما تولد منه، وسبب ذلك. ثم عرف الباحثان الخطابة وبيان دورها في تنمية الاقتصاد، وتلتها نتائج البحث، وأخيرا نقول الحمد لله رب العلمين.

**النتائج:**

- الخطابة تدعو إلى التعاون، والتآخي، والمحبة، وتنهى عن العنف والفساد.

- إيجاد الأمن، وتيسير المنفعة والشفقة على الأمة حق على الحكومة وأفراد المجتمع.
- الدعوة إلى تجنب الفساد، والظلم، والتبذير في اقتصاد الأمة.
- طرق وسائل تنمية الاقتصاد في التجارة والزراعة.
- الأسباب التي أدت إلى انخفاض الاقتصاد النيجيري من الناحية التجارية.
- إسهامات الأئمة في بيان الحق والاهتمام بحقوق الإنسان في إطار الثوابت والقيم الأصلية.
- العناية الشرعية والبصيرة بدين الله لنسلم من مهاوي الجهل والهوى.

**الهوامش والمراجع:**


١. سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٢. **المعجم الكبير**، تحقيق أحمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣ حديث ١٢٥٦ ص ١٢٣.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٦١هـ/١٢٩١م)، **لسان العرب** بيروت، دار صادر، باب الدال فصل الفاق ٣٥٣.

٤. رفيق يونس المصري، **أصول الاقتصاد الإسلامي**، دمشق، دار القلم بيروت ص١٢.

٥. Richard van economic history

٦. الدكتور سيد كاسب ود. محمد علي، **أساسيات الاقتصاد الإداري**، مكتبة جامعة القاهرة،٢٠٠٩م، ص ٤٠٤.

٧ . محمد محبك، **علم الاقتصاد**، مكتبة الموسوعة العربية ٢٠١٧م.

٨ .عمر العبيدي، **مبادئ الاقتصاد** للمرحلة الأولى، جامعة العادسية، ص ٩.

٩.قرية بِزْنِنْ كَبِ في ولاية كَب.

١٠ .سنن الكبرى للبيهقي، رقم ١٩٣٣١.

١١ . سورة الجمعة، الآية:١٠.

١٢ .سورة هود، الآية: ٦١.

١٣ .سورةالنحل، الآية: ٩٦.

١٤ .سورة القصص، الآية: ٧٧.

١٥ . سورة سبإ، الآية:٢٤.

١٦ . أبي زكريا يحيى النووي، **رياض الصالحين**، باب اليقين والتوكل، ص،٢٧.

١٧ .سورة الزخرف، الآية:٣٣- ٣٥.

١٨ . صحيح ابن حبان، رقم ٨٧٢.

١٩ . سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢٠ . السنن الكبرى للنسائي، رقم ١١٣٥٣.

٢١ . سورة المائدة، الآية: ١٠٠.

٢٢ . سورة الإسراء، الآية: ٢٧ .

٢٣ . سورة الأحقاف، الآية: ١٩.

٢٤ . سورة الكهف، الآية:٣٠.

٢٥ . صحيح البخاري، رقم ٢٢١٠.

٢٦ . صحيح البخاري، رقم ٢٣١.

٢٧ . صحيح البخاري، رقم ٥٢٨٢.

٢٨ . سورة النحل، الآية: ٩٠.

٢٩ . سورة هود، الآية: ٦١.

٣٠ . سورة النحل، الآية: ٩٦.

٣١ . سورة القصص، الآية:٧٧.

٣٢ . سورة سبإ، الآية: ٢٤.

# الدعوة إلى الوحدة الإسلامية: خطبة الشيخ لول آدم أبوبكر نموذجا

**الدكتور عثمان غواني**
**danjumausmang@yahoo.com**
**و**
**الحسن شيحو ملري**
**ashehumalleri@yahoo.com**

**المقدمة:**

إن الاتحاد من أهم أسباب الرقي والتقدم لكل أمة، فيه تصل إلى غايتها. وبدونه تتقهقر إلى أسفل السافلين، فالمكنسة إذا تجمعت صعب كسرها، فمتى تفرقت صارت عرضة للكسر.

ومما لا شك فيه أن الناس مختلفون في الآراء والمفاهيم، لكن لا يكون ذلك مدعاة إلى التفرق. وتظهر الحاجة إلى الاتحاد وعدم جواز التفرقة بين الأمة الإسلامية كما ورد في قول من علت كلمته: "**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسملمون * واعتصموا بحبل الله جمبعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**"[١].

وعلى هذا انكب بعض الأئمة على دعوة الناس إلى الاتحاد بكل ما أوتوا من الوسع، منهم كبير الأئمة لجامع جوس الشيخ محمد لول آدم أبو بكر، الذي ألقى على

جمع من الناس خطبة يدعوهم فيها إلى اجتناب التفرق والاعتدال في الدعوة بطريقة شيقة تلفت الانتباه. وستتناول المقالة تلك الخطبة بالدراسة على النحو التالي:.

- تعريف الخطبة
- أنواعها وأهميتها وأثرها
- لمحة عن الخطيب
- عرض الخطبة
- عرض أبعاد النص الفكرية
- الخاتمة والنتائج

**مفهوم الخطابة وأنواعها:**

الخطبة لغة واصطلاحا:

الخطبة مصدر خطب يخطب وخطب الخاطب على المنبر واختطب خطب خطابة واسم الكلام الخطبة[٢].

وفي الاصطلاح: هي نوع من النثر الفني الذي يؤثر في النفوس ويثير العواطف عن طريق طرح الأفكار المقنعة المقرونة بالحجج الدامغة الواضحة، ويكون ذلك بأسلوب مؤثر في المستمع بحسب ما يقتضيه المقام[٣].

والخطابة ضرورية لكل أمة في سلمها وحربها، فهي أداة الدعوة إلى الرأي والتوجيه إلى الخير، ووسيلة الدعاة من الأنبياء والمرشدين والزعماء والمصلحين فهي ضرورة من ضروريات الحياة.

**أنواع الخطبة:**

تتنوعت الخطبة إلى أنواع، ويتفاوت مدى انتشار بعضها حسب العصر والحاجة إليها، ومن أنواعها ما يأتي:

الخطبة السياسية: هي الخطبة التي تهتم بالشؤون العامة للدولة خارجيا وداخليا، وتبين إرادة الأمة وسلطانها، أو تبين حريتها وانطلاقها.

الخطبة الاجتماعية: هي التي تكون في المناسبات والمواقف، مثل خطب محافل الأفراح للأزواج والتهاني بالقدوم من السفر وغير ذلك من المناسبات المختلفة.

الخطبة الدينية: هي التي تتعلق بالعقيدة والإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحض على اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى وغالبا ما تكون هذه الخطبة في المساجد وعلى المنابر في يوم الجمعة وفي العيدين عند المسلمين[٤]. فمقالتنا هذه تتحدث عن هذا النوع من الخطبة.

**أهمية الخطبة الدينية وأثرها**

إن لهذه الخطبة أهمية بالغة؛ لأنها تحرض وتزجر، وتأمر الناس بالخير، وتنهاهم عن الشر. والدعوة إلى الله واجبة تتم عن طريق الخطبة، فالداعي إلى الله في أمس الحاجة إلى سلاح يستعمله في عملية الدعوة، وهذا السلاح هو الخطبة.

أثرها:

علاوة على هذا، فلا يختلف الاثنان في أن الخطبة تلعب دورا فعالا في تغيير شمائل الناس في البلاد والعصور. فقد نقلت العرب وغيرهم من أفكارهم الجاهلية إلى مفاهيم جديدة سليمة، حيث اعتنقت أمم وجماعات الدين الإسلامي، نابذين وراء ظهورهم العادات والتقاليد الذميمة، ومتحلين بسنن الإسلام البهية، فآثروها على ما كان عندهم من قبل. وهذا التغيير الذي أحدثه الإسلام في البيئة العربية وغيرها كان للخطبة نصيب الأسد في إحداث.

**نبذة عن الخطيب:**

هو الإمام محمد لول آدم أبوبكر، من مواليد قرية من قرى هَطِيجَ تسمى كِشِى ذُور في ولاية جِغَاوَا حَالِياً. وأما أسرته فتنتمي إلى قبيلة الهوسا من أهل كنو.

ولد الشيخ عام ١٩٣٥م، ونشأ في بيت علم وثقافة. حيث بدأ حياته العلمية عند والده، فقرأ عليه بعض الكتب العلمية، ثم كتب الله له أن يسافر إلى كنو سنة ١٩٥٦م، ونزل عند العالم المتفنن الشهير الشيخ التجاني يَنْ مْوتَ وَصَاحَبَهُ برهة من الزمن يأخذ منه

العلوم، وبعد وفاته انتقل إلى خليفته الشيخ إسماعيل بن إبراهيم إلى أن توفي هو الآخر، ولم يزل في كنو إلى أن جاءه نعي والده فكرّ راجعا إلى بلدته مدينة جوس، والتحق بدهليز العلامة الشيخ عبد الله بن يوسف المشهور بقاضي شندم إلى أن لحق بجوار ربه[٥].

يعدّ بيت الشيخ محمد لول آدم أبو بكر مرتعا خصبا، حيث يختلف إليه عشاق المعرفة، وقد ناب عن الشيخ سعيد هَمْجَمْ في تفسير القرآن الكريم في أيام رمضان لمدة سنوات، نصب نائبا عن الإمام السابق لجامع جوس الشيخ زكريا بلاربي داؤود، ثم عُيِّن عقب وفاة بلاربي إماما، وكان يؤم الناس ويلقى الخطب في أيام الجمعة.

ينتمي الشيخ إلى الطريقة التجانية التي أخذ إذنها من شيخه الشيخ التجاني كنو وهو متزوج بامرأتين، فرزق بثلاثة عشر ولدا[٦].

**عرض الخطبة:**

ألقى الإمام محمد لول آدم هذه الخطبة المعنونة بـ"تحذير المسلمين من التفرق" بتاريخ ٨\٤\١٤٣٨ الذي يوافق ٦\١\٢٠١٧ ونصها كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الحكيم:" **"يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسملمون *واعتصموا بحبل الله جمبعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون"**[٧]

أشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"، صلى الله عليه وعلى آله الشرفاء وأصحابه الأئمة الفضلاء وسلم عليه وعليهم تسليما كثيرا.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الناس لقد نهانا الله تبارك وتعالى عن التفرق وزجرنا عنه زجرا كبيرا بقوله: "ولا تفرقوا" فمن أين أتانا هذا التفرق المشؤوم الذي يقاسي منه جماعة المسلمين المشقات والويلات؟! والحال أن إلهنا واحد وهو الله خالق كل شيء، وأن كتابنا واحد وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن نبينا واحد وهو سيدنا محمد رسول الله إلى كافة الخلق، وأن قبلتنا واحدة وهي الكعبة المشرفة، وأن كلمتنا واحدة وهي كلمة الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمن أين هذا التفرق؟

فالجواب هو من الشيطان والهوى، وقد قال العارف بالله الشيخ محمد البوصيري في قصيدته بردة المديح:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ** وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما ** فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

عصمنا الله تعالى ووقانا من اتباع هوى النفس والشيطان آمين.

على كل واحد منا مسؤولية تتعلق به خاصة، ومسؤولية علمائنا اليوم أن يدعوا الناس إلي سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسب والشتم والقذف، لأن الله تبارك وتعالى يقول لنبيه – صلى الله عليه وسلم: " **بل الله مولاكم وهو خير الناصرين**". [٨]

ثم لا بد لهم أن يمتثلوا أوامر الله تعالى التي يدعو الناس إليها، ويجتنبوا نواهيه التي ينهاهم عنها، وإلا فرب قارئ والقرآن يلعنه أعاذنا الله وأجارنا من ذلك.

نسألك اللهم أن تجمع شمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر رئيس وطننا الحاج محمد البخارى وانصره ووزراءه وأعوانه، وأحملهم اللهم على العدالة في ملكهم، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ونجنا من القوم الظالمين.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام.

**عرض أبعاد النص الفكرية:**

افتتح الإمام خطبته بالحمد لله وبذكر الآية الكريمة التي تدل على ما في ثنايا خطبته، ثم ثنى بالصلاة والسلام على الرسول الذي سوى في قوله بين الخلائق بغض النظر عن ألوانهم وقبائلهم وجعلهم سواسيا كأسنان المشط.

ثم أظهر أسفه الشديد وبثه الدائم لما وقع بين المسلمين في هذه الأيام من الانشقاق والنزاع والخصومات الدائمة من غير دليل أو حجة تدعو إلى ذلك.

فالمسلمون ما زالوا متفقين على أساس الإسلام، فاختلافهم كله في الفروع. فقد اختلف السلف الصالح في الفروع أيضا، ولم يسب بعضهم بعضا.

فاختلاف المسلمين اليوم هو على غير أساس قوي سوى اتباع الهوى واتباع العدو المبين المزجور عنه في نصوص الكتاب والسنة.

ثم دعا الإمام الأئمة والدعاة إلى الرجوع إلى سبيل الحق في الدعوة إلى الإسلام، وهو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ليكونوا قدوة حسنة، وإلا فحذار حذار أن يكون القرآن حجة عليهم لا حجة لهم. ثم اختتم الخطبة بالدعاء المعمم لجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

إذا أمعنا النظر فى هذه الخطبة وتتبعنا أسلوبها نجد أنها تدعو إلى الوحدة والاتحاد، ويمكن حصر أبعادها الفكرية فيما يلي:

**أولا:** استفتح الإمام الخطبة بآية كريمة تدعو المسليمن إلى الاعتصام وعدم التفرق، ثم ثنى بكلام الرسول :- صلى الله عليه وسلم – الذى يساوي فيه بين الخلائق بغض النظر عن جنسهم، وكأنه يشير إلى قوله تعالى:" **قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم**".[٩]

**ثانيا:** ذكر الإمام المستمعين وزجرهم عن التفرق عن طريق إظهار عاقبة ذلك، ألا فهي الفشل وذهاب القوة. فالله تعالى يقول:" **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**"[١٠]

**ثالثا:** إن خطبة الإمام مرآة لأسلوب الدعوة الإسلامية الحقيقية الصحيحة. فكانت بعيدة عن صنوف السب والقذف واللعنة فتلك طريقة حكمية لو استخدمها كل خطيب وداعية لا استقر الأمن والاتحاد بين المسلمين. فالله يقول:" **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**"[١١]

**رابعا:** إن أوامرالله تعالى ترشد إلى الاتحاد، فنصيحة الإمام في خطبته تدعو الناس إلى التمسك بها، فالمستمسكون بها مستمسكون بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

**خامسا:** الدعاء سيف المؤمن، لا غنى لأحد من الدعاء فاختتام الإمام خطبته بالدعاء دليل قاطع على رغبته العميقة في توحيد كلمة المسلمين فى بلدنا نيجيريا والعالم جميعا.

**الخاتمة:**

قامت هذه المقالة بجولة في أحضان خطبة كبير الأئمة لجامع جوس، متهدفة إظهار ما فيها من الدرر والنصائح الغالية في توجيه المسلمين وخاصة العلماء والدعاة إلى الاتحاد والاعتصام والتمسك بتعاليم الكتاب والسنة في الدعوة، واستطاع الإمام عن طريق

سرد الآيات والأمثلة الملائمة أن يبين وجوب الاتحاد وعدم اتخاذ الاختلافات الفرعية دليلا لتكفير بعضهم بعضا.

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين توصلا إلى النتائج الآتية:

- النهي عن التفرقة.
- وجوب الاتحاد بين المسلمين.
- المسلمون أمة واحدة.
- وجوب اجتناب الهوى.
- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من أهم مسئوليات العلماء.
- ليس التكفير من وسائل الإصلاح.
- الاختلافات الفرعية لا تؤدي الى العداوة.
- اتفاق المسلمين في الأساس يوجب اتحادهم.
- الدعوة بالقدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة.

**الهوامش والمراجع:**

١- سورة آل عمران، الآية ١٠٠-١٠٣.

٢- ابن منظور جمال الدين الإفريقي، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣م.

٣- المرجع نفسه.

٤- أبوبكر غوني مصطفي، **الدراسة البلاغية لأسالب الأمر والنهي**، بحث أكاديمي قدم إلى جامعة جوس ٢٠٠٦م لنيل شهادة الماجستير فى اللغة العربية وآدابها.

٥- المقابلة الشخصية في بيت الشيخ، بتاريخ ٢٠١٧|٧|٩م.

٦- المقابلة الشخصية في بيت الشيخ بتاريخ ٢٠١٧ |٧|٩م.

٧- سورة آل عمران، الآية: ١٠٠-١٠٣.

٨- سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

٩- سورة الحجرات، الآية: ١٤.

١٠- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

١١- سورة النحل، الآية: ١٣٥.

# النصائح والإرشاد في بعض نصوص الشيخ عثمان بن فودي

**الدكتور أسامة موسى إمام**
**usamahmusaimam@gmail.com**
**و**
**أمين عثمان**

**مقدمة:**

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب بلسان عربي مبين والذي جعل الأمانة سبب النجاة في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي سمته قومه "الأمين" منذ الجاهلية، وعلى آله وصحابته ومن تعبهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

وبعد: فقد بقيت النصوص الأدبية العربية في نيجيريا طوال مسيرتها التي ابتدأت منذ انتشار اللغة العربية في البلاد تدور ضمن إطار شكلي معين وأساليب أوعية يرثها الخلف عن السلف، ومثل هذا هو الذي أثر في الأجيال السابقة في نجاحها نحو تخطيطاتها الدنيوية والأخروية بدون الوقوع في أحوال الحيرة والغش والخيانة والخذلان كما وجدت هذه الأمة نفسها.

وعندما ننظر إلى أحوال المجتمع النيجيري في العصر الحالي نرى أن الأمور تغيرت غاية التغيير وكثرت الفتن والمصائب أكبرها سلب الأموال والموارد الدولة وحصرها على أيدي نفر قليل من أفرادها.

من أجل هذا نظر الباحثان إلى بعض نصوص ابن فودي التي لها دور فعال في تنمية الاقتصاد الوطني كما يحث الشيخ دائما في تربية العقل والروح، والفرار من تناول المحرمات والتبذير وغير ذلك، كما سيشاهد القارئ في البحث.

سيتناول البحث العناصر التالية:

ترجمة الشيخ عثمان بن فودي.

بعض نصوص الشيخ عثمان بن فودي الأدبية.

الخاتمة.

## ترجمة الشيخ عثمان بن فودي:

هو عثمان بن محمد الملقب بـ"فودي" بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غُرْطُ جبٍّ بن محمد سمبو بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن موسى جكُلو، ويلقب بـ بن فودي أمير المؤمنين، شيخ الإسلام.

ولد الشيخ عثمان بن فودي في أواخر صفر سنة ١١٦٨هـ الموافق ديسمبر، سنة ١٧٥٤م بقرية طِغِلْ على الأشهر وهي قرية تابعة لمملكة غوبر (Gobir) تقع اليوم في شمال نيجيريا وذلك حوالي عا ١١٦٩هـ الموافق ١٧٥٤م. وكان الشيخ نشأ في أسرة متدينة ومثقفة بثقافة علمية عالية[١].

ولقد وجد الشيخ في هذه البلاد من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والأمور الفظيعة والأحوال الشنيعة، ملأت هذه البلاد، حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه إلا النادر منهم، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد ويحسن الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات[٢]. وهذا الذي جعل الشيخ يؤسس مجلسين هما:

١- مجلس التدريس: يقوم فيه بتفسير القرآن الكريم وبث علوم الحديث والفقه والتصوف وغيرها وذلك يوميّا بعد صلاتي العصر والعشاء.

٢- مجلس الوعظ والإرشاد: كان يخرج له ليلة كل جمعة، أو في الليالي، وكان يحضره جمع غفير، رجال ونساء، وكثيرا ما يخرج إلى القرى القريبة والبلدان المجاورة ويمكث فيها أياما وشهورا ثم يرجع إلى قريته طغل.

**النصوص الأدبية للشيخ عثمان بن فودي:**

كان الشيخ عثمان بن فودي قد قضى عمره في الدعوة إلى الله آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، كما ذكر ذلك أخوه عبد الله بن فودي في قصيدته التي بين فيها نشاطات الشيخ حيث يقول:

عثمان من قد جاءنا في ظلمة * فأزاح عنا كل أسود دجدج

ودعا إلى دين الإله ولم يخـف * في ذاك لومة لائم أو فجفج[٣]

وهذا لم يمنعه عن التأليفات العديدة التي من ضمنها النصوص الأدبية القيمة والقصائد الشعرية الممتعة التي أدت دورا حساسا في تنمية الوطن النيجيري من عدة أغراض ينبغي اقتباسها لهذا الجيل لتعم الفائدة، ومن أمثال هذه النصوصقول الشيخ عثمان بن فودي عن العقل:

> فالعاقل من عقله في إرشاد، ومن رأيه في إمداد، فقوله سديد وفعله حميد" إلى أن قال: "وفائدة العقل الاستشهاد بما شاهد على ما غاب فمن كان يستشهد بما شاهد على ما غاب سمي عاقلا....." وقوله: "ومنهم – أي الناس– من كان عقله مغلوبا بالشهوات المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنساء والخيل المسومة والأنعام فلحق بالبهائم، ومنهم من كان عقله معلوبا بالشهوات المحرمات من الكبر والعجب والحسد والغش إلى غير ذلك فلحق بالشياطين"[٤]

ومن هذا النص نفهم أن الشيخ يريد أن يرشدنا إلى أهمية العقل في جميع نواحي حياة المجتمع من حفظ حقوق الآخرين وتجنب المحرمات كالسرقة والكذب والخياتة والكبر والغش والرشوة والأمور التي تؤدي إلى الهلاك والخصومة ما دامت أمة تتصف بمثل هذه الأخلاق كما يحدث في الوطن النيجيري.

كان للعقل دور كبير لا يستهان به نحو الرؤساء والأمراء والولاة كما ذكر ذلك الشيخ: "ومن الخصال المحمودة للأمراء وغيرهم العقل" وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "أفضل الناس أعقلهم"[٥].

ومن المؤسف جدا يظهر عدم مبالات الحكومة بالنصوص الأدبية العربية التي لو اهتمت الدولة بثمل هذه القصائد وأخذ ما فيها من الدروس الموجودة والعمل بها، لأصبح الأمر أفضل مما كان عليه الآن لما ينكس جليا في الفساد الأخلاقي والإداري في المجتمع. فإذا قامت الحكومة بواجباتها نحو حفظ عقول الرعية ولا سيما الشبان منها تصبح الأمة على خير كما يثبت ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول لعويمر: "يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا، قلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ومن لي بالعقل؟ قال: اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا، ثم تنقل صالح الأعمال تزدد بالدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا".

ومن ذلك قول الشيخ عثمان يقوي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الأمانة إلى أصحابها وهو الأساس الوحيد في نشر الأمن والراحة بين أفراد المجتمع. واستمر يرشدنا إلى الاكتساب وكلما نكتسبه أن يكون حلالا طيبا.

هذه النقطة مهمة جدا في تنمية أي دولة في العالم، لأنه يقال: "لو أنصف الناس لاستراح القاضي"، ومن الأسف الشديد أن معظم النيجيريين لا يبالون من أين يكتسبون أموالهم وإلى أين ينفقونها؟ لا سيما أعضاء الحكومة أي الموظفون السيوسيون، فأصبح معظمهم يسرقون موارد الدولة من الأموال وغيرها فتجد الواحد منهم يسرق بلايين بل ترليونات من النيرات والدولارات لا يدري ماذا سيصنع بها فيأخذها إلى دول أخرى يدخرها هناك ولا يستطيع استهلاكها إلى أن يتوفى ويكون بذلك لم يستفد منها هو ولا أهله ولا وطنه، أليس هذا نوعا من الجنون؟ يأخذ ما لا يستطيع استهلاكه ومع ذلك إن وجد فرصة أخرى لضاعف بدون الشفقة على الآخرين.

فمثل هذه العادة السيئة التي يفعلها أعضاء الحكومة لا سيما السياسيون منهم جعل السيدة فريدة وزير رئيسة حكومة (EFCC) الأسبقة تقول:" تحتاج عقول كبار المسؤولين في الحكومة إلى الفحوص الطبية للتأكد من سلامتها "[٦].

واستمر الشيخ عثمان بن فودي في القصيدة ينصح الأمة من عدم التبذير لأنه عمل غير صالح، وهو قوله:

وهكذا تعاون في البر * وفيه أمـــر العرف نهي النّكر

كذلك اتباعنا الجماعة * وهكــذا أداؤنا الأمـــــانة

منها خميس مغنم أداؤه * وهكذا الفرض كـــــذا وفاؤهُ

كذا الجهاد فيه جا المرابة * ذلك إحســـــانك بالمعاملة

وفيه جمع مالنا من حله * إنفـــاقه لله فـــي محلـــــه

وترك تبذير مع الإسراف * يدخل فيه دم على الإنصاف[٧].

ومن حماقة هؤلاء الأفراد الذين يقومون بسلب أموال الدولة ظلما وطغيانا ناسين بأنهم سيموتون ويحشرون ويقفون أمام رب العالمين ويسألون، كما يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه...."[٨].

ومن النصائح الجليلة قدمها الشيخ عثمان بن فودي تشجيع الأمة على طلب العلم وتعليمه إذ أنه أساس كل خير كما يقال عن طلب العلم من حكم كلام بعض العلماء: "من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أراد هما معا فعليه بالعلم أيضا"[٩]، كما أنه لم ينس تذكير بعض الخصال الخيرة التي ينبغي أن يتصف بها المرء كالوفاء بالعهود والتوكل والتواضع للحق وتوقير الكبير والرحمة للصغار ثم انتقل إلى النهي عن بعض الخصال السيئة التي يحذر المرء أن يتصف بها كالكبر والعجب والحقد والحسد والغضب وغيرها، وضمن الشيخ هذا الكلام في الأبيات الآتية:

كذلـــك الوفاء بالعـهود * وهكـــذا إقامـــة الحـــدود
توكـــل ورحمـة للخـــلق * وهكـــذا تواضـــع للحـق
وفيـــه توقيـر الكبير يأتي * ورحمـــة الصغـــير بالبتات
وفيه تـــرك كبرنا والعجب * وترك حقـد حسـد والغضب
والنطق بالتوحيد من إيمان * وهـكـــذا تـــلاوة القـــرآن
تعلم العلـم كـــذا تعليمـه * كذا الدعاء واعتقد تعظيمه[١٠]

ومن نصائحه أيضا الحث على اجتناب هتك أعراض الآخرين وإفشاء أسرارهم والقيام بالحديث عن عيوبهم وكلها من الأفعال الذميمة، فقال: "وإذا علمت أن التعرض لهتك أستار الناس والاشتغال بعيوبهم خطر كبير وذنب عظيم ..."[١١]

إن هذه الصفات من الأشياء الذمية التي لا تأتي بالخير بين الأمم، وقد تؤدي إلى إشعال نار الفتن في المجتمع وأحيانا تولد القتال بين فلان وآخر وبين أسرة وأخر وبين حي وآخر وبين بلد وآخر وبين قبيلة وأخرى وينتقل بين دولة وأخرى وآخره يقود إلى الندامة والخسارة من سفك الدماء وإتلاف الأموال والأنفس وقس على ذلك.

ومن الأخلاق الذميمة التي تحدث عنها الشيخ بكثير هي الأخذ بالرشوة وخاصة بين موظفوا الحكومة الذين تصدر منهم الحكم العام بين الجمتمع من القضاة والملوك والوزراء والرئساء والوكلاء وغيرهم، وهذا قوله:

"وإياكم ثم إياكم من اتخاذ االرشوة في الحكم وجميع الحوائج المطلوبة منكم لكن ذلك في الحكم أقبح وأشنع. ولتفعلوا ذلك بالله لأجل الله لا غيره وعليكم بالتفاوق في كل خير من دون التفارق واختلاف لأن في ذلك بركة كثيرة ولا يقدر أحد على انكساركم بذلك".

وكذلك يقول عنها أي الرشوة:

"وأكرر مقالتي: إياكم من أخذ الرشوة في الحكم وقد أمرتكم بعدم أخذ الشوة لتحريم ذلك كتابا وسنة وإجماعا، لأنه أكبر مفتاح نزول البلاء

والمصيبة، ولا يرضى كل رئيس صالح يأخذ الرشوة لأنه كفر لقوله – عليه الصلاة والسلام: "لعن الله الراشي والمرتشي"[١٢].

**الخاتمة:**

توضح نتائج الدراسة الحالية عددا من النقاط المتعلقة بمدى استخدام خطوات البحث الإجرائي في تطوير الأداء الأمني من وجهة نظر هذه المقالة في تنمية الوطن النيجيري وذلك على النحو التالي:

فيما يخص المحور الأول من أداة البحث بتحديد المشكلة من مقدمة البحث تجلى أن تنمية الوطن يتوصل إليها باقتباس مما قام به الأمم السالفة كيف عاشت من فشلها ونصرتها ومن أساليب الإرشاد والتوجيهات التي تصدرت من ذوي العقل فيها وأصحاب الخبرة فيها فتأخذها الأمة الحالية تدرسها لاستفادة بها في جيلها الحاضر عكس ما تفعله الدولة اليوم من الأخذ بالأفكار السيئة من الخارج مثل أمريكا واليابان وإنغلترى تقلدها في كل أمورها اجتماعيا، وثقافيا، واقتصاديا، وأديانها وترك ما ورثته من الآباء والأجداد ودفنتها تحت التراب، وهذا من ضمن الأشياء التي سببت للدولة النيجيرية عدم التقدم.

ونفهم من هذه النقطة أن من أولى نصائح الشيخ عثمان بن فودي قد بدأت به هذه المقالة هي نصيحته في حفظ العقل لأنه هو الذي يفرق الإنسان بالدواب فكلما ساهلت الحكومة في أمور الحبوب الفاسدة للأخلاق من المخدرات تتجول بين أفراد المجتمع بلا قيد هذا يؤدي إلى إدمان وبالتالي يعم الفساد بدلا من الإصلاح.

والمحور الثاني يؤيد الكلام عن الأمانة من أخذها وأدائها بين الرعية وهذا من الأمور لو قامت به أي دولة سرعان ما تنمو وتتقدم ولأن كل مواطن يؤدي واجبه بدون خداعة ولا غش، ولا خيانة، ولا كذب، ولا سرقة يظهر أثره على الدولة في الازدهار.

وفي المحور الأخير الخاص الحث على طلب العلم، لا يتغافل لدى كل عاقل موقف العلم في إحياء الأمة وارتقاء شأنها إلى الأمام إذ به يميز بين الخير والشر وبين الجميل والقبيح وبين الطيب والخبيث، الأمر الذي يتعذر طلبه لأفراد الوطن النيجيري في هذه

الأيام لعدم توفر أسبابه من قلة المدرسين والمدارس وكذلك عدم توفير الحكومة أدوات التدريس في المدارس وإن وجدت المدرسين تجد بعضا منهم غير أكفاء لعملية التدريس ثم كثرة التلاميذ في فصل واحد إذ يبلغ عددهم مائة وخمسين في فصل أو أكثر من ذلك في المدارس الحكومية، وهذا يدل على عدم اهتمام الحكومة بالتعليم واختيار الجهل بدل العلم، وبهذا يكثر الجهال فيها ويقل علماؤها فتكثر غباوتها وقساوتها ويقل خيرها ونصرها.

ومن أهم النتائج الذي توصل إليه هذا البحث يرى أن الإدارة هي الأصل في حدوث هذه الفتن لما يظهر من عدم مبالاتها بشأن اللغة العربية ناهيك عن نصوصها القيمة التي يوجد من ضمنها النصائح الميمونة لو عملت بها لوجدت الحلول في كثير من المشاكل.

**المقترحات والتوصيات:**

في ضوء تنائج هذه الدراسة، فإن الباحثين يقدمان المقترحات والتوصيات الآتية:

١- أن يقوم المدرسين وطلاب العلم بالبحث وإخراج مثل هذه النصائح لتعم الفائدة في المجتمع.

٢- على كل مواطن أن يكون نشيطا على القيام ببعض الأعمال التي تساعده الاعتماد على نفسه كما تشير إلى ذلك بعض هذه النصوص.

٣- يجب على كل فرد ألا يتهاون بكسب الحلال مهما تكن الصناعة من حيث لا يكون كلاً على الآخرين.

٤- يجب على على شعب نيجيري أن يتصف بالصدق والأمانة في جميع معاملاته من الموظفين والعمال وكذلك الطلبة والتجار وقس على ذلك.

٥- على الحكومة أن تقوم بالبحث عن الطرق التي تقوم في اختراع الحرف والشركات التي تساعد الشعب في الاعتماد على النفس.

٦- تقديم دورات تدريبية من قبل وزارة التربية والتعليم تعين معلمي الأدب العربي على تطوير أدائهم المهني من خلال ممارسة البحث الإجرائي على الوطن النيجيري.

**الهوامش والمراجع:**

[١]- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (الدكتور)، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٧٠٤م إلى سنة ١٩٦٦م**، شركة دار الأمة كانو، نيجيريا، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م، ص٥١.

[٢]- محمد بلو بن عثمان بن فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، الاتحاد الاشتراكي العربي، دار ومطابع الشعب ٩٢ شارع ٩٢، قصر العيني، ت ٣١٨٨٠، القاهرة، ص٥٨.

[٣]- محمد بلو بن عثمان بن فودي، المرجع نفسه، ص٦٠.

[٤]- نور الزمان عثمان بن محمد بن عثمان، **بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد**، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ظامير يرو، صكتو، نيجيريا، (بدون تاريخ)، ص ١٣٤-١٣٥.

[٥] - إدريس قاضي غند (الشيخ)، **كتاب جامع أهم مسائل الأحكام في قطع الخصام مما اشتد إليد حاجة الحكام**، مكتبة الجندي، ميدان سيدنا الحسين القاهرة، (بدون تاريخ)، ص٢٣٢.

[٦]- الشيخ عبد الله بن فودي، **منن المنان في التصوف مع شرحه شكر الإحسان**، ص١٢-١٣.

[٧] - أبو عبد الله طارق بن عبد الله، **تحفة الأشراف**، الجزء الحادي عشر، رقم الحديث ١١٥٩٧، ص٦.

[٨] - http:/www.alfawzan.af.org.sa/sites/defaultes/5827. mp3، 13th September، 2017.

[٩] - الشيخ عبد الله بن فودي، منن النتان في التصوف مع شرحه شكر الإحسان، المرجع السابق، ص٨-٩.

[١٠]- عثمان بن محمد سمب جمو الفلاتي الماسني، **الجامع الحاوي لفتاوى الشيخ عثمان بن فودي**، دراسة وتحقيق: محمد المنصور إبراهيم (الدكتور)، الباحث بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي، سكتو، نيجيريا، الطبعة الأولى، دار الأمة لوكالة المطبوعات- كانو نيجيريا، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٦٤.

[١١] - الشيخ عثمان بن فودي، وصية الشيخ عثمان بن فودي، طبع على نفقة الحج محمد طن إغي، ظامير يرو صكتوا نيجيريا، طبع بمطبع الزهراء لإعلام العربي، (بدون تاريخ) ، ص١٣.

# صور من أساليب المعاني في ديوان الشيخ عبد القادر بن المصطفى: دراسة بلاغيّة تحليليّة.

**الدكتور محمد آدم**
**adammuhammad399@gmail.com**
**و**
**أبوبكر ثاني علي**
**asaliyurijiya@gmail.com**

**المقدّمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد خير عباد الله أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن التراكيب الكلامية تتفنّن – على الرغم من تفاوتها واختلاف مناهجها – إلى فنون بلاغية مختلفة: البيان، والمعاني، والبديع، على أن المعاني منها يتراح بين عديد من الظواهر المتنوعة، والأساليب المتشعبة من بينها أساليب القصر، والإيجاز، والإطناب. هذا، وتأتي المقالة مشتملة على النقاط التالية:

**النقطة الأولى: التعريف بالشاعر**

هو عبد القادر بن المصطفى بن إبراهيم بن موسى بن علي بن جبّ بن عال بن محمد بن أيوب بن ماسران، فهو سبط للمجدد الشيخ عثمان بن فودي – رحمه الله – من جهة خديجة إحدى بنات الشيخ من زوجه " غابد"[١]، فينتهي أبواه إلى ماسران[٢]، الجد الثالث بعد جكلّ، وهو من قبيلة توربّ، ويكنى عبد القادر بن المصطفى بـ"طن تفا" نسبة إلى أبيه.

وقد أفادت الوثائق التاريخية أن الشيخ عبد القادر بن المصطفى توردي النسب والقبيلة، فينتسب إلى أكبر فرع من فروع القبيلة الفلاتية، المعروف بـ" توربّ"، وهم من "فوت" أخوال الفلاتيين[٣]. وأمّا أسرته فينتمي الشاعر ابن المصطفى إلى أسرة ذات عراقة مجيدة، كما في سلسلة نسبه الشريف، تضم كثيرا من الأسر والعشائر، تنتهي إلى الصحابيّ الجليل عقبة بن نافع الفهري، أو ابن عامر[٤]، وعقبة هذا هو ذلك الصحابي المجاهد الذي فتح بلاد الغرب زمن عمر بن العاصي في مصر. والحاصل أن عقبة تزوج بابنت ملك قبيلة من قبائل الفلاتيين اسمه "بجّ مغّ "، ووفدت هذه القبيلة إلى عقبة وجماعته وأسلم ملكها، فولدت له الفلاتيين حيث تكلّمو بلغة أمّهم دون لغة أبيهم، لقلّة من يتكلّم بهـا آن ذاك، واللعة الفلاتيّة هي اللغة الأصلية لـ" توربّ "{TOROBBE}[٥].

**النقطة الثانية: أسلوب القصر**

سيتناول الباحث في هذه النقطة حدّ القصر وطرقه ونماذجه في ديوان الشاعر بن المصطفى.

**أولا**: القصر؛ تعريفه وطرقه

القصر هو حبس شيء أو تخصيص أمر بآخر بطريقة مخصوصة، يتكوّن عن طريق وسائل تتمثل في النفي والاستثناء، وإنما، والعطف بلا أو لكن أو بل، وتقديم ما حقه التأخير[٦]. وهذه الوسائل هي طرقه، وهو من أنماط الكلام التي يصطبغ بها الأسلوب عند الشاعر عبد القادر بن المصطفى، وقد نوع في استخدام أساليب القصر، حسب الوسائل والأحوال للحكم على ما احتوى عليه الأسلوب بإثباته، أو نفيه عما سواه، وينقسم إلى حقيقي، وهو ما إذا كان تخصيص الشيء بشيء على الحقيقة، بألاّ يجاوزه إلى غيره أصلا، وغير حقيقي[٧]؛ وهو ما كان الاختصاص فيه حسب الإضافة إلى شيء آخر بألاّ يتجاوز ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة، وقد يكون كل منهما قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف[٨].

فمما يمثل القصر الحقيقي في الديوان الإتيان بقصر صفة على موصوف مستخدما أسلوب ماحقه التأخير في قوله:

فالحكم للمولى وليس لغيره * وله التصرف خفية وعلانية

فهو قصر صفة على موصوف أتى على أسلوب تقديم ما حقه التأخير، وهو شبه جملة "له" على ما حقه التقديم، وهو "التصرف"، والشاعر ينتخب ذلك للإفصاح عن حقيقة واضحة لا يحوم بها ريب ولا شك، وهي إثبات التصرف المطلق في الشؤون الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية للحق وحده، ونفي ذلك عمن سواه.

ومما يدل على براعة شاعرنا في الميدان البلاغي افتتاح البيت بالأسلوب الخبري، الواقع في جملة "فالحكم للمولى" وتأكيدها بجملة النفي لغيره ثم أعقبها بأسلوب القصر، ولرساخة قدمه في الذوق النحوي ختمه بجملة حالية.

ومن قبيل ذلك قوله:

بك الاستعانة فيما بليت * به من معانات قومي وثغر

والشاهد قوله "**بك الاستعانة**" قصر صفة على موصوف جاء على أسلوب تقديم ما حقه التأخير، فتقدم الجار والمجرور وهو الخبر على المبتدأ يشعر بقصر الاستعانة على الله، ونفيها عما سواه سبحانه وتعالى، فهو الوحيد المستغاث به في كل ما يبتلى به المخلوق. ومنه قوله:

صلى عليه الله خير صـــلاته * مقـــرونة بسلامـــه متوالية

وعلى عشيرته الكرام وصحبه * والتابعين من القرون الهادية

فالشاعر يدعو الله تبارك وتعالى أن يصلي ويسلم على الرسول – صلى الله عليه وسلم– مستخدما أسلوب التقديم والتأخير لقصر الصلاة والسلام على النبي– صلى الله عليه وسلم، وعلى المعطوف عليه من العشيرة والصحب الكرام والتابعين لهم.

أسلوب القصر وقوعه جملة إنشائية دعائية في سياق الخبر، متبعة بجملة حالية، منه قوله:

ذاك الرسول المصطفى خير الورى * وإمام كل الأنبياء الماضية

يبني القصر على أساس إثبات أن الوصف مقصور على الممدوح ولا يتعداه، بمعنى أن النعت والمنعوت قرينان متلازمان تلازما أخويا، فيتحلى ذلك عندما يقصر الرسالة على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم، وتعدد الوصفية بالرسالة والاصطفاء[٩] والخيرية والإمامة، وهي كلها تصدق على الموصوف على الترقي، ذلك بأن الرسالة لا تقع إلاّ باصطفاء من الله، وهو أعظم ما يوهب المرء من خير وبركة، وكلما تجمعت هذه القيم فقد أحلّت صاحبها رتبة عالية، وأجلّها إمامة الأئمة.

فوسيلة القصر هنا هي التعريف في كلمة "الرسول" حيث ورد اللفظ معرّفا.

ومن نماذج قصر الموصوف على الصفة بواسطة العطف بـ"لكن" قوله في الديوان:

فحق لعيني وقلبي جميعا * عليه احتراق وسح بدم

وأرثي عليه بنثر الكلام * وعقد النظام برسم القلم

ولكن رضيت بحكم الإله * وأمر المهيمن فهو الحكم

إخبار من الشاعر أن فقد الحبيب يستوجب لوعة القلب حزنا، وسكب العين للدموع أسى ووجدا، كما يحرك ذلك عاطفة الشاعر لإنشاء الكلام المنثور، ونظم الشعر رثاء عليه، ثم استخدم "لكن" للقصر في قوله: "**ولكن رضيت بحكم الإله**" فتراه يختار العطف بـ"لكن" لتخصيص الرضى على حكم الإله فقط، مستدركا أنه مع كل ما تقدم لابد من التسليم والانقياد لقضاء الله والتفوض لشأنه، فهو كما يبدو قصر موصوف على صفة. ويلاحم هذا الأسلوب نظيره الآخر في قوله: "فهو الحكم"، بمعنى أن صدور النفاذ للأمر لا تقع إلاّ من الله فهو علاّم الغيوب.

**النقطة الثالثة: أسلوب الإيجاز**

الإيجاز لغة: من وجز الكلام وجازة، وأوجزه: اختصره، ويقال: أمر وجيز وكلام وجيز: أي خفيف مقتصر[١٠].

والإيجاز اصطلاحا: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوسط[١١]، وهو نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، وأما إيجاز القصر فهو ما ليس فيه حذف، وأحسن مثال له قوله تعالى: {ولكم فى القصاص حياة.....}(سورة البقرة، الآية:١٧٩)، فليس في الآية حذف مع أن المعنى زائدة على ألفاظها، فالمقصود أن الإنسان مهما أيقن أنه إن قتل قتل، كان ذلك داعيا قويّا يكفّه عن الإقدام على القتل، وقد يكون بمعنى زاد، فارتفع بالقصاص سفك دماء الناس بعضهم لبعض ظلما[١٢].

ومن هذا المنطلق ينظر نظرة أخرى في التركيب، فإن زادت معانيه على ألفاظه في الكثرة كان إيجاز قصر ما لم يكن فيه حذف، وإلاّ، فهو إيجاز حذف، والإيجاز قد شد به شاعرنا عبد القادر بن المصطفى كثيرا من عباراته في الديوان، وضمّنها معان مطنبة في ألفاظ قصيرة مختصرة.

من نماذج الإيجاز بالقصر في الديوان قوله:

سل الغوبر عنهم في وقائعهم * هل يصبرون ونار الحرب تلتهب

بتأمّل البيت تأمّلا جيدا يدرك القاريء أن في البيت عبارات موجزة ضمّنت كثيرا مما دار خلال الحروب التي جرت بين جماعة "الشيخ" وجماعة "غوبر". ومنه قوله في سياق الحديث عن مرثيته للشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله تعالى:

فيا رزء كل المسلمين لفقده * فقد عمت البلوى به كل عالم

يتراءى للقاريء المنعم للنّظر في البيت ما فيه من التضمين الجيد، حيث ضمّن الشاعر البيت عدة معان تستحق كلٌّ منها الاستقلال بعبارات مفصلة، ولكنه اكتفى عن ذلك بوجازة التعبير المؤدي إلى بلاغة القول إذا طابق الحال ولاءم المقام.

ولقد رضينا بالقضاء وحكمه * فالخق مجرى للقضاياالطارية

يعمد الشاعر في البيت إلى قصر العبارات وتطويل المعنى، فهو يبرهن على لزوم هذه الشعبة الدينية كل الناس، وهي التسليم لقضاء الله وقدرته، فكل الأنام عرضة الأقدار والعوارض.

**النقطة الرابعة: أسلوب الإطناب**

والإطناب هناك علاقة رابطة بين معناه اللغوي والاصطلاحي، إذ هو في اللغة من أطنب في الأمر، يقال: جراد مطنّب: كثير، ونهر مطنب: كثير الذهاب[١٣]، وفي الاصطلاح: أداء المقصود من الكلام بأكثر من متعارف الأوسط[١٤].

وهذا النوع من أنماط الأساليب التي يخلق منها معان راقية قصد بها التفصيل بعد الإجمال، وخاصة في أغراض الرثاء، والمدح، والوصف، وباقي الأغراض الشعرية التي حظيت بحظ أوفر في الديوان. فإذا أجمل بأن المولى عزّ وجلّ قد تفضّل على المسلمين بالحسنى، ومدافعته عنهم بقوله:

حمدا وشكرا لمولانا بما صنعا * للمسلمين من الحسنى وما دفعا

فقد فصل ذلك مباشرة في قوله:

إذ أيّد الدين بالنصر المبين وبالـ * فتح المبين فـذلّ الكفر واتضعا

وحلّ أهلـوه في دار البـوار وفي * مهواة هلك عليها جندهم وقعا

أجاد الشاعر في تفصيل ما أجمل من الحسنى التي أنعم الله بها على الأمة المسلمة، والمقام مقام الشكر والثناء، وهو من المواقف الكلامية التي يتشفّف فيها المخاطب إلى شيء من الإيضاح والتفصيل، فيؤدي ذلك إلى الإطناب بالألفاظ إطنابا غير مخلّ بالبلاغة.

ومن قبيل ذلك إجماله في ذكر ما يتصف به أمير المؤمنين محمد بلّو من الأخرق الرّضيّة والخصال الحميدة في بيت من الشعر فقال:

ذاك الأمير محمد فخصاله * محمودة في سائر الأشياء

مقدمة جيدة تتشوّق بها نفس المخاطب منتظرة سرد بعض ما أجمل من المواصفات في نوع من التفصيل، فحسن قد استجاب لذلك الشاعر قائلا:

ولـه مناقـب جمـة معلومـة * خذ بعضها بالعدّ والإحصاء

فأجـلها نور الهدايـة والهـدى * وكمال نيل الحـظ فى العلماء

وكذا الخلالافة والعدالة والسخى * وبـلاغة في النثر والإنشاء

وجهاده الأعـــدا كـــــذا تأييده * بالنصر والتمكين فى الأرجاء

والـــرأي والتدبير فيـــــما ينبغي * وزهـادة فى المـــال والازيـــاء

وعفافه وسماحــه وبهـــــــــاءه * وكـمالـــه فـي الـرأي والآراء

تفصيل محكم لما أجمل من النعوت والصفات التي يتحلى بها المرحوم الأمير محمد بلّو، ساقها الشاعر في أساليب بلاغية مختلفة: خبرية، وإنشائية، وتفصيلية، مستخدما في ذلك الألفاظ المعجمية الموحية، الدالة على ثروته اللغويّة، وأرصدته المعجميّة، متمثلا فى استعماله لكلمات: "مناقب" فلم يقل بدلها "منازل"، و"جمة" فلم يستخدم مكانها "كثيرة"، و"نيل" فاستغنى بها عن "وجود"، وكذلك استغنى بـ"السخى" عن "الكرم" و"العطاء".

والملاحظ أن لكلّ من الإيجاز والإطناب سموّه التعبيري، ورقيه البلاغي، إذا ناسب المقام واستدعاه الحال، فلا يقل أحدهما عن الآخر بلاغة ما لم يخلّ بشروط الرقيّ الأسلوبي، والمساواة هو تأدية الأصل المراد بلفظ مساو له، ولم يتطرق الباحث للحديث عن ظاهرة المساواة، لأنه مهما عمد إلى أسلوب أو تركيب فى الديوان ليعتبره مثالا وشاهدا لها وجده بعد دقّة النظر داخلا إمّا فى الإيجاز أو فى الإطناب.

**الخاتمة:**

حاولت هذه المقالة معالجة ظواهر بلاغيّة ذات أهمية بمكان، تتمثل في أساليب القصر والإيجاز والإطناب في ديوان الشيخ عبد القادر بن المصطفى، فتناولت تلك الظواهر البلاغيّة بالدراسة النظريّة، حيث تطرّقت إلى تعريف القصر وبيان طرقه، وعرّفت بالإيجاز تعريفا لغويّا واصطلاحيّا، كما حدّدت تعريف الإطناب اللغوي والاصطلاحي.

هذا، وقد أورد الباحث صورا نموذجيّة لكلٍّ من الظّواهر البلاغيّة وحلّلها تحليلا بلاغيّا.

**الهوامش والمراجع:**

١. سركي إبراهيم، **عبد القادر بن المصطفى، حياته ومؤلفاته النثرية**، ص ٤٨.

٢. ابن فودي، عبدالله، **كتاب النسب**، مخطوط، ص٥.

٣. ابن فودي، المصدر نفسه، ص١.

٤. أغاكا، أ. د. عبد الباقي شعيب، **أساليب بلاغية في ديوان الشيخ عبدالله بن فودوي**، ص١٧.

٥. ابن فودي، الشيخ عبد الله، كتاب النسب، المرجع السابق، ص١- ٢.

٦. عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤م، ص٧.

٨. القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، دار البيان، بيروت، بلا تاريخ، ص٣.

٩. ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج٥، ص٤٢٧.

١٠. الصعيدي، عبد المتعال، المرجع السابق، ج٢، ص٩٦.

١١. القزويني، المرجع السابق، ج٣، ص: ١٨١.

١٢. الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص٣٩٧.

١٣. الصعيدي، المرجع السابق، ج٢، ص١١.

١٤. الصعيدي، عبد المتعال، المرجع السبق، ج٢، ص: ٩٧.

# الدبلوماسية في دالية ابن الصباغ الكشناوي
# في مدح مي علي عمر؛ أمير برنو (١٦٣٩-١٦٨٠م)

الدكتور عبد العزيز أحمد ماش

**المقدمة:**

اقتضت مشيئة المولى القدير أن يكون الإنسان حيوانا اجتماعيا لا يمكن له العيش وحيدا، بل يحتاج دائما إلى من يرافقه في مسيرة الحياة، فتراه- خلال إقامته وترحاله، وفي أجواء حياته المشتركة - يتعامل مع الأجناس المختلفة من ذوي ثقافات وديانات ومبادئ متباينة، فتنشأ العلاقات بين الأفراد والأمم في المنشط والمكره مما يوجب لهم الاتصال المباشر لحل القضايا ذات الصلة بالشؤون السياسية والاقتصادية، وبالتالي يسعون إلى توطيد العلاقات الثقافية والدينية وغيرها مما يمهد الوحدة بين الشعوب والقبائل وبين الدول والأقطار، فترسل الدول سفراءها إلى الدول الأخرى ليتحاوروا ويتفاوضوا باسمها، والهيئة المكلفة بهذه الخدمة الجليلة تسمى "السلك الدبلوماسي" .

والدبلوماسية من أقدم فنون السياسة في تاريخ الدول والمماليك، وقد نوه القرآن الكريم عن الدبلوماسية ومبادئها في مخاطبة موسى وهارون - عليهما السلام - إبان رسالتهما إلى فرعون لما طغى " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" .(سورة طه:٤٤) وهذه الأوامر الإلهية تلزم الممثل أن يتفاوض بالحكمة، ويتعامل بالحسنى، ويسعى إلى تحقيق أهدافه بأحسن الطرق والوسائل.

وبالرغم من قدم العلاقات بين الأسر الدولية فإنها لم تزل من الموضوعات المتروكة على بساط الدرس، وذلك لما فيه من كثرة المستجدات في العلاقات البشرية والمصالح الدولية، وحدوث الطوارئ بين الدول الشقيقة والصديقة. ومن هذا المنطلق رأى الباحث أن يعالج إحدى قصائد الشيخ محمد ابن الصباغ الكشناوي ويدرس ما فيها من الأسرار

البيانية والقيم الفنية البلاغية وما تحتويه من الحضارة الإنسانية ذات الصلة بالمبادئ الدبلوماسية الممتازة والتي استطاع ابن الصباغ بواسطتها أن يصير بلاد الهوسا شقيقة لمملكة برنو منذ تلك القرون الغابرة، فتعيش بجوارها في الأمان والسلام.

**مفهوم الدبلوماسية وموجز تاريخها.**

الدبلوماسية كلمة ينونانية الأصل ومشقة من لفظ "دبلوم" ومعناه " طبق طوي أو ثني" أي صحيفة مطوية، ويقصد بها " الوثيقة الرسمية التي يحملها المبعوثون الرسميون للاعتماد عليها لدى سلطات البلد الموفد إليه"[١].

والدبلوماسية عبارة عن فن السياسة الذي يعتني بالعلاقات بين الدول لرعاية مصالحها الخارجية والتفاوض باسمها مع الآخرين ومتابعة تنفيذ الاتتفاقات المبرمة بين الطرفين.

ويظهر لنا جليا أن الدبلوماسية بأدق معناها "فن وعلم إدارة التواصل بين الدول وتقنية الحوار والمفاوضات، وعقد الصفقات التجارية العالمية وتوقيع المعاهدات الدولية، وذلك لتحقيق الوحدة والتفاهم الدولي"[٢].

وللدبلوماسية تاريخ عتيق في الثقافة البشرية حيث ورد – في قصص الحروب بين الدول والامبراطوريات القديمة – إعطاء الضمانات للمندوبين عن معسكر خلال المحادثات التي تجري بين المتحاربين لاتفاق على هدنة وسلام، وأمثلة ذلك كثيرة في "العهد القديم" من التاريخ اليوناني والروماني ، وكذلك في تاريخ الامبراطورية البيزنطية في العصور الوسطى، حيث إن السفراء بمثابة مفاوضين مع الخارج دون أن يكونوا دائمين، ولكنهم في رعاية خاصة وحماية طقوس البروتوكول، وذلك لما في حوزتهم من الرسائل وجوازات السفر ورخص المرور المختومة من الامبراطورية[٣].

وقد ذكرنا – قبل قليل– أن الدبلوماسية أخذت اسمها من اليونانية وتطورت على يد اليونانيين القدماء، وصارت فنا وعلم العلاقات والمصالح المتبادلة بين الدول والشعوب،

والحفاظ على المبادئ والقوانين الدولية ورعاية نصوص المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الدول.

هذا، وقد انتقلت الدبلوماسية من اليونانية إلى اللاتنية، فصارت تعني عندهم "الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث والمهنة الموفد بها، وحسن استقباله، والتوصيات الصادرة بشأنه من الحاكم يقصد تقديمه"[٤].

وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبارة عن أوراق تمسكها قطع من حديد تسمى "دبلوم"، ولما انتقلت الدبلوماسية إلى اللغات الأروبية صارت تعني في الفرنسية "مبعوثا أو مفوضا" أي الشخص الذي يرسل في مهمة، بينما تقصد في الإنجليزية "استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة." ثم شملت الدبلوماسية "مهنة الحوار في المفاوضات القائمة على الكياسة والدهاء والإجادة في السياسة الخارجية"[٥].

ظهرت الدبلوماسية العربية في أرقى صورها عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بداية القرن السابع الميلادي بعد استقرار دولة الإسلام الأولى بالمدينة المنورة ورسائله المختومة بخاتمه — صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل كسرى فارس، وقيصر الروم والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم من الملوك حين نشاهد خطوة كبيرة في تطور فن الدبلوماسية الحديثة. وقد استخدم الرسول– صلى الله عليه وسلم – الأساليب الدبلوماسية الراقية، ففاوض خصومه، وأبرم معهم الصلح، ودخل مع بعضهم في الحوار، وعقد معهم اتفاقيات الاحترام المتبادل والتعايش معهم في أمن وسلام واحترام كل دين لدين الآخر، والتقيد بمقتضيات الاتفاقيات المبرمة بين الجانبين. وقد تشبه الدبلوماسية إلى حد كبير "شعرة معاوية" في مقولته الشهيرة : لما سأله أعرابي قائلا "كيف حكمت الشام أربعين سنة ولم تحدث فتنة والدنيا تغلي؟"[٦]. فقال معاوية بن أبي سفيان: "إنني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت،كانوا إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها"[٧].

وقد تطورت الدبلوماسية في عصرنا الراهن وتشكلت بأشكال عديدة، فوضعت لها قواعد وقوانين وضمانات وغير ذلك من البروبوكولات التي سميت "الحصانات والامتيازات الدبلوماسية" التي يتمتع بها المبعوث الدبلوماسي بحماية خاصة كي يتمكن من القيام بأعباء مسؤولياته ووظائفه في حرية كاملة. وهذه الحصانة تشمل جميع المبعوثين ومقر البعثة وممتلكاتها حسب اتفقيات معينا للعلاقات الدولية (١٩٦١)[٨].

قسم الباحثون الحصانات الدبلوماسية إلى أربعة أنواع، وهي:

النوع الأول: وفي هذا النوع من الحصانة يعبر المبعوث الدبلوماسي أثناء وجوده في إقليم دولة أخرى كأنه لا يزال موجودا في إقليم دولته، ويترتب على ذلك عدة نتائج منها عدم خضوعه لقانون الدولة الموجودة فيها، ولا تسرى عليه تشريعاتها وإنما يخضع فقط لقانون دولته[٩].

النوع الثاني: وفي هذا النوع يكون الممثل الدبلوماسي نائبا عن رئيس دولته في مباشرة الوظائف الدبلوماسية وهذا يؤهله بأن يتمتع بامتيازات وحصنات الرئيس وبالتالي لا يجوز مسائلته على أي وجه من الوجوه.

النوع الثالث: وفي هذا النوع يحظى الممثل الدبلوماسي بامتيازات وحصانات ليتمكن من ممارسة وظيفته بشكل فعال وميسر، أي أن الحصانات المقررة لمصلحة الوظيفة وليس لفائدة الممثل الشخصية، وعلى هذا فلا يسأل عن أي فعل له علاقة بوظيفته، ويسأل فيما عدى ذلك.

النوع الرابع: وفي هذا النوع يعامل الدبلوماسي بنفس المعاملة التي تعامل دولته مبعوث الدولة الموفد إليها، أي يعامل بمبدئ المعاملة بالمثل بعيدا عن الاتفاقيات الدولية.

أما مقر البعثة فحرمته مصونة، ولا يجوز للدولة المعتمد لديها دخولها إلا برضى رئيس الدولة، ويترتب على الدولة المعتمد لديها التزام خاص باتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية مبنى البعثة من أي اقتحام أو ضرر، ومنع أي إخلال بأمن البعثة أو مساس بكرامتها، وكذلك تعفى مبنى البعثة وأثاثها وأموالها الموجودة فيها ووسائل النقل والمواصلات التابعة لها

من إجراء التفتيش أو الاستعلاء أو الحجز أو التنفيذ، ويعني ذلك أنه لا يجوز للسلطات المحلية دخول مقر البعثة أو اتخاذ إجراء فيها إلا بإذن من رئيس البعثة، ولا يجوز التعرض لمقر البعثة بأي إجراء إداري أو قضائي كإنذار رسمي أو إعلان تكليف بالحضور على يد محضر، ولا يقبض على إليه[١٠].

وقد تثير هذه المسألة قضية قيام البعثات الدولية بإيواء المجرمين الفارين من العدالة، فالمتفق عليه أن تتربصه الدولة المعتمد لديها وتنتظر خروجه فتقبض عليه، ولها عدم السماحة له بالخروج من أراضيها.

أما حرمة الوثائق الدبلوماسية فمصونة مطلقا أيا كان مكانها في مقر البعثة أوخارجه، سواء في زمن الحرب أوفي حالة قطع العلاقات الدبلوماسية.

**صفات الدبلوماسي الناجح ومميزاته**

يتضح لنا الآن – نتيجة الحديث عن الدبلوماسية – أن الرجل الدبلوماسي من كبار وأبرز رجال الدولة، ومن أهم الشخصيات في المجتمع وقد تلزمه الوظيفة الدبلوماسية أن يتصف بأوصاف ومميزات عديدة، ذات صلة بمظهره، وبداهته، وسلوكه،وأخلاقه، وجميع تصرفاته، ومنها[١١]:

أن يكون حصيفا عاقلا، قليل الغفلة، منتهز الفرصة، ذا رأي جزل، وقول فصل، ولسان سليط، وقلب حديد، وفطنا حاضر الفصاحة، وثابا على الحجج، عالما مسنا.

- وأن يكون تمام القد، ذا هيبة، ممتلئ الجسم، فلا يكون قميئا ولا ضئيلا، فأعين الملوك والقادة تتشوق إلى ذي الكمال وحسن المظهر.
- وأن يكون صحيح الفكر والمزاج، ذا بيان وعبارة ،بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه، وصدوق اللحجة، جيد اللسان لاتبدر منه البذلة.
- وأن يكون عفيفا، ونزيها، وأمينا، وكاظما للغيظ، محتالا في محاوراته، وقورا، حليما، جريئا لا يرتاع لتحديدات مرهبة، ولا يتغير بأطماع مرغبة، بل يضع الأمور في مواضعها ويقابل كل فعل بما يليق به.

- وألا يكون ميالا للنساء، إذ لا سر لهن، ولامن يشرب الخمر إذ تفضح شاربها وقد يبوح بما في نفسه من الأسرار.

**دالية ابن الصباغ الكشناوى في مدح أمير برنو مى علي عمر وأسباب قرضها:**

وقد يجدر بنا الآن أن نتحدث عن حياة ابن الصباغ والبلاد التى عاش فيها قبل أن نستعرض هذه القصيدة.

والشاعر هو الشيخ محمد بن الصباغ بن الحاج محمد بن بركة بنت إبرهيم الكشناوى المعروف بـ "طَنْمَرْنَا" (Danmarna) [١٢]، ذكره الإمام السلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودى في معرض حديثه عن علماء بلاد هوسا قائلا: "منهم (أي علماء بلاد هوسا) الشيخ الأستاذ المكاشف المعروف بابن الصباغ، دهليز العلم، له تأليفات، منها شرحه على قصائد عشرينيات "الفازازي"[١٣].

عاش الشيخ محمد بن الصباغ في القرن السادس عشر الميلادي، وله قصائد رائعة وضريحه الآن في مدينة كتشينا يزار.

أما بلاد هوسا فإنها تقع في وسط الإفريقية الغربية، يمر عليها القوافل التجارية من شمال القارة إلى مختلف الأمصار الإفريقية، مثل برنو وأدماوا وكمرون وغانة وغيرها من البلدان الغنية.

وتقع مملكة برنو ذات الحضارة العريقة في شرق بلاد هوسا، وفي الجنوب الغربي لمملكة برنو تقع دولة جكن (كرورفا) (Kwararrafa)[١٤].

وموقع دولة جكن الجغرافي لا يأهلها بأن تحدد الأمن والسلام في المنطقة، ولا تحظى بالاستراتيجية الدبلوماسية الهامة، إذا يمكن الاستغناء عنها في التجارة والزراعة والسفر إلى الدول المجاورة.

فكرت دولة جكن في توسيع نفوذها في المنطقة، فرأت أن تقوم بالاستيلاء على بلاد هوسا ذات الموقع الاستراتيجي في الإفريقية الغربية. وبلاد هوسا – في تلك الأزمنة – لا يسمح لها وضعها الاجتماعى أن تخوض المعارك، إذ هى في الفترة الانتقالية، تنتقل من

دولة غير مسلمة إلى الدولة المسلمة، وكذلك تعاني من مشاكل داخلية عديدة، فاستخدمت دبلومسيتها ففاوضت دولة جكن حبا للسلام وعملا بنصائح العقلاء من مغبة الحرب، ولكن الدولة الجكنية الطماعة أبت إلا أن تغير مسار الأمور، فصممت على الاستيلاء على بلاد هوسا.

خططت دولة جكن مشروعا عسكريا كبيرا لتحقيق هذا الإنجاز السياسي – لجهلها بأسس الدبلوماسية ومبادئها النبيلة، فبدأت بشن غارات متتالية على أطراف بلاد هوسا، وهاجمت مدينة، كنو، وكتسينا، وزكزك تمهيدا للاستيلاء الكامل في وقت قريب[١٥].

ثم أدركت دولة جكن أن مملكة برنو – المجارة لبلاد هوسا – لا تسكت عن هذه الفعلة، ولربما تمد إلى بلاد هوسا يد العون والنصرة، فيصعب عليها تحقيق طموحاتها الكبيرة، ولذا أعلنت الحرب المفتوحة على مملكة برنو – الهادئة في ذلك العهد – كي تخيفها وتضعف قوتها وتسدها عن إغاثة بلاد هوسا، فجهزت جيشا كبيرا ذا عدة وعتاد، وأسلحة مدمرة، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم، ونصر جيش برنو تحت قيادة أميرها العادل، مي علي بن عمر، وأذل القبيلة الجكنية المتغطرسة، فاستراح بلاد هوسا من الغارات العدوانية، فأمن العباد والبلاد وانتشر الأمن والأمان في جميع أرجاء الإفريقية الغربية[١٦].

**نص القصيدة**[١٧]:

علا عليّ على الكفار مجتهدا * مجاهد في سبيل الله منفردا
فاق السلاطين لم تدرك له مثلا * ليث الليوث جريئ القلب منذ بدا
أغاثنا غوثة لولاه ما ركدت * قلوبنا فرقا من كافر أبدا
ضاقت بنا الأرض من خوف بما رحبت * فجاء واستنقذ الأبناء والحفدا
يأيها الناس قولوا أجمعين معا * جزى الإله عليا خيره نقدا
أباد جيش جكن من عند آخرهم * وشتت الله شمل الكفر بل رقدا
سمعت أن أمير المؤمنين على * مشى إلى بلد الكفار مرتصدا
يا رب انصره وانصر حزبه نصرا * تقرنا وتسهل عيشنا رغدا

طـــغى كويفر في الســـودان مفتخـرا * فجال جولـــة جـبار طغـــى وعـــدا
لو ظـــن أن لـــه كفـــؤا يغالبـــــه * في الأرض ما جاوزوا بـــحرا ولا بلـــدا
كـــرورفا بحـــــثوا بالظلف حتفـــهم * فحـــان حينهـــم فـــي كف من سعدا
بالحج والـــزور والتصـــديق والنســـك * فحـــاز أفضـــل منهاج هنـــا رغـــدا
يصـــوم دهـــرا ويغـــزوا ناويا بـــهما * وجه الإلـــه على الرحـــمن اعتمـــدا
هـــذا مـــديح خـديم الشيخ سيد حمد * علـــى علي ملك البحرين سد عـــدا
أنا ابـــن الصباغ لا أخفـى على أحد * إلا علـــى جاهل قـــد لازم الـحسدا
الحمـــد لله حـــمدا واشكـــرن له * علـــى النجاة من الإجلاء من مـــردا
وجـــددوا الشكر من صـنع مى علنا * لقـــد فدى جملة السـودان من لـددا

**ملامح الدبلوماسية في دالية ابن الصباغ:**

تحدثنا بصورة موجزة عن الدبلوماسية في عتبة هذا البحث ورأينا أن هدفها الأساسي تطبيع العلاقات وتحسينها بين الدول والأقطار، وتمكين التعايش السلمي بين الشعوب والقبائل. وإن صح ذلك فإن ابن الصباغ قد استطاع- بداليته- أن يحقق هذه الغاية المنشودة، فتتجلي الدبلوماسية في أرقى صورهامن قصيدته الدالية، ويمكن أن نمثل ذلك بالنقاط التالية:

– إشادة الشاعر بانتصارات الأمير ومجهوداته الفاضلة فى تحقيق السلام في أرجاء البلاد، إذ في ذلك مخاطبة الأمير بأسلوب دبلوماسي جميل مناسب بمنزلة الأمراء ومكانتهم المرموقة.

أباد جيش جكن من عند آخرهم * وشتت الله شـمل الكفر بـل رقدا

– رفع الشاعر منزلة الأمير فوق سائر الأمراء في المنطقة بواسطة استخدام الأسلوب الدبلوماسي الممتاز الذي يكمن في التشبيه البليغ من قوله:

فاق السلاطين لم تدرك له مثلا * ليث الليوث جريئ القلب منذ بدا

– اختيار الشاعر ألفاظا دبلوماسية بديعة ليشجع بها الأمير على حفظ العهود والمواثيق بين بلاده وديار الهوسا في قوله:

أغاثـــنا غـــوثة لـــولاه ما ركـدت * قلوبنـا فـــرقا من كـافر أبـــدا

ضاقت بنا الأرض من خوف بما رحبت * فجـــاء واستنقـذ الأبناء والحفدا

– مدح الشاعر الأمير ومجد أخلاقه الفاضلة بأسلوب دبلوماسي رائع، وذلك باستخدام ألفاظ دينية مؤثرة في النفوس والمشاعر مما يوطد الأخوة والنخوة الإسلامية في قوله:

بالحج والزور والتصديق والنسك * فحاز أفضـل منهاج هنـا رغـــدا

يصوم دهرا ويغزوا ناويا بـــهما * وجه الإلـــه على الرحـــمن اعتمـــدا

– أثنى الشاعر على مملكة برنو – بأسلوب دبلوماسي حسن – ورحب بمجهوداتها في التدخل العسكري لسد الطاغية عن لاعتداء على الجيران الأشقاء في قوله:

كرورفا بحثوا بالظلف حتفـــهم * فحـــان حينهم فـي كف من سعدا

– استخدام الشاعر الألفاظ الخشنة على الأعداء للمبالغة في التحذير والتهديد والتخويف بالأسلوب الدبلوماسي المخوف في قوله:

طغى كويفر في السودان مفتخرا * فجال جولـــة جبار طغـــى وعـــدا

لو ظن أن له كفـؤا يغالبـــــه * في الأرض ما جاوزا بـــحرا ولا بلـــدا

– وضع الشاعر الأمير في أعلى المراتب في أسلوب دبلوماسي راق، وذلك بتسميته "أمير المؤمنين"، ووضع الأعداء في أدنى المراتب ، وسماهم "الكفار" في قوله:

سمعت أن أمير المؤمنين علـــــى * مشى إلـــى بلد الكفار مـــرتصدا

**الخاتمة:**

دار البحث حول القضايا العلمية ذات الصلة بالحضارة الإنسانية، ألا وهي "الدبلوماسية" وقد استطاع البحث أن يدرس مفهومها وخطورتها في الحضارة الإنسانية إذ هي من أهم الفنون التي تعتني بالحياة الإنسانية المشتركة، لذا، تحتاج إليها الدول والأمصار في جميع أحوالها السلمية والحربية، سواء بين الدول المجاورة والأشقاء، أو بين الأعداء والخصمة، وكذلك عالج البث الصفات الممتازة للدبلوماسي الناجح، فبين لنا أن

الدبلوماسي يجب أن يتصف ببعض صفات الكمال، خلقية وخلقية، وعلمية وعقلية، ونفسية وفكرية، بل وأن يكون موهوبا بما يأهله أداء مهامه بأكمل الوجوه.

درس البحث دالية ابن الصباغ فوجدها تحمل في طياتها ملامح الدبلوماسية الممتازة، وقد استطاع بها الشاعر أن يصير بلاد الهوسا شقيقة لمملكة برنو، وأن ينشأ بينهما العلاقة الدبلوماسية.

وأخيرا، يوصي البحث بأن تواصل شعبات العلوم الإنسانية في الجامعات العربية والأجنبية بالدراسة العلمية الدقيقة والبحث عن مثل هذه الانتاجات المخبوءة في دهاليز العلماء ودفاترهم، وإبراز مافيها من مختلف العلوم والفنون.

**الهوامش والمراجع:**

١-أحمد سليم، ص ٢٣.

٢-المرجع نفسه، ص٣٧.

٣-المرجع نفسه، ص٤٥.

٤-أحمد المهدي، ص ١٤.

٥- المرجع نفسه، ص ١٩.

٦-المرجع نفسه، ص٣٧.

٧-أحمد وهبان، ص٥٣.

٨-محمد الراعي، ص١١.

٩-إسماعيل صبري، ص٦١.

١٠-المرجع نفسها والصفحة ذاتها.

١١-عبدالرحمن أيمان، ص ١٠٦.

١٢- السلطان محمد بلو، ص ١٦٠.

١٣-المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

١٤- بلاد وجيرانها، ص ٩٥.

١٥- المرجع نفسه، ص ١٠٧.

١٦-المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

١٧- مجموعة قصائد ابن الصباغ، مخطوطة، ص١٧.

# ألفاظ الاقتصاد في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

الدكتور عبد القادر لاميطو إبراهيم

## المقدمة

الحمد لله الذي جعل الأرض ذلولا فامشوا مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور[١]. أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدي والبينات وهو التاجر الأمين في شبابه والمجاهد في الله على سبيل إدخاض الباطل وإعزاز أهل الصدق في الأعمال والصناعات والتجارات، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد فالنظام الاقتصادي الجيد هو غاية المجتمع الإسلامي قديما وحديثا. ومما يبرر هذا القول الألفاظ والعبارات الواردة في كتاب الله العزيز والسنة المطهرة وتداولها على أفواه الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة الأربعة المجتهدين، لذلك كان جديرا بأن يقوم الباحث بتناولها بالبحث وعرضها أمام المسلمين ليدبروها، ويجعلوها على نصب أعينهم لتعينهم في خلّ أزمات الاقتصادية في كل زمان ومكان. وصدق الله تعالى قوله الحق:" كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب". [٢]

البحث يحتوى على العناصر الآتية:

- المقدمة
- تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحا
- معاني الألفاظ التى لها صلة بالاقتصاد
- التحليلات
- الخاتمة

**تعريف الاقتصاد:**

الاقتصاد لغة: التوسط والاعتدال وضده الغلو وتجاوز الحدود. والاعتداء على حقوق الآخرين كما قال تعالى "أمة مقتصدة" أي عادلة ومقسطة.

واصطلاحا: هو نظام تبادل السلع والمتاجر والجعل والإجارة على مختلف أنواعها بين المواطنين ليستفيد بعضهم مع بعض. الألفاظ الواردة في ذلك هي العمل والفعل والصنع والكسب والاحتساب تشير إلى ذلك المعنى لأن الفرد يقوم بهذه الحركات على سبيل الإنتاج. هنا قد تكون هذه النشاطات نامية أو راكدة. وإن كانت راقية تجعل التجارات رائجة وإن كانت راكدة التبادل التجاري يكون ساقطا. ولنشير إلى معاني هذه الألفاظ والعبارات حسب ورودها في القرآن الكريم.

وهو يعني التوسط كما في قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم:" واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"(٣). كلمة واقصد بمعنى توسط فيه(٤). القصد بمعنى المستقيم نحو قوله تعالى:" وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين"(٥). القاصد ضده المائل أي غير المستقيم وهو الجائر في الآية. وقيل المائل في الحق منحرف عنه(٦). وقوله تعالى:" لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة"(٧). وقال الحمصي متوسطا بين القريب والبعيد لا شقة فيه. وقال مسافة لا تقطع إلا بمشقة وتكون في السفر البعيد(٨). ومن ذلك قوله تعالى أيضا:" ... فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد..."(٩). وقال الحمصي "مقتصد متوسط بين الكفر والإيمان(١٠) وقوله تعالى:"...فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ..."(١١). فهو نفس المعنى. وأما الاقتصاد في اصطلاح العلماء يرجع إلى قوله مثلا (عند رات اللن ١٩٢٢م) الكلمة لها وجهان في إيجاد المواد أو المواد الغزائية. أو المال عن طريق إدارتها أو إهلاك المال(١٢). وقال بعبارة أخرى النشاطات الاقتصادية أساسيا يراد بها إيصال الأموال أو تهليكها"(١٣). أما الكلمات الأخرى التى لها صلة متينة بالاقتصاد التى لا تكاد تنفك عنها فهي:

أ- العمل: ويقول العسكرى في الكلمة هو "إيجاد الأثر في الشيء ممثلا بقوله تعالى:" والله خلقكم وما تعملون"[١٤]. والعمل قد يكون صالحا فهو المطلوب وقد يكون غير ذلك مثاله قوله تعالى:"**إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**"[١٥]. هنا ذكر العمل الصالح ثم ذكر أنواعه. وأما غير ذلك نحو قوله تعالى:" من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب"[١٦]. ويقال (عمل الرجل يعمل واعتمل إذا عمل بنفسه)[١٧].

ب- أما الفعل فقالوا هو عبارة كما وجد في حال كان قبلها مقدورا عن سبب. ويليه كلمة الاختراع. بمعنى الاختلاق: الذي هو إيجاد غير مثال السبق أو إيجاد على غير سبب، وأما الإنشاء فهو الإحداث حالا بعد حال شيئا فشيئا)[١٨].

ج- الصنع: من الصناعة ما يتكسب به المرء ويعيش عليه وقد يكون حسنا وغير حسن كما قال تعالى:" الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [١٩]. وقوله تعالى في شأن داوود وابنه سليمان:"وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون[٢٠]. وأمر الله تعالى نبيه نوحا عليه السلام أن يصنع الفلك لا للتكسب باللنجاة من الغرق في الطوفان وقال:" واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون"[٢١]. وقال في تربية موسى في بيت عدوه فرعون:"... ولتصنع على عيني"[٢٢]. أي ولتربي بمراقبتي أو بمرآى مني وبحفظى[٢٣] والكلمة تستعمل على المصانع المتطورة في هذا الزمن في إنتاج السيارات والطيارات والباخرات وغير ذلك من المصانع والشركات الإنتاجية.

د- السعى نتيجة الأعمال غالبا سواء هذه الأعمال الدنيوية أو الأخروية مثل قوله تعالى:" وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"[٢٤]. ويقال تسيع الماء: اضطرب في الجرى على الأرض[٢٥] ويراد بها أيضا على ما يقوم به المرء من العمل الجاد للحصول على

نتيجة حسنة في الحال أو في المال. مثلا عمل قام به للجنة :" ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا"(٢٦).

هـ- الكسب: أي الطلب ويقال اكتسب مالا أو علما أو جاها أي طلبه بأعمال تؤهله لذلك. وعلى ذلك قال جل شأنه عن أعمال أبي لهب وامرأته:" **ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الخطب**"(٢٧). إذا كانت نتيجة العمل هو الكسب وبعضها مكروهة لصاحبها أي صانعها إذ هي توقعه وتورطه في العقوبات إذا اكتشف أنها جاءت منه. ولذلك قال تعالى محذرا عن الوقوع فيه:" **ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما * ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا**"(٢٨).

و- الاحتساب: هو طلب الثواب عند الله في الأعمال الدنوية، الاحتساب من الحساب وهو تعداد النتائج للأعمال التى قدمها المرء في حياته الدنيوية مما قد تكون حسنة أو سيئة. ولكن كل عمل قدمه الإنسان دنيويا إذا قصد به وجه الله يجد ثوابه عند الله. لذلك قال – صلى الله عليه وسلم – في معنى الحديث ١٨ المحتسب في أعماله فهو كمثل أم موسى تطعم ولدها وتأخذ أجرها. وفي الحديث الصحيح المشهور "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله..."(٢٩)

**النتيجة:** وحاصل الأعمال والتحركات والسعى وكل ما يقوم به أن يحصل على نتيجة حسنة تعينه في حياتهذه عاجله أو آجله بمعنى في حاله ومآله دنياه وأخراه. والنتائج هنا في الدنيا هي الغنى والسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، والنتائج في الآخرة. الفوز بالجنة والنجاة من النار وعلى هذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم "بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض. فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب"(٣٠). ومصداق هذا الحديث هو قوله تعالى:" الله لطيف بعباده

يرزق من يشاء وهو القوي العزيز * ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصير"[٣١].

**التحليلات:**

الاقتصاد في معانيه اللغوية والشرعية حركات ونشاطات والقيام بالأعمال الجادة والسعي في التقدم ودفع عجلة السير إلى الأمام في جميع أبعاد حياة الفرد والعمل في تنمية وتطوير الإنتاجات المادية والمعنوية والروحية الدينية حتى يكون الفرد متكاملا منذ تربيته من الطفولة إلى المراهقة والرجولة ليكون قد أدى دوره في بناء مجتمعه بأحسن وجه يفيد نفسه ويفيد الآخرين.

والاقتصاد يكون مرتفعا إذا كانت الأسواق رائجة، والبلاد قامت بالتصنيع. التصنيع لا يحصل إلا ببراعة الأعمال في عيش المواطنين. التنظيم الإدارى لتلك المصانع يكون جيد جدا ذهب كثير من العلماءالاقتصاديين[٣٢]. وكل ما يحدث إنما يحدث على أساس العمل سواء هذا العمل صالح أم غير صالح وستأتى نتائجها كما قال تعالى:" قل ياقوم اعملوا على مكانتهم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ... [٣٣]. وكما قال أيضا:" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون"[٣٤]. وفي أواخر الآيتين عبارتان وهما (عقبة الدار) – (ينبئكم بما كنتم تعملون).

عبارة عن النتيجة لكل الأعمال محاصيل إن حسن العمل حسن الثواب وإن ساء يسيئ الجزاء وأن الله تعالى عدل لا يجعل محل الحسنة إساءة ولا محل الإساءة حسنا ولذلك قال:" من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" [٣٥]. وكذلك ما جاء في شأن السحرة من فرعون قرر سبحانه وتعالى على أنه لا يصلح العمل الفاسد لعظمة الرجل أو أي إنسان فقال:" فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين"[٣٦]. وكذلك لما كان نبي الله نوح عليه السلام لا يعرف حال ابنه

كنعان جعل يسأل الله بإنجائه من الغرق في الطوفان فيقول إنه من أهلي لأن الله وعده ذلك، فقال تعالى:" قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليسك لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين"(٣٧). وغاية الإنسان الحصول على العزة والرفعة والمنعة والتمكن في الدنيا والآخرة لكن ذلك كله لله. لكن مهما حسنت النية لا بد أن يتبعها العمل الصالح :" من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ..."(٣٨). وعلى هذا يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

لذلك نفهم أن الله تعالى ورسوله الكريم يحثّان ويشجّعان الفرد المسلم أن يقوم ويستيقظ من نوم الغفلة والتساهل والكسل ويكتسب عيش الدينا والآخرة في عدة أماكن من الكتاب والسنة. لذلك مهما يجد الإنسان الفرصة والفراغ والقدرة التى تتيح له أن يقوم بما ينفعه فليفعل كما قال – صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"(٣٩). الأعمال التى يقوم بها المرء سواء في بالليل أو في النهار لا بد له أن يتقنه. والرب جل شأنه يقسم بالليل والنهار وخلق الإنسان من الذكر والأنثى. وقال تعالى:"**والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى**" (٤٠).

والملحوظ هنا أن الله تعالى ورسوله الكريم يأمران بالعمل الذي بواسطته يكون المسلم غنيا ويتصدق بما فضل له من الرزق فتحصل له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لأن بعض الناس يرون أن الغاية فقط الحصول على الأموال لا غير بل المهم فائدة المال لصاحبه في الدينا والآخرة. فجاء قوله تعالى:" **وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون * وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من ءامن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات ءامنون**"(٤١).

ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم "لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها" (٤٢).

نفهم من هذا الحديث معنى الحسد أي الغبطة والمنافسة، كما نفهم أن المال ينفق على الحق أو يتصدق على المحتاجين خير صدقة. وقوله تعالى:"... ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو..." (٤٣). أي ما فضل. "واليد العليا خير من اليد السفلى..."(٤٤).

وينبغي أن نفهم أن كلمة الاقتصاد عام تشمل كل التحركات المالية من المصانع والجعل والمتاجر. ولكن على وجه الخصوص إن الصناعة قد عرفوها بأنها: ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدّم علم به وبما يوصل إلى المراد منه. ولذا قيل للنجار صانع ولا يقال للتاجر صانع. وأما المستخرجين والضمناء والعشارين من أصحاب السلطان يسمون عمالا لا صناعا لعدم علمهم بوجوه ما يعملون من منافع عملهم، (٤٥) وكذلك عند سيبويه يقال: صنّاع وصنع ليعبر في مصدر الكلمة على وأن فعال وفعول (٤٦).

وأما المكاسب فيجب على الفرد المسلم كسب الحلال الطاهر ويجتنب الشبهات فضلا عن المحرمات كما ورد عن نعمان بن بشير – رضي الله عنهم – سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يقول "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع فر الحرام..."(٤٧). لذلك كان كسب الحلال واجبا وفيه أجر عظيم عند الله. وقد جاء الأثر على أن من طلب رزقه على ما سن له فهو في الجهاد" أي طريق الحلال. (٤٨). وهذا معنى قوله تعالى:" قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ..."(٤٩). ويجب على كل إنسان أن يعرف أن الأموال معناها المنافع. ومن لم ينتفع بماله فهو كمن لم يحصل عليه غنى بمعنى ولا يكون عابدا للأموال يجمعها ولا ينتفع بها ولا يتصدق حتى يكون مثل الذي يقول الله تعالى في حقه:" يحسب أنه ماله أخلده"(٥٠). ويعرف أن الأموال في هذه الدنيا كثيرة والله هو مالكها ينزّلها بقدر ما يشاء لفائدة الخلائق كما قال تعالى:"

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدره ما يشاء إنه بعباده خبير بصير" (٥١).

وإنه لمن الأهمية بمكان لعلماء التربية وضع مناهج مناسبة لتطوير حياة الفرد من أول نشأته يتعلم ما يناسب حياته الراقية واحتياجاته، اقتصاديا لا أن يتعلم الفرد علما ثم تعقبه الأمور إلى التكفف لما عند الآخرين ولا يقوم بنفسه. وقال مصعب بن عمير لابنه (يحثه على طلب العلم) "تعلم العلم، فإن كان لك مال كان لك جمال، وإن لم يكن لك مال كان لك جمال" (٥٢). وروى أيضا أن عبد الملك بن مراون قال لبنيه "تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم"(٥٣). لنعلم أن القوة تحصل بالمال لا قوة الجسم والبدن وعلى هذا إشارة إلى ما قاله الرسول – صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القويّ خير من المؤمن الضعيف وأحرص إلى ما ينفعك".

والله تعالى خلقنا وجعلنا فوق هذه المعمورة لنعيش فيها. ونعمرها صناعة وعبادة ونبث فيها السلام والأمن والاستقرار. اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وقال تعالى:" هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكوا من رزقه وإليه النشور" (٥٤). وإذا اجتمعت الأرزاق على أيدي الناس فستأتي تبادل العطايا والهبات وإعطاء الصدقات للفقراء. كما قال – صلى الله عليه وسلم – عن أبي عثمان عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء"(٥٥).

الاحتساب في الأعمال: إذا كسبت مالا. معناه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها ومالها"(٥٦).

ويقال: احتسب الأجر على الله: بمعنى ادّخر ثوابه عند الله لا يريد ثوابه في الدنيا (٥٧) ونفهم أن العمل هو ما يعقب نفعا لأن اللهو لا يعقب نفعا وهو لعب. كما قال تعالى:" إلهاكم التكاثر.(٥٨) والنفع هو نتيجة العمل وثوابه فيكون للمرء نصيب منه في الدنيا والآخرة(٥٩). والنصيب قد يكون في المحبوب أو في المكروه أي في الخير أو الشر.

وهكذا كلمة الحظ: اسم لما يرتفع به المحظوظ[٦٠]. أما الرزق: اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به بلا منازعة له فهو له حلال [٦١]

والإنفاق: هو إخراج المال من الملك تبرعا" [٦٢] لذلك كل من طلب الرزق أو المال وجدّ في طلبه يجده بمشيئة الله فليقصد بذلك وجه الله فيكون محتسبا فيه فيحصل له ثواب الدينا وحسن ثواب الآخرة إن شاء الله، وهذه هي الغاية لما أخبر الله تعالى ووعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بقوله تعالى:"وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" [٦٣] وعلى إثر هذا ورد قوله – صلى الله عليه وسلم – لما وفد إليه عدى بن حاتم قال له "أتعرف الحيرة؟ قال لم أعرفها ولكن سمعت بها إلى قوله ...كسرى بن هرمز، وليبذل المال حتى لا يقبله أحد" وفي الآية والحديث ذكر الأمن وحرية الدين وبذل الأموال على أيد الناس.

**الخاتمة**

وخلاصة الأمر أن النظام الاقتصادي الجيد هو الغاية المنشودة، الذي قام على أساس الأمن والقسط. نظام تبادل السلع والمتاجر والخدمات من الجعل والإجارة مما يجعل المواطنين يستفيد بعضهم مع بعض. وتحسن العلاقات بين المنتجين والمستهلكين علاقة تعاونية لفائدة الجميع، والألفاظ الواردة في الكتاب والسنة وغيرهما تشير إلى هذا المعنى. مثل الاقتصاد والعمل والفعل والصنع والسعى والكسب والاحتساب. ونتيجة ذلك هو الحصول على المنافع وتجمع الأموال والحدمات التى لها فوائد وتجمع الأموال والحدمات التى لها فوائد تعود إلى الأمة. وترتقى الأمة إلى عوج مجدها في الحضارة الإنسانية. وخصوصا إن المجتمع مجتمع إسلامي يسودفيه روح الأخوة والرأفة والشفقة والرحمة بين الغني والفقير. لأن الله فضل الناس بعضهم على بعض. فتكون التبرعات والصدقات لوجه الله لا الغير فتزول الأحقاد والضغائن والحسد والكراهية بين، الغني والفقير. بالغني فقط يحصل وبدونه لا شيء

لأن فاقد الشيء لا يعطيه، هذه هي الوسيلة لسعادة الدارين وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم.

**الاقترحات**

هذه الورقة توصبما يأتي:

- إعداد الجو الهادئي الآمن لتبادل السلع والمتاجر في أوساط الأمة.
- إعداد نظام اقتصادي جيد صالح للخدمات الاقتصادية داخل وخارج البلاد.
- الحكومة تقوم بتعزيز الصناعات والحذمات المنتجة للخيرات المادية والمعنوية للبلاد.
- إعداد نظام الأمن الثابت الراسخ في البلاد لأن الاقتصاد لا يرتفع في جوّ القلق والخوف.
- الحكومة تقوم بحث الأغنياء والمصانع والشركات بإخراج الزكوات والصدقات والتبرعات لمساعدة الفقراء والمرضى من المسلمين وغيرهم رجالهم ونساءهم.
- الإيصاء بالتقوى فإنها خير زاد.

**الهوامش والمراجع:**


١- سورة الملك: ١٥

٢- الحمصي، ص: ٢٩

٣- لقمان: ١٩

٤- الحمصي، ص: ٣١٢

٥- النحل: ٩

٦- الحمصي، ص: ٢٦٧

٧- التوبة: ٤٢

٨- الحمصي، ص: ١٩٤

٩- لقمان: ٣٢

١٠- الحمصي، ص: ١٩٥

١١- فاطر: ٣٢

١٢- المائدة: ٦٦

١٣- الحمصي، ص: ٣٤

١٤- الصافات: ٩٦

١٥- العصر: ٢ — ٣

١٦- غافر: ٤٠

١٧- العسكري، ص:١٤٠

١٨- المرجع نفسه، ص: ١٣٨

١٩- الكهف: ١٠٤

٢٠- الأنبياء: ٨٠

٢١- هود: ٣٧

٢٢- طه: ٣٩

٢٣- العسكري، ص: ٣١٤

٢٤- النجم: ٣٩

٢٥- السيوطي، ص: ٣٢٥

٢٦- المسد: ٢ - ٤

٢٧- الإسراء: ١٩

٢٨- المسد: ٢ - ٤

٢٩- النساء: ١١١ — ١١٢

٣٠- رواه أحمد

٣١- الشورى: ١٩ — ٢٠

٣٢- إدواد س.ك.و.م. سعيد، ص: ٤٤٩

٣٣- الأنعام: ١٣٥

٣٤- التوبة: ١٠٥

٣٥- غافر: ٤٠

٣٦- يونس: ٨١

٣٧- هود: ٤٦

٣٨- فاطر: ١٠

٣٩- رواه البخاري

٤٠- الليل: ١ — ٤

٤١- سبأ: ٣٥ — ٣٧

٤٢- متفق عليه

٤٣- البقرة: ٢١٩

٤٤- العسكري، ص:١٤١

٤٥- عضيمة، ص: ٣٨٣

٤٦- رواه مسلم

٤٧- العجمي، ص: ٣٩٨

٤٨- الأعراف: ٣٢

٤٩- الهمزة: ٣

٥٠- الشورى: ٢٧

٥١- مصطفى، ص:٦٠

٥٢- المرجع نفسه والصفحة نفسها

٥٣- الملك: ١٥

٥٤- أخرجه الترمذي

٥٥- وقال حديث حسن غريب (ص٢٢١ رقم ١٨٠)

٥٦- الفيومي، ص: ١٤٦

٥٧- المرجع نفسه، ص: ٨١، ج:٢

٥٨- التكاثر:١

٥٩- الفيومي، ص: ١٦٢

٦٠- المرجع نفسه، ص:١٧٣

٦١- المرجع نفسه، ص ١٧٥

٦٢- المرجع نفسه، ص ١٧٦

٦٣- النور: ٥٥

# دراسة أسلوبية لخطبة الإمام أبي بكر عثمان مبيرا صكتو.

**مرتضى إبراهيم**
**urtalaibrahim773@gmail.com**
**و**
**سيدبي عيسى**
**isahsidibe@gmail.com**

## المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فإن الخطبة التي نريد دراستها حافلة بالمظاهر الأسلوبية وهي تجدر بالدراسة "لأن الأسلوبية في أبسط معانيها هي علم دراسة الأسلوب"(١) وهذه الخطبة عمل من أعمال أئمتنا بولاية صكتو، وهو الإمام الخطيب أبو بكر عثمان مبيرا، هو إمام بجامع مسجد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي بصكتو، وخطبته تحاكي الفكر العربى بصورة عامة وتبلور قيمة الإسلام والمسلمين بصورة خاصة، وقد احتوت على عدة أساليب في إيراد المعنى الرائع، كما تضافرت كل المستويات اللغوية لرسم المشاهد بإيقاعات تلائم تلك المشاهد التي أراد الخطيب أن يوضحها للناس فيما يرمي بأية صلة قريبة وبعيدة في التنمية الاقتصادية في نيجيريا، وذلك بلسان الوعظ والإرشاد والنصيحة. وأخيرا أن المقالة تدور حول النقاط التالية بعد المقدمة:

نبذة تاريخية عن الإمام الخطيب.

مفهوم الأسلوبية لغة واصطلاحا.

دراسة أسلوبية للخطبة:

المستوى الصوتي.

المستوى الصرفي.

المستوى الدلالي.

المستوى التركيبي.

الخاتمة

**نبذة تاريخية عن الخطيب**

هو أبو بكر بن عثمان بن أبي بكر بن محمد مودي[٢] ولقب بالإمام، لإمامته لجامع مالم بخاري بن فودي، وإن كان إماما في جامع أركلا من قبل، كلاهما في مدينة صكتو، ويلقب أيضا بمالم ثِكَ، وكان هذا اللقب أقدم من الإمام لأن هذا اللقب يكاد يكون اسمه[٣].

**نسبه وولادته:**

ينتمي نسب الإمام أبي بكر عثمان مبيرا إلى قبيلة هوسا. ولد في حي مبيرا إحدى إقليمية الحكومة المحلية بصكتو الجنوبية، وكان ذلك عام: ١٩٦٥م[٤].

**شيوخه وتلامذته:**

أخذ الإمام أبو بكر عثمان مبيرا العلم من عدة شيوخ في داخل بلدة صكتو، فأول من أخذ منه العلم والده الشيخ عثمان بن أبي بكر، قرأ القرآن الكريم وختمه عنده، ثم أخذ المبادئ الإسلامية فقرأ عنده كتاب القواعد وكتاب الأخضري والعشماوي وكتاب المقدمة العزية للجماعة الأزهرية، وغير ذلك،[٥] ثم مالم نتعالى بن الشيخ موسى، ثم مال الإمام إلى كتب اللغة أي متون اللغة كمختارات الشعر الجاهلي،[٦]

كان الإمام أبو بكر عثمان يحب النحو والصرف فأخذه مالم نتعالى إلى شيخه الشيخ العالم بخاري تَاكَلْمَاوَا فقرأ عنده ألفية بن مالك النحوية، وغيرها[٧] ثم إلى حلقة المرحوم الشيخ سيد الطاهر إبراهيم رئيس العلماء بولاية صكتو سابقا، ومنهم الشيخ الإمام عثمان نليمن، فقد استمع منه تفسير ضياء التأويل للشيخ عبد الله بن فودى في رمضان.

ومنهم الشيخ خضر مَانَا بَبَّا، ومن شيوخه الشيخ العالم الرباني أبي بكر ألتني يَرْكَتَنْغَا صكتو، قرأ عنده الجزء الثاني من مختصر الخليل وصحيح البخاري ولا يزال يستفيد منه.[٨]

ومن أساتذته في الدراسات العصرية بجامعة عثمان بن فودى صكتو:

١- الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد، متخصص في الأدب العربي وتحقيق النصوص والترجمة في جامعة عثمان بن فودى صكتو.

٢- الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك، متخصص في البلاغة والنقد والأدب الإسلامي في جامعة عثمان بن فودى صكتو

٣- الأستاذ الدكتور صالح بلا ألجناري متخصص في علم اللغة في جامعة عثمان بن فودى صكتو

٤- الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى، متخصص في المعاجم في جامعة عثمان بن فودى صكتو[٩]

**تلاميذه:**

للإمام أبي بكر عثمان مبيرا تلاميذ كثيرون، وذلك أنه منذ نشأته يدرس التلاميذ القرآن الكريم مع والده الشيخ عثمان بن أبي بكر مبيرا. ومن أشهر تلاميذه: الإمام عثمان غِيَاوَا، ومنهم الأديب عمر بن أدم غبارى من ولاية كب قرأ عنده الكتب الدينية واللغوية وغيرهما.[١٠]

- **مفهوم الأسلوبية لغة واصطلاحا**

الحديث عن الأسلوبية يعني الحديث عن وجود الإنسان وخلقه.

فقد ارتبط بماهيته في الوجود يقول الله تعالى: (الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤))[١١]. والبيان والأسلوبية – بمفهومها القديم – لفظان مترادفان ومعناهما واحد إلى جانب ألفاظ البلاغة والفصاحة"[١٢] وعلى هذا يمكن أن نتناول معنى الأسلوب على الإيجاز والاختصار:

**الأسلوب عند العرب:**

الأسلوب كما ورد في معظم المعاجم اللغوية هو: "الطريق، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا أي طريقته ومذهبه"[١٣] أو "الطَّرِيق المستوي وَمِنْه أَخذ فِي أساليب من القَوْل: أَي ضُروب مِنْهُ"[١٤].

هذه المعاني اللغوية السالفة تشير إلى الطريق أو المذهب أو المسلك يسلكه الكاتب لإبراز مقاصده.

**الأسلوب لدي الغربيين:**

يعود الأصل اللفظي الدلالي لكلمة الأسلوب عند الغربيين إلى العصر اليوناني. فلفظة أسلوب (Stilus) في أصلها اللاتيني تعني الريشة أو القلم أو أداة الكتابة [١٥]. هذا عند القدامى.

أما عند المحدثين الغربيين فقد ورد الأسلوب كمصطلح في معجم (Grim) في بداية القرن التاسع عشر في النقد الأدبي الألماني"[١٦] "فالأسلوب عند علماء النفس يمثل السلوك، وعند البلاغيين يمثل المتحدث، وعند فقهاء اللغة هو الشيء الكامن، وعند الأدباء يمثل الفرد، بينما عند الفلاسفة فهو المتكلم الضمني أو الخفي، وأخيرا عند اللسانيين فهو اللغة"[١٧] والتعريف الأبرز الشائع للأسلوب ارتبط بمقولة الكونت بورج بيفون: "الأسلوب هو الرجل"[١٨]

وفي الاصطلاح: "هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه"[١٩] وعرفه الشايب أيضا: "بأنه طريقة الكتابة الإنشائية، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[٢٠] ويرى أحمد الشايب أن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة، هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الكاتب.

وأما الأسلوبية: ( Stylistics) فتتركب من شقين هما: أسلوب (Style) ولاحقه الذي يدل على النسب (Stics) (ية)، فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي نسبي، واللاحقة تختص فيما تختص بالبعد العلمي العقلي"[٢١].

وقد أصبح مصطلح الأسلوبية يطلق على المنهج التحليلي للنصوص الأدبية، "فأفكار علم اللغة الحديث تستخدم للكشف عن السمات الأسلوبية أو الخصائص الشكلية التي يقال أنها تميز عملا معينا أو كاتبا معينا أو موروثا أدبيا أو عصرا معينا، وهذه السمات الأسلوبية قد تكون صوتية، كالأنماط الصوتية للكلام أو الوزن أو القافية أو جملة، كأنواع التركيب الجملي أو صيغة معجمية وغير ذلك"[٢٢]

فهي تسعى إلى وصف الظاهرة اللغوية المشكّلة للخطاب الأدبي وتتأمل طريقة استخدام اللغة لتجمع الجزئيات والتفاصيل ما يمكن الخروج به من تعميمات تحليلية تدل على طبيعة أسلوب الكاتب أو الشاعر، ويمكن أن يتم هذا التحليل وفق مستويات التحليل الأسلوبي من الناحية العملية وهي المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي"[٢٣].

والأسلوبية على بعدها الفني الذي يلامس أدبية الأدب تعتمد بعدا علميا، إذ تعتمد معطيات علم الأصوات الوظيفي، وعلم الدلالة، وعلم القواعد النحوية، وعلم الصرف، والثلاثية البلاغية، وعلم العروض" [٢٤]

**دراسة أسلوبية للخطبة**

**المستوى الصوتي:**

لا يخامرنا شك أنّ الدراسة الصوتية تقع في صميم دراسة النصوص الأدبية، لأنّ التحليل الأسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيراً على فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها، بالإضافة إلي ما فيها من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، ليس يخفى أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّاً أو غنّة أو ليناً أو

شدة، وإن من أسباب الاختيار الصوتي في هذه الخطبة اختيار ألفاظ معينة ذات جرس خاص لإشاعة جرس واحد في النسق ومنها:

التكرار: "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[٢٥] أو هو "عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة"[٢٦]

ومن ذلك تكرار الحروف المعاني:

ومن أمثلة ذلك: تكرار حرف (من) للجر في تسعة مواضع ليقدم مثالا رائعا من الابتداء والانتهاء في حياة البشر، ويشير إلى أن الإنسان خلق في كبد وتعب فلا بد أن يعمل أعمالا شاقة في الدنيا إما ليدافع عن عرضه أو عكس ذلك (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)[٢٧]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)[٢٨] وهكذا تكون حياة البشر إلى حلوله في رمسه.

وفي تكرار حرف (في) للجر في ثمانية مواضع تلويه وتنويه بأن الإنسان لابد أن يكون ما في بطنه حلالا ليلائم باطنه ظاهره في الطهورية والنظافة لأن إفساد الباطن يتسرى إلى إفساد الظاهر

تكرار حروف المباني:

وللحروف صفتان بارزتان مشهورتان وهما الجهر والهمس.

والمهموس من الحروف هو: "ما يضعف الاعتماد على مخرجه عند النطق به، وعلامته أن يبقي النفس جاريا عند النطق به، والحروف المهموسة عشرة، يجمعها قولك: "حثه شخص فسكت"[٢٩]

الجهر: وهو انحباس جري النفَس عند النطق بالحرف لقوته؛ وذلك لقوة الاعتماد على مخرجه. وحروف الجهر تسعة عشر حرفًا، وهي: (أب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن وي ا)[٣٠].

وعند النظر إلى هذه الخطبة يجد الباحث أنها جاءت بحروف مختلفة مدية وغير مدية، والمدود في الخطبة هي نهايات الدفقات الصوتية لأغراض ولأهداف، "وإن لتكرير الحرف في الكلمات مزية سمعية ترجع إلى الموسيقا وأخرى فكرية تعود إلى المعنى"[٣١]

وإن الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[٣٢]

وعلى هذا فإن الخطبة جاءت حاملة بمزية معنوية قوية لما تنطوي عليه من حروف مختلفة مهموسة ومجهورة. والمهموسة تبلغ حوالي خمسين وثلاثمائة حرف (٣٥٠)، بينما المجهورة تبلغ حوالي سبع وثمانين وتسعمائة حرف (٩٨٧) إن دل على شيء إنما يدل على أن الخطبة جاءت متنبهة ومتدفقة على أصوات بليغة في الوعظ والإرشاد والنصيحة، ذلك بأن قوة المعنى منطوية تحت قوة الأصوات والألفاظ، وغلّب الإمام الخطيب حروف الجهر على حروف الهمس لأن المقام يحتاج إلى التغليظ والتشديد والتعنيف، لكن بدون مبالغة والتعدية، لذلك يميل في بعض الأحيان إلى حروف مهموسة إن دعت الحاجة إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله في وجوبية طلب الحلال: "اتقوا الله عباد الله واعلموا أنه لا يجوز لكل مسلم أن يهمل نفسه بدون طلب الحلال...." إذا أنعم الدارس النظر في هذه الفقرة برمتها يرى أنه استعمل حروف الجهر بالكثرة وهى: (ا ق، و، ل، ع، ب، د، م، ن، ج، ط) إلخ، فمثلا الألف والواو تخرجان في الجوف وهو غار الصدر، دلالة على رفع الصوت بقوة، ورفع الصوت بقوة يوحي إلى التشديد والتغليظ في الأمر والنهي، والقاف تخرج في أقصى اللسان دلالة على التقعير والمبالغة في الأمر والنهى أيضا، واللام والميم والنون تخرج من ظهر اللسان إلى طرفه، إشارة إلى أنه ما زال ولم يزل يأمر الناس بطلب الحلال والتوثيق بالنفس، بينما الدال والجيم والطاء والعين ليدل على أن العاقل لا يتواكل بل يتوكل على الله حق توكله ويثق به، ثم يجاهد في الصناعات والزراعات والتجارات وغير ذلك مما يذُب به مرتية نفسه.

ثم تكرار الضمائر المستترة في الألفاظ الآتية: (أوجب – أحمده – جعلنا – أشكره – أشهد – فرض – يشرب – يلبس – ذكر)، ولتكرار هذه الضمائر المستترة حكمة بليغة متضافرة منها: فيها نوع من التهويل والتخويف لأن البطال والكسول الذي لا يعمل لا يزال في الخسران، وفيها أيضا نوع من الترغيب والترهيب ونحوهما

فجاء تكرار الضمائر البارزة في الألفاظ التالية: (أحمده – وهو – وحده – سلامه – عليه – وصحبه)، لأن المقام للتعظيم والتحضير أي أن عظمة الله وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم حاضرة في قلبه فكأنه يرى هذه العظمة عيانة بواحة في قلبه ويشعر بأن الله حاضر شاهد مطلع على ما في قلبه، لذلك أنزله منزلة القريب الحاضر الشاهد كأنه يراه بواحا وعيانا وما ذاك إلا للمبالغة في تعظيمه تعالى وتعظيم نبيه صلى الله عليه وسلم. وأما في بعض الألفاظ (يديه – مطعمه –ملبسه – نفسه) فما ذاك الإبراز إلا ليشير إلى أن آكل الحرام ولابسه والذي يتواكل ويسلك طريق التسول والمهانة إنما هو حقير ذليل مهين بين الناس بعيد عن خاطرتهم وإن كان حاضرا شاهدا معهم.

الجناس: "أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه الأربعة مع اختلاف المعنى، وهو نوعان: تام وغير تام"[٣٣].

ومثال الجناس في الخطبة: (يمد –يديه – الإجارة – يؤاجر) هذا الجناس يسمى جناسا ناقصا لعدم اتفاق الكلمتين في أمور أربعة، ويدل هذا الجناس على نصرة الظالم والمظلوم ولتدعيم المعاونة والمساعدة بين الناس.

السجع هو: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[٣٤]. سيركز الباحثان الحديث على السجع في هذه الخطبة إذ وجدها تحمل في طياتها إيقاعا موسيقيا، له أثره على المتلقي نفسيا وفكريا، لأن السجع يدعم قضاياه ومزاياه في القول المنثور، والقوافي في الشعر العربي، والفواصل في آي الذكر الحكيم، فالإمام الخطيب استعمل سجعا محمودا في خطبته حيث قال: (أمة الإسلام – السلام) و (الإيمان – القائلين) و (في الصناعات – والزراعات) و (التجارة – والزراعة) و (علماء الدين – يوم الدين) كما نوه الباحث فيما

سبق أن الخطيب استعمل سجعا محمودا لأنه جاءه عفوا بدون تكلف وتعسف، وقصد به تأليفا لقلوب سامعيه لئلا يستغلوا بأمر آخر خلال خطبته، لأن استماع الخطيب وفهم الخطبة يجعل المستمع أن يمتثل أوامر الله ونواهيه، ولذا استخدم السجع ليلذذ الخطبة إلى الأذن، وله أيضا دلالته وإيقاعه على المستوى الرأسى وعلى الأفقي للخطبة.

**المستوى الصرفي:**

المستوى الصرفي من الجوانب المهمة في الدراسات الأسلوبية اللغوية، "لا تقل أهميته عن باقي مستويات اللغة وهي الصوتي والتركيبي والدلالي، وتكمن أهمية هذا المستوى في تحديد دلالات النص ومعانيه من خلال معرفة البنية الصرفية وما تحمله من معان مختلفة يحددها نسق الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى"[٣٥].

ومن أمثلة ذلك قول الخطيب: (وأستزيد) هذا الفعل من باب استفعل نحو: استزاد، هذا الفعل المزيد ونحوه قد أعل فيها العين وهي ياء بقلبها ألفا حملا على إعلال مجرده فأصل الفعل استزاد ووزنه استفعل فأعل بقلب عينه وهي الياء ألفا بعد نقل حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها وهو الزاي ولولا نقل حركة الياء إلى الساكن قبلها ما قلبت ألفا، إذا، استزاد أصله استزْيَد"[٣٦].

و "وزن استفعل يأتي لطلب الفعل نحو: "استنطقه فنطق"[٣٧].

وعلى هذا فإن الخطيب استعمل هذا الوزن بهذه الصيغة لطلب مزيد الكرم والفضل من المولى سبحانه وتعالى.

ثم توظيف صيغة اسم الفاعل: دلالة اسم الفاعل لها سمات فريدة تتميز بها بين الصيغ ومن سماتها "جمع بين سمات كل من الاسم والفعل معا لأن البصريين يصنفونها في قسم الأسماء بينما يصنفها الكوفيون في قسم الأفعال حيث يقسمون الفعل إلى ماض ومضارع ودائم، ويعنون بالدائم صيغة اسم الفاعل"[٣٨].

استخدم الخطيب صيغة اسم الفاعل في خطبته لنكتة مهمة مثال ذلك قوله: (القائل – راعي – والتابعين) لاحظ الباحث أن اسم الفاعل قد وظف في هذه الصيغة

توظيفا لغويا مطابقا للغرض الذي قيلت هذه الخطبة لأن اسم الفاعل هنا يعبر عن ثبوت الصفة ودوامها مع ما فيه من دلالة على تجدد تلك الصفات الحسنة الحميدة واستمراريتها.

ثم صيغة فعيل: تدل على الصفة المشبهة وتدل أيضا على المبالغة كطويل، أما في المبالغة تدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه وطبيعته كعليم....."[٣٩].

وصيغة (الفقير – عليم) كلها تدل على المبالغة. بيد أن الفقير يحتمل أن يكون صيغة مبالغة أي كثير الفقر وأن يكون صفة مشبهة أي دائم الفقر.

**المستوى الدلالي:**

يعنى علم الدلالة بدراسة المعنى وهو فرع من فروع علم اللغة"[٤٠] يتناول نظرية المعنى وعلم البيان في بعض أبوابه أو معظمها، يدخل في نطاق الدرس اللغوي الحديث، فالمجاز بأنواعه، والكناية في بعض صورها، يعرض لها علم الدلالة على أساس أنها أمثلة لتعدد المعنى وتنوعه، أو على أساس أنها صور للتغير الذي يصيب معاني الكلمات والعبارات"[٤١]. ولذلك إن الباحث يغوص في دلالة الصور البيانية في هذه الخطبة ليرى كيف لعب الخطيب دورا بارزا في استعمال المعاني المختلفة في خطبته.

التشبيه: "لغة التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثيله، لما بينهما من الصفة المشتركة".[٤٢]

التشبيه هو: "الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب"[٤٣]. أو "هو إلحاق أمر "المشبه" بأمر "المشبه به" في معنى مشترك "وجه الشبه" بأداة "الكاف وكأن وما في معناهما" لغرض"[٤٤].

في هذه الخطبة لم يستعمل الخطيب التشبيهات بالكثرة إلا في أماكن طفيفة في المقدمة عند قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وكل بدعة ضلالة" وهذا تشبيه بليغ وهو "ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة"[٤٥].

هذه الجملة وهي: "كل بدعة ضلالة" استعملها الإمام الخطيب ليبلور قضية مهمة في هذه الخطبة وهي أن عدم طلب الحلال من البدعة وشبّه هذه البدعة بالضلالة بصفة

جامعة بينهما وهي الظلمة وعدم الاهتداء إلى سواء السبيل، ذلك بأن الكسول البطال في دهش وحيرة لعدم صناعة وتجارة أو غيرهما، وقد يؤدي إلى السرقة وتناول المشروبات وغير ذلك ليتجاهل ويتناسى عن حاله كما هم يقولون، وهكذا حتى يكون تاركا للصلاة مهاونا لها وأخيرا يتركها البتة، وفي بعض الأحايين يستهزأ بدين الله ويتشيطن بشرائع الله فيصبح مجنونا فيجد نفسه في مصيبة فائقة وظلمة كبرى حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها لشدة ظلمتها وكونه ضالا، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. واستخدم أيضا الاسم وهو "كل" وما ذلك إلا ليبين أن الكسول والبطال لا يزال في تلك الضلالة والظلمة والخسرة والندامة حتى أصبح ذا صناعة وتجارة وزراعة بطريقة مرضية.

ومن أمثلة التشبيه في وجوب الصناعة وطلب الحلال قول الإمام الخطيب أيضا. حيث قال: "...الفقر آفة ..." شبّه الإمام الخطيب الفقر بالآفة لأنه يذهب بالمال ويزيلها، هذا التشبيه قوي بليغ فكأن الآفة هي الفقر بصفة جامعة بينهما وهي الهلاك والدمار، لأن الفقر والكفر لهما علاقة وثيقة ولا يكون الإنسان فقيرا إلا بعدم طلب الحلال وفعل البطالة.

ثم الاستعارة: "عرَّفها الجاحظ بأنها: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقام مقامه، ورجع بعض المثل إليها"[٤٦] أو "هي المجاز الذي تكون علاقته المشابهة بين المعنى الأصليّ والمعنى المجازي الذي استعمل اللّفظ للدّلالة به عليه"[٤٧].

استعار الإمام الخطيب لفظة "عويصة" يقصد بها شديدة لعلاقة المشابهة بينهما أن "عويصة وشديدة" كلاهما يعودان إلى الفقر وهو من الاستعارة التصريحية والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في هذه الكلمة قرينة حالية تفهم من سياق الكلام لأن كلمة عويصة في الحقيقة تسند إلى الكلام وإسنادها هنا إلى المشكلة من باب استعارة تصريحية مطلقة، ومن هذا المنطلق نفهم أن الفقر يكاد يدمر الأمة برمتها ويذهب بطريقتها المثلى وينتهى بكيانها، ونعوذ بالله من الفقر والكفر.

الكناية لغة هي: أن تتكلم بشئ وتريد به غيره. وقد كَنَيْتُ بكذا عن كذا وكَنَوْتُ"[٤٨] الْكاف والنون والْحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره. يقال: كَنَّيْتُ عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه. وَكَنَوْتُ أيضا"[٤٩] ومما يوضح هذا قول القائل:

وَإِنِّي لَأَكْنُو عَنْ قَذُورَ بِغَيْرِهَا ... وَأُعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا فَأُصَارِحُ[٥٠]

وأما الكناية اصطلاحا: "فهي اللّفظ المستعمل فيما وضِع له في اصطلاح التخاطب للدّلالة به على معنىً آخر لازمٍ له، أو مصاحبٍ له، أو يُشار به عادةً إليه، لما بينهما من الملابسة بوجهٍ من الوجوه"[٥١] أو "هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[٥٢]

الكناية من الصور البيانية الملموسة في هذه الخطبة التي ركز عليها الخطيب لما أراد سرد المعنى من المعاني التي أراد أن ينوهها بغية استكشاف وجوبية طلب الحلال وتنمية الرزق وذلك في قوله: "اعلموا أيها المسلمون أن طلب الحلال من أهم الواجبات، إذ الانسان لا يعيش وتنمي بنية جسمه إلا بالأكل، ففرض على كل مسلم أن بأكل حلالا ويشرب حلالا، ويلبس حلالا إلا لطرو عذر." كنى الخطيب في هذه الجملة بالعيش لكن يريد العيش المحمود لا المذموم لأن طلب الحلال وأكله يوحيان إلى عيشة راضية وهي علامة حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وطلب الحلال وأكله يدلان على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما علامة الإيمان، والإيمان والعمل الصالح يوحيان إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧))[٥٣] وفي قوله أيضا: "وتنمي بنية جسمه" وهذه البنية حقيقية لا المجازية، لأن البنية الحقيقية في الجسم هي التي تدفع الإنسان إلى عبادة الله وحده لا شريكله وإلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستطيع أن يصد ثغرة فارغة مهمة في الأمة الإسلامية، ويساعد نفسه وغيره مساعدة يرجى حسن عاقتبها، ويزم نفسه وغيره من السلوك في طريق التسول والمهانة، ولذا يقال

إن هذه كناية عن نسبة، نسبة البنية إلى الجسم يراد صاحب الجسم، وهذه إشارة إلى علو مرتبته ودرجته ووثاقته بالله وتوكله عليه.

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثم ذكر الرجل يطيل في السفر أشعث أغبر" هذه كناية عن صفة، لأن تطويله للسفر وكونه أشعث أغبر، دلالة على أنه سافر سفرا طويلا، والسفر الطويل دلالة على أنه خرج من مكان سحيق، وخروجه من مكان سحيق دلالة على أنه تعب بالكثرة، ثم قوله: "يمد يديه إلى السماء..." كناية أيضا عن صفة لأن مد اليد دلالة على الطلب والدعاء، والطلب والدعاء يدلان على كونه محتاجا، على الرغم من ذلك فإن أكل الحرام منعه من الحصول على حاجته رغم كونه تعبانا ذا حاجة ماسة.

**المستوى التركيبي:**

التركيب ما هو إلا إحدى وسائل إنتاج الدلالة، وعليه فإن التركيب متى فقد الدلالة فقد قيمته، لأنه وضع لأجلها وصيغ لتوصيلها"[٥٤]. وبغية الباحثين في هذا المستوى هي الوقوف على المعنى المعبر في وجوبية طلب الحلال والصناعة والتجارة والزراعة بطريف الجمل مما له الأثر في بيان ما تضمنته خطبة الخطيب.

**أقسام الجملة في الخطبة من حيث طولها وقصرها**

الجملة: "هى مظهر الكلام وهى الصورة النفسية للتأليف الطبيعي"[٥٥]. ولكي يحكم على جملة ما بالطول أو بالقصر "فإن ذلك يخضع لعدد من الوحدات التركيبية التي تتكون منها تلك الجملة، والوحدة التركيبية هي كل قطعة تقوم بوظيفة أولية أو غير أولية"[٥٦]

ومن الجمل الطويلة في هذه الخطبة قول الإمام الخطيب:

"الحمد لله أوجب على المسلمين طلب الحلال" وقوله: "أحمده تعالى أن جعلنا أمة الإسلام" وقوله: "وأستزيد من كرمه والإفضال القائل وهو أصدق القائلين" وقوله: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل تسعة أعشار الرزق في الصناعات" وقوله: "وأشهد أن سيدنا وعظيمنا محمدا عبد الله ورسوله راعي الغنم وعامل التجارة"

وقوله: "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أهل التجر والزراعة" وقوله: "أنه لا يجوز لكل مسلم أن يهمل نفسه بدون طلب الحلال"

والاتساعات المتباينة في هذه الجمل تشكل ملمحا أسلوبيا بارزا، وقد تمثلت بعضها بالمضاف والمضاف إليه، وبعضها بالصفات والموصوف، كما يلاحظ الباحث أن لها نسقا رائعا بارعا.

والجمل الاسمية من بين تكلم الجمل التي لها مزاياها وقضاياها، وأراد الإمام الخطيب أن يبرز صفات الله تعالى بكونه قديرا ومريدا، وهذا التمجيد والتحميد والثناء الحسن، يقضي إلى طول الجمل، لتأدي غرضا من الأغراض وهو توصيف الله تعالى بالفضل والمنة، لكي لا يترك الإمام الخطيب أدنى شك وريب في قلب الإنسان، وألا يوهم أنه غير قادر على تنفيذ أموره تعالى، وليدل على أن هذه الصفات ثابتة لله تعالى لا تنفك عنه أبدا، وهذه هي الحقيقة التي لا مزعزع لها.

وإذا ما التفت الباحثان إلى الجمل الفعلية يتورى الأمر إليه بأن الخطيب استعملها ليقفز من حال إلى حال وليفيد استمرار بغيته ومقصوده وهو الشكر والحمد لله تعالى، والشهادة بؤلوهيته تعالى وربوبيته، والشهادة أيضا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعظمته، وكونه عبد الله ورسوله، وجعل هذه المزية أيضا في الجمل الطويلة ليشير إلى الاستغاثة والاستعانة بالله تعالى، وليبلور أن في الحياة تحديات فلابد للإنسان العاقل أن يطلب مزيد الفضل والكرم من الله تعالى وأن لا يهمل نفسه بدون التجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك، وعليه فإن أسلوب الجمل في الخطبة "يعين الطريقة التي ترصف بها الكلمات تبعا للمعاني التي يراد التعبير عنها وتوخي الدقة من خلال ترتيب الكلام ترتيبا معينا لا يعبر عنه ترتيب آخر"[٥٧]

**أقسام الجملة من حيث أنساقها:**

تقسيم الجمل إلى عدة أنساق يؤدي وظيفة معينة، ومن خلال تضافر هذه الأنساق يتكامل البناء اللغوي ليعبر عن المعنى الذي يراد إيصاله، فلا يمكن أن يؤدي نسق من هذه الأنساق وظيفته بصورة شاملة بدون الآخر. وهذه الأنساق هي كالتالي:

(١) الشرط (٢) الاستفهام (٣) النفي

**نسق الشرط:**

الجملة الشرطية تختلف في نظامها عن بعض الجمل "فهي تحتوي على جملتين لا تستقل إحداهما عن الأخرى معنى أو تركيبا، وإن اشتملت كل منها على طرفي الإسناد، فالجملة الشرطية تعتمد في وجودها على جملتي الشرط والجواب جميعا"[٥٨]

وأول ما يلحظه الباحث في ميل الإمام الخطيب لاستخدام أداة الشرط (إن) وهى "من أدوات الشرط الأصلية"[٥٩] ومن أمثلة ذلك قوله لما استدل بقول عبد الله الثقة:

وجاز زرع بغير الاعتماد به * إن كان فيه زكاة فليؤد نم

تتكون الجملة الشرطية في الخطبة من:

إن + فعل الشرط + جوابه.

يدل هذا النسق على الزمن المستقبل، لأن الجواب صار فعل أمر للاستقبال.

**نسق الاستفهام:**

في توجيه السؤال إلى المستمعين الكرام حيث قال "ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له؟" وفي ذلك إدخال الروع في قلب من أكل حراما ولبس حراما وغذي بالحرام، يفيد هذا الاستفهام التهديد والوعيد الشديد لآكل الحرام والسحت، بمعنى أنه لا يزال في حرمان الفضل والكرم وعدم التقرب إلى الله تعالى، لأنه ترك ما يتحتم عليه وهو طلب الحلال في التجارة والزراعة والصناعات، وأكل الحلال الذي يوحي إلى الإيمان والعمل الصالح.

وعلاقته بالتنمية الاقتصادية: هو تحريض الناس إلى طلب الحلال والقيام على النفس.

**نسق النفي:**

جاء هذا النسق في حال النفي المؤكد، لأن نفي الجملة الفعلية لا يأتي غالبا إلا مؤكدا كقول الإمام الخطيب "لا يجوز لكل مسلم أن يهمل نفسه بدون طلب حلال"

أداة نفي (لا) + فعل + المصدر المؤول + الباء الزائدة + ظرف + مضاف ومضاف إليه.

وقوله في النفي الثاني: "ولا يجوز أن يسلك بنفسه طريق التسول والمهانة.

أداة نفي + فعل + المصدر المؤول + حرف جر زائد + مفعول به.

في هاتين الجملتين المنفيتين اهتمام بالمتقدم وهو عدم جواز إهمال النفس وسلوكها في طريق التسول والمهانة والبطالة، على الرغم من أن الله كرمها، (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيل)[٦٠].

وأكد الخطيب قوله بحرفي الجر الزائدين، وهما الباء في (بدون – وبنفسه) ليدعم هذا القول ويؤكده تأكيدا، وفي ذلك استمرار وتجدد حيث استعمل المصدر المؤول من أن وفعلها، وهذه إشارة إلى أن التحريم مستمر إلى الأبد.

**الخاتمة:**

يتبين للباحثين في هذه العجلة السريعة، أن أئمتنا قد لعبوا دورا هاما بارزا في التنمية الاقتصادية في نيجيريا عامة وفي صكتو خاصة، وذلك في قصائدهم الشعرية وخطبهم المنبرية، وما ذلك إلا ترغيب الناس في طلب الحلال والصناعات والزراعات، للتنمية الاقتصادية بوجه عام، وما زال الأمر يتضح بوضوح للباحث من أن الإمام الخطيب قد جاد في اختيار الحروف والكلمات والألفاظ والجمل والتراكيب والجناس والايقاع والسجع، والبينة الصرفية. وهذا في البنية الشكلية.

أما المضمون ولب الخطبة قد حاول الباحثان محاولة قديرة جبارة لربط العلاقة وتوثيقها بين البنية الشكلية والمضمون، ذلك لأن المعنى المقصود لا يبلور إلا باستنباطها

عبر الألفاظ والكلمات والحروف المستعملة والصيغ الصرفية الموظفة والتراكيب النحوية المركزة.

لاغرو إذا قال قائل إن الخطيب كان ماهرا حاذقا بالنحو والصرف والبلاغة كما بدى الأمر في هذه الدراسة الوجيزة.

**النتائج:**

١- وضعت الأسلوبية أقدامها في رحاب الخطبة بحد فائق.

٢- أثبتت الدراسة أن الإمام الخطيب يتميز في خطبته بالبساطة في اختيار الألفاظ والمعنى والصورة

٣- حاول الخطيب أن يعالج مشكلة الفقر والبطالة في الناس عامة، والمسلمين خاصة.

**التوصية:**

١- يوصي الباحثان الأمة الإسلامية بالنهوض في طلب الحلال، وذلك عن طريق التجارة والزراعة والصناعات المختلفة.

٢- يوصيان الآباء والأمهات بالاعتناء بأولادهم، ذلك بأن الزمن قد تغير تغيرا فاحشا.

٣- ويوصيان الباحثين اللاحقين بالنهوض بالبحث في الأسلوبية على جادة الدراسة الوصفية.

**الهوامش والمراجع:**


١- أحمد حساني، **مباحث فى اللسانيات**، ديوان المطبوعات الجامعية ١٩٩٩م، ص: ١٠.

٢- جبغ أبو بكر عثمان، **النثر الفني في خطب الإمام أبي بكر عثمان مبيرا صكتو: دراسة تحليلية**. رسالة الماجستير بجامعة الجزيرة سنة: ٢٠١٤م، ص: ٧.

٣- جبغ، المرجع نفسه، ص: ٨.

٤- المقابلة مع الإمام الخطيب في مكتبه بمسجد بخاري بن الشيخ صكتو، ٢٠١٥م، في الساعة الخامسة مساء.

٥- المقابلة نفسها.

٦- المقابلة نفسها.

٧- بلغاري، سعيد إبراهيم، **الخطيب الإمام أبو بكر عثمان مبيرا: دراسة أدبية**. بحث لنيل شهادة الليسانس بجامعة عثمان بن فودي صكتو سنة: ٢٠١١م، ص: ٩

٨- بلغاري، المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

٩- بلغاري، المرجع نفسه ، ص: ١٠

١٠- بلغاري، المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

١١- سورة الرحمن الآية: ١ - ٤

١٢- الخزبى أحمد رمضان، منشورات إلفى. ٢٠٠٢م ص: ٨٥

١٣- إبراهيم مصطفى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة ج: ١، ص: ٤٤١

١٤- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المخصص**، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ج: ٣، ص: ٣٠٩

١٥- صلاح فضل، **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءته**. دار الشروق – القاهرة، ط:١ ١٩٩٨ ص: ٩٣

١٦- صلاح فضل، المرجع نفسه. ص: ١٠٨

١٧- فيلي سانديرس، **نحو نظرية أسلوبية لسانية**، ترجمة خالد محمود جميعة. دار الفكر للتوزيع دمشق - سوريا ط:١ ٢٠٠٣م ص:٢٦.

١٨- عياشي منذر، (الدكتور)، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط: ١، ١٩٩٠م، ص: ٣٣.

١٩- ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ص: ٣٤٥.

٢٠- الشايب أحمد، **الأسلوب والأسلوبية دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ص: ٢٣.

٢١- المسدي عبد السلام (الدكتور)، **الأسلوبية والأسلوب**، دار العربية للكتاب، تونس ط: ٢، ١٩٨٢م، ص: ٣١.

٢٢- خفاجي محمد عبد المنعم، **الأسلوبية والبيان العربي**، الدار المصرية اللبنانية، مصر ط:١ ١٩٩٢م، ص: ١١.

٢٣- أماني سليمان داود، **الصوفية والأسلوبية: دراسة فى شعر الحلاج**، دار مجدلاوي، عمان - الأردن ط:١ ٢٠٠٢م، ص:٢٧.

٢٤- عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**، دار صفاء للنشر، ط: ١، ٢٠٠٠م، ص: ١٢٢.

٢٥- محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار الفكر العربى، ط: ٢، القاهرة: ١٩٩٧م، ص: ٢١٣.

٢٦- أبو سكين إبراهيم محمد، **دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة**، ج: ١، ص: ٤٩.

٢٧- سورة طه الآية: ١١٧.

٢٨- المراغي أحمد بن مصطفى، **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»** ج: ١ ص: ٢١٣.

٢٩- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله، **الصناعتين**. المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ ص: ٢٣٩.

٣٠- المراغي المرجع السابق والصفحة ذاتها.

٣١- عبد العزيز عتيق (الدكتور)، **علم البيان**، دار الآفاق القاهرة، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ ص: ٨٠.

٣٢- أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل، **البديع في البديع**، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ص: ٢٣.

٣٣- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ص: ٢٢٤.

٣٤- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ج: ٦، ص: ٢٤٧٧.

٣٥- القزويني أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج: ٥، ص: ١٣٩.

٣٦- الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج: ٦، ص: ٥٣٦.

٣٧- حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص: ١٢٧.

٣٨- مناهج جامعة المدينة العالمية، **البلاغة البيان والبديع**، جامعة المدينة العالمية، ص: ٢٤٩.

٣٩- الزيدي توفيق، **أثر اللسانيات فى النقد العربى الحديث**، دار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص: ٧٣.

٤٠- الرافعي مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، ط: ٢، بيروت، ١٩٧٤م، ج: ٢، ص: ٢٣٦.

٤١- جوزيف ميشال شرم، **دليل الدراسات الأسلوبية**، المؤسسة الجامعية للنشر ط:١، ١٩٨٤م، بيروت، ص: ٤١.

٤٢- البياتي سناء حميد، **نظام الجملة العربية**، رسالة الماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٣م، ص:٢٨.

٤٣- المخزومي مهدي (الدكتور)، **النحو العربي: نقد وتوجيه**، دار الرائد العربي، ط: ٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص:٢٨٤.

٤٤- محمود أحمد نحلة، **لغة القرآن الكريم في جزء عم**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٤٩٤.

٤٥- هدي هشام إسماعيل (الدكتورة)، **سورة التكوير دراسة لغوية أسلوبية**، مجلة كلية الإمام الأعظم، ص: ٢١.

٤٦- مناهج جامعة المدينة العالمية، **أصول النحو**، جامعة المدينة العالمية، ج:١، ص: ٢٤٨.

٤٧- ابن السراج أبو بكر محمد بن السرى، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، دار مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت. ج: ٣، ص: ١٢٧.

٤٨- المرعشلي، **الإعجاز الصرفي**، ص: ٩٤.

٤٩- المرجع نفسه، ص: ٩٥.

٥٠- الجرجاني علي بن محمد بن علي، **التعريفات**. حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء، بإشراف دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص: ٦٥.

٥١- ابن معصوم المدني، (السيد صدر الدين)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق شاكر هادي، مطبعة النعمان، ١٩٦٩م، ط١، ص: ٣٤٥.

٥٢- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ج: ١، ص: ١٠٢.

٥٣- سورة النحل الآية: ٩٧.

٥٤- ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي، **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ج ١، ص: ٧٧.

٥٥- صبحي إبراهيم الصالح (الدكتور)، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م، ص: ٢٨١.

٥٦- السيد عز الدين على، **التكرير بين المثير والتأثير**، بيروت، عالم الكتب ١٩٨٦م، ط: ٢، ص: ١٢.

٥٧- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل ص: ٧٩.

٥٨- عونى حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، ج:١، ص: ١٧٩.

٥٩- ابن الأثير، (ضياء الدين) نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ج: ١، ص: ٢١٠.

٦٠- سورة الإسراء الآية: ٧٠.

# المشكلة الأمنية أسبابها وحلولها في ديوان الشيخ عبد الله بن فودي: دراسة وصفية.

د. أبوبكر عثمان الربوي
abubakarusmanribah@gmail.com

**المقدمة:**

لا شك أن المواطنين النيجيريين قد أزعجتهم الأحداث الخطيرة، التي لم تكن تعرف في بلاد نيجيريا من قبل، وقد صدرت من قبل الأحزاب الإرهابية، الفتاكة، وشاهد الشعب النيجيري الأعمال الهائلة الخبيثة، من سفك الدماء، والإفساد في الأرض، والتشريد، وغصب الأموال، ونهب النساء، وقتل الأبرياء من الولدان، والضعفاء والهرمة، وإطلاق النار على غير المسلحين، في المساجد، والجوامع، والصوامع، وعلى المشاة في الطرق والأسواق، وفي المؤتمرات والحفلات، وذلك كله نتيجة سوء المقصد، ومما يسر الباحث أن الشعب النيجيري – بحمد الله – قد واجهوا هذه الأفاعيل بقلب خالص صابر، ويقين ثابت، وسعوا بكل ما في وسعهم لإخماد هذه النار الموقدة، والفتن المؤججة، وبذلوا جهدهم لإعادة الأمور إلى نصابها، ولم يكن هذا مستغربا أن تحظى هذه الخطوة التاريخية بتأييد واسع من قبل المواطنين الخلص، من الجنود، والشرطة، والسلاطين، والعلماء، والحكام، والقضاة، وكل المواطن السليم صدره، السديد رأيه، وذلك كله لمبررات شعبنا الشرعية والسياسية والقانونية، ودفاعا عن الحقوق الإنسانية، وتصديا لمخاطر المتمرد الأجنبي، والمواطن الخبيث السفيه، والبعيد اللدود، والقريب الحقيد، الذي بسط يديه وسطوته على مؤسسات الدولة، ومقدرات الشعب، لقد كان لزاما المسارعة إلى نجدة الشعب النيجيري، وإيقاف حالة الفوضى، والقضاء على الأعمال الإرهابية، والفتن العارمة، السائدة في المناطق بأسرها وخاصة المنطقة الشمالية الشرقية في نيجيريا، هذا مما يجعل الباحث أن ينظر إلى العناصر

التي ساعدت في إيجاد هذه الأعمال، والدعائم التي قامت عليها أعمال العنف، والمعاول التي يهدم بها تلك الأفاعيل، ويخمد نارها، وذلك كله على ضوء أبيات ديوان عبد الله بن فودي رحمه الله.

وستتحدث المقالة — بإذنه تعالى – عن النقاط التالية:

- الظلم.
- العيلة.
- الرشوة.
- التأثّر بالأجانب.
- الخروج على الأئمة وولاة الأمور.
- الدعوة القبلية.
- الجهل.

**العنصر الأول: الظلم**

هو الجور، أو قل وَضْع الشيء في غير موضِعه، ويشمل جميع التصرفات التي لا تتمشّى مع القوانين الشرعية، وكل ما خالف القسط والميزان وجانب العدل والانصاف، فهو ظلم وظلمات يوم القيامة، يرى الباحث أن الظلم من أخطر العناصر التي قام عليها أعمال العنف، ومن الأسباب التي أدّت إلى انتشارها لا في نيجيريا فحسب بل في العالم بأسره!! ومن الواضح أن مشكلة الإرهاب – وسائر أعمال العنف – والعمل على فهم أسبابه من القضايا الأساسية في العالم، في هذه اللحظة التاريخية، وقد رأينا في شتى بقاع الأرض عقد مؤتمرات حول الإرهاب وأعمال العنف، وما ذلك إلا محاولة الوقوف على أسبابه والسعي وراء البحث عن طرق مكافحته، وكثيرا ما نتسائل لماذا هذه الأعمال؟ ما الذي أدّانا إلى هذه الحال؟ أين التعايش السلمي الذي عهدنا في شعبنا النيجيري؟ وإلى أين هذا اللون الظالم؟ وإلى متى إيقاف هذا الحال الغشوم؟ ولا شك أن أول إجابة تأتينا عن هذه التساؤلات هي ما اتصف به كثير من الناس في بلادنا، من الظلم والجور، وعدم

إقامة العدل في البلاد، وتضييع حقوق الفرد والمجتمع، وهذه بلبلة شاملة لجميع صنوف الشعب النيجيري، والطبقات الإنسانية في نيجيريا، وقد شمل الحكام والسلاطين، وأصحاب الثرايا والصحلوك، والموظفين والتجار، وأصحاب الصناعات والعلماء، والأحزاب السياسية والدينية، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، قد يشمل هؤلاء الأصناف كلهم هذا الوصف، وإن كان في الحكّام أخطر وأقبح، لكن ثبت أن قيل "كما كنتم تولون" ولا يتأتى الأمن والاستقرار في أي أمة إلا يوما اتصفت بالعدل والقسط، ونبذت الظلم ودواعيه، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا، ولا أخال أن يعود إلينا التعايش السلمي الذي عرفناه من قبل إلا إذا أدّينا الحقوق إلى أهلها، وهذه حقيقة يشير إليها عبد الله بن فودي بقوله:

وليلة نحسٍ بتّ في كُولْدي حائرا * بإخلاط غـــوغاء الرعـــاء مدنـــسا

فتاركـــهم لا بـــدّ أن يتفـــرّدا * وداخـــلـــهم لا بـــدّ أن يتنـــجّسا

فقلت وفينا بنت بيـــس بظلـــم * لصبح عست هذي الصبيحة أبؤسا[١]

وصف الشيخ هؤلاء السفلة بالغوغاء، وكان أصل هذه الصفة للجراد، ثم أطلق على السفلة من الناس، المتسرّعين إلى الشر، وذلك أن الشيخ عبد الله بن فودي وابن أخيه محمد بللو، وعددا كثيرا من جنود المسلمين المجاهدين، مرّوا بجبل يسمى "كُولْدِي" وكان بجوار هذا الجبل قرية صغيرة حصينة، وأراد بعض الجماعة من الجنود هجوم القرية، وزجرهم الشيخ وابن أخيه عن هذه الفعلة، التي تمثّل الظلم البحت، وبالأسف إنهم لم ينزجروا، بل هاجموا ذلك الحي، وقتلوا الأبرياء غير المسلحين، وسلبوا الأموال، ونهبوا النساء، وحزن الشيخ على ذلك حزنا شديدا، وكذلك ابن أخيه قد أحزنه ذلك غاية الحزن، وكلَّ أهل الصلاح قد أحزنهم ذلك، وباتوا شر ليلة، متدنّسين بهؤلاء الظلمة، اضطرارا لا اختيارا، لأن مجالستهم والانفراد عنهم شيآن وأمران أحلاهما مر، وفي الصباح ساروا إلى قرية تسمى " ألوسا" يغشاهم الهم والحزن، لما قام به هؤلاء الخونة الظلمة، وفي آخر المطاف، أدّى الأمر إلى انهزام عدد كبير من المسلمين في ميدان المعركة عند هذه القرية " ألوسا" واستشهد عدد غفير من المسلمين، وما ذلك إلا جريمة الظلم الغشوم، الصادر من هؤلاء الغوغاء،

ونلمس هذه الحقيقة في أبيات الأستاذ عبد الله بن فودي، في قصيدة التي قالها بعد وقعة فافر، وذلك عند قوله:

فتلك ديار غوبر والتوارق * ولاة الكفر خاوية بظلم[٢]

فذكر أن غوبر وأعوانهم التوارق لاقوا بأسهم باتّصافهم بالظلم، فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، وشتّت جمعهم، وخاب رجاؤهم، وأهلكهم الله بذنوبهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ومثل ذلك نقول عند ما نقف على أبيات قصيدة التي سجّلت لنا أخبار أهل غور وفيها يقول الشيخ:

يا أهل غور ألما يكفـــكم كثنة * والجار يسمع ما قد حَلَّ بالجار

كذا كنو مع زكزك وهي قربكم * وزنفر مـــع غوبر نســـل بابار

تلكم بيوتهـــم بالظلم خاويـــة * منهم وصـــاروا أحاديثا لسمّار

بقدرة الواحد الجـــبار قاهرهم * فالحمـــد لله في جـــهر وإسرار[٣]

فقد وجّه الشيخ نداءه إلى هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأخذهم الله الواحد القهّار، وخرّب عليهم ديارهم بظلمهم. وكل هذه الحقائق تدل دلالة لا تدع للشك مجالا، على أن الظلم يخرّب الديار، ويأتي على بنيان التعايش السِّلمِي فيبيده، وعلى عنصر التآلف فيشتّته فالعياذ بالله منه.

**العنصر الثاني: العيلة**

والعَيْلة – ويقال العالةُ – هو الفاقة والمجاعة وعدم ذات اليد يقال عالَ يَعِيل عَيْلةً وعُيولاً إذا افتقر وفي التنزيل: يا أيها الذين آمنوا إما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم" التوبة:٢٨ [٤] ولا شك أن أغلبية الشعب النيجيري قد يعاني كثيرة من المجاعة، على الرغم مما أسداه الله وأودعه في هذه البلاد من الأرزاق والبركات، بيد فئة قليلة تسيطرت عليه فساعد ذلك وجود المسلحين في شعبنا، هدفهم الأساس في هذا التسلح هو الظفر بما يسدّ رمغهم، ويقلل عيلتهم، وقد تجد كثيرا ممن يباشر هذه الأفاعيل المنكرة قد وقع فيها

اضطرارا لا اختيارا، لأنه لم يجد ملجأ ولا مفرّا من الفقر والمجاعة إلا أن يباشر هذه الأعمال الإرهابية، لذلك يرى الباحث أن هذا العنصر عنصر خطير في إيجاد المسلحين في هذه البلاد، وقد بارك الله علينا وعلى البلاد في جانب الاقتصاد والتنمية، ولكن بدون جدوى، لأن ذلك لا يصل إلى أيدي المواطنين، وإنما يصرف إلى فئة قليلة، وهذا ما أدانا إلى هذه الحال، وأنا لا أشك في أن كل بلد كثر فيه الصعاليك، يعيشون في شدة وصعوبة، وكان فيه شرذمة قليلة تتمتع برغدة الحياة، وتتسيطر على ممتلكات الحكومة، وعلى المناصب العالية، يصعب وجود التعايش السلمي، في البلد الذي كان هذا وصفه وحاله.

وهذا ما يشير إليه الأستاذ عبد الله بن فودي عندما يصف العلماء المجاهدين أهل الخير والصلاح بقوله[٥]

ولربما عملوا كما من كف من * يعدوا وتقوية الضعيف الملتج

فإن الضعيف إذا لم يساعد ويقوى فإنه ربما يتسلح ويعتدي كما هو مشاهد.

**العنصر الثالث: الرشوة**

الرَّشْوَةُ والرُّشْوَةُ والرِّشْوَةُ معروفة الجُعْلُ والجمع رُشىً ورِشىً[٦] ويطلق على كل تصرّف مالي جائر، وعلى كل خيانة مالية، والخطير منها المعنوي هنا هو خيانات مالية و اقتصادية من قبل الحكام والسلاطين وأصحاب الثورة الذين يتصرفون في أموال الحكومة تصرفا جائرا ويتسيطرون عليها بلا مبرر، فالرشوة تهدم بناء الاقتصاد وتورث العداوة والبغضاء، بين الأفراد والمجتمع الإنساني، ولست مجانبا للصواب إذا وصفتها بالسم القاتل، والمعول الهادم للتآلف والتعايش السلمي، وذلك أن الرشوة تشمل جميع أبواب الخيانة، والمعاملة السيئة، وأكل أموال الناس بالباطل، ولا غرو أن تأتي على بنيان الوحدة والاتحاد فتهدمه، فتورث العنف والإرهاب، وتوطد الفرقة والخلاف، وتشتّت السلم والتآلف، ويمكن القول بأنها جريمة أليمة انتشرت في الأفراد والمجتمعات الإنسانية في نيجيريا، وقد اتصف بها الخاص والعام، والرئيس والمرؤوس، والصغير والكبير، ناسين أو متناسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لعن الله الراشي والمرتشي" لم يبرأ منها إلا من رحم الله وقليل ما

هم، وكثير من النصوص الشرعية تأبى الرشوة بكل أشكالها، مما يدل دلالة واضحة على أن الدين الإسلامي الحنيف بريئ من أعمال العنف، ويسعى وراء تحقيق الأمن والسلامة بين الأمة الإسلامية وكل المجتمعات، ويرفض كل ما هو ممارسة للاضطهاد الذي يعترض مكونات المجتمع، ولا يرضى لكل أشكال الإرهاب والتدمير والتشريد، هذا ما يقوله الشيخ عبد الله بن فودي في هذا البيت:

وأكل هدايا الجاه والفيء والرشى * وعود ومزمار وضرب الدبادب[٧]

أشار – رحمه الله – أن من أوصاف هؤلاء الأخلاف تعاطي الرشوة مما ساعد على فشلهم والظفر عليهم، مما يشير إلى أن كل قوم اتصفوا بالرشوة فإن الفشل موردهم، والندامة مشربهم، والتدمير يلحقهم.

**العنصر الرابع: التأثر بالأجانب**

ولاشك أن من شاهد هذه الانفجارات والاضطرابات الخاسرة، السائدة في وطننا نيجيريا يؤمن بأنها أعمال دخيلة، أدخلها الأمم الأجانب، وأن الشعب النيجيري لم يكن يعرفها من قبل، ولا يتوقع وجودها في وطنه العزيز، ولكن دخول الأجانب في نيجيريا وحالة العولمة التي يشاهدها العالم اليوم قد ساعد ولعب دوره في انتشار أعمال العنف في قطرنا، وهذه حقيقة لا أخال أن أحدا يستطيع انكارها، لأنه لا يختلف اثنان في أن الشعب النيجيري شعب طيب، لا يعجبه الإرهاب، ولا سفك الدماء، بله التدمير والتشريد، ولا وجود لهذه الأفاعيل بتّة إلا بعد هذا التدخل الظالم.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبد الله بن فودي بقوله:

وأن قرين السوء يُعدي قرينه * بما فيه إعداء الصِّحاحِ الأجارب

وهذا على حد قوله صلى الله عليه وسلم " فلينظر أحدكم من يخالل" فإن الدخيل قد يفسد على الأمة تعايشهم، ويكدر عليهم الحياة، كما نعانيه اليوم، فإن بذور الإرهاب كان من دول أخرى، ثم بدأ بعض الشرذمة في نيجيريا يحاكون أولئك الإرهابيين، ويتعجبون

بأفعالهم الخاطئة، فظهر الإرهاب في بلادنا شيئا فشيئا عن طريق التدرج، فإذا نحن في هذه الحالة التي ليس يتمنّاها كل من له أدنى بصيرة.

وقد ندرس خطورة الأجانب في قضية الأستاذ المصطفى المعروف بلقبه – غوني– الذي أرسل إلى الشيخ عثمان بن فودي أبياتا يأمره فيها أن يمنع النساء حضور مجالسه العلمية، لئلا يختلطن مع الرجال، ولكن الشيخ رفض هذا الطلب لما فيه من مجانبة الصواب،[٨] ولو أنهم قبلوا هذا الرأي الدخيل الصادر من هذا الرجل الأجنبي لأدّى ذلك إلى ما لا يرجى عواقبه، من إهمال التدريس والتعليم للنساء أمهات الأمة اللاتي يتلقى كل إنسان مبادئ علمه منهن، لأنه قد قيل أن الأم أول مدرسة ، ولا شك أن الجهل – وخاصة لأمهات الأجيال– من أخطر وسيلة إلى التدمير والحرمان، ومن عناصر أعمال العنف.

وهذا مما لاحظه الشيخ عثمان بن فودي لما قرأ أبيات المصطفى، وأمر شقيقه عبد الله بن فودي بالرد على الأبيات، وامتثل الأخ الشقيق هذا الأمر وردّ على الأبيات ردا مقنعا، ولا بأس على الباحث في إيراد أبيات المصطفى، والتي للشيخ عبد الله بن فودي، في هذا المقام.

يقول المصطفى:[٩]

عليـــك مــنّا تحييات مباركـــة * شَمَمْنَ مِسكًا وسُكًّا من يُلاقونا
أيا ابن فودي قم تنذر أولي الجهلا * لعلهـــم يفقهـون الدين والدونا
فامنع زيارة نســوان لوعظــك إذ * خلط الرجال بنسوان كفى شينا
لا تفعلن ما يؤدي للمعائــب إذ * لم يأمـــر الله عيبا كـــان يؤذينا
وأبيـــت المصطفـــى بَجٌّ يتمّمــها * في عام رش مع زيد العدّ يكفينا

وأجاب عنه الشيخ عبد الله بن فودي بقوله:[١٠]

يا أيهاذا الذي قد جـــاء يرشدنا * سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا
لسنا نخالط بالنسوان كيـــف وذا * كـــنا نحـــذر لكن قلت سلّمنا

إن كان ذاك ولكن لا أسلـــم أن * يتركن بالجهل هملا كـان إحسانا
إذ ارتكاب أخفّ الضرّ قد حتما * يكفّر الجهل إن ذا كان عصـيانا
هذي البلاد وجدنا قومها غـرقوا * في الجهل نمنعهم أن يفقهوا الدينا
قد قيل تحـدث للأقـــوام أقضية * بقدر ما أحدثوا خـــذ ذاك ميزانا
الحمـــد لله ذي الأنعـــام هادينا * ثم الصـــلاة على المختار هادينا
وآله صحبـــه أبـــياتنا كملـــت * وعدهـــا حـــب والتاريـــخ نشقنا

نعم الأجانب لهم أفاعيل إيجابية وأخرى سلبية، والفطن من يبحث عن الإيجابية وينتفع بها، ويفتّش عن السلبية منها ويرفضها، والخاسر البليد من رعى في السلبية ولم ينتفع بالإيجابية منها، وحمل ظلما وعدوانا، وليس كل ما نشاهده من الأجانب يثمر، بل منه الطيب وفيه الخبيث، والطيب يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

**العنصر الخامس: الخروج على الأئمة وولاة الأمر**

فجريمة الخروج على الأئمة جريمة نكراء وظلم وعدوان، تأباه الشريعة الإسلامية وكل القوانين السّلمية والبشرية، والفطرة السليمة، لأنه يؤدي إلى سفك الدماء والتخريب والإفساد، وإلى التشتيت والتدمير، وهو على نقيض مقاصد الشرعية التي تستهدف إلى طاعة ولي الأمر، ولى الائتلاف ولزوم الجماعة، وفي الحديث النبوي "من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة الجاهلية"أخرجه مسلم، وفي حديث آخر "من جاءكم وأمركم سواء وأراد أن يفرق بينكم فاقتلوه" وفي القرآن الكريم:" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقّوا".[١١]وقال تعالى:" فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا".[١٢]

وخلاصة القول فإن دين الإسلام جاء بالأمر بالاجتماع وأوجب ذلك على المسلمين قاطبة، وحرم التفرق والتحزب، واعتبره من أكبر الكبائر، التي يجب رفضها وتجنبها، وثبت أنه صلى اللهعليه وسلم قال "عليك بالسمع والطاعة، في عسرك ويسرك ومنشطك

ومكرهك، وأثرة عليك" رواه مسلم" وهذا هو عين ما نجده في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، في أبيات يصف فيها الأخلاف الذين خُلِّف فيهم، ويذمهم، بقوله:[١٣]

ولا يسمع المأمور يعصي إمامه * فمن قام ينهاه عن السوء أخفسا

فدل ذلك على أن عصيان الإمام جريمة عمياء قد يؤدي إلى الفوضى، وأن لزوم الجماعة من أوجب الواجبات، لأنه سبب في تحقيق الأمن التامّ الدائم، والاستقراء المنشود. يقول الأستاذ عبد الله بن فودي:[١٤]

ونحن على الإسلام جمع تناصروا * ولسنا بشيء غيره نترفع

قبائل إسلام فتوردبّ حيُّنا * فلانِيُّنا حوسيُّنا[١٥] الكل مجمع

وفينا سواهم من قبائل جمعت * على نصر دين الله كان التجمع

وهذا التجمع الذي عليه الشيخ وجماعته، هو السبب الوحيد في النصر العزيز المنشود، والفتح الميمون المظفر.

وقل مثل ذلك في قوله:

أمير المؤمنين لنا أمير * فصرنا كلُّنا أهل الجهاد[١٦]

ولا شك أن وجود هذا الأمير من بين أظهرهم وطاعتهم له من أعظم أسباب النصر والفتح للمسلمين، في تلكم الوقائق التي دارت بين الفريقين.

**العنصر السادس" الدعوة القبلية**

ولا شك أن التعصّب الحزبي والعنصري مما ساعد على انتشار أعمال العنف والإرهاب الخاسر في وطننا العزيز، هذا يتعصّب بدينه وهذا بحزبه وذاك بقبيلته وآخر بناحيته وخامسا بعنصره، "إن هو إلا رجل به جنة فتربّصوا به حتى حين".[١٧]

ولاشك أن مايحدث في جوس وكدونا، وولايات أخرى غيرها كانت بذوره من هذا العنصر القبلي، لأن الإرهاب بأنواعه وأشكاله، يشتغل الدعوة العنصرية والطائفية، ويستهدف العنف والقتال والتفجير، امتدادا للفكر المتطرف، ولا يتصور إيقاف هذه الأفاعيل ومكافحتها، بدون القضاء على هذا الفكر المتطرف، ولذلك يجب التفات النظر

وإمعانه إلى مقاصد الأديان، والشرائع التي تستهدف رحمة العالم والسعي فيما ينفعهم، وفيما فيه صلاحهم، في العاجل والآجل، والدعوة إلى عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش السلمي، :"وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم وهو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير"[١٨] ويجب إعادة النظر في النصوص الشرعية فإنها لا شك تأبى هذه الجرائم، ولا تتمشى مع هذا التحزب والتطرف، كما يجب على شعبنا ومجتمعنا جميعا أن نكون يدا واحدة ونتعاون فيما بيننا للقضاء على هذا الأمر الخطير، وتتبع لأسرار كل من ينتسب إلى فئة إرهابية للكشف عن مكامنهم، ولحماية الدولة وحفظ بيضتنا، وسعيا وراء الآية: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان".[١٩]

ولا شك أن محاربة التحزّب والتفرّق، والتعصّب العنصري، من أوجب الواجبات علينا جميعا :" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا". [٢٠] وهذا ما نجده في ديوان عبد الله بن فودي:

وتلك بأن قد بيّن الدين في امرئ * لنا نسبا نعلو بـه ونطامـح
وإن نحـن آوينـاه نـنصر قوله * نَفُزْ ونَحُزْ نُعْـمَاه والكل فالح
وإن قـد أضعـناه أفاد بغيرنـا * مصائب قوم عند قوم مصالح
ولو نفعت قربى فقد فيه ما ردى * أبو طالب عـم النبي وتارح[٢١]

فقد ذكر رحمه الله أن نصرهم منوط بالتجمع على الحق الذي يدعو إليه أخوه الحميم الشيخ عثمان بن فودي، وأن الخيبة كل الخيبة والخسران حق الخسران في التفرّق والتحزّب القبلي، وأن الدعوة إلى القبلية لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنها لو كان بها خير ما ردى أبو طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، ولا هلك كذلك التارح، (آزر) أبو نبي الله إبراهيم، فهلاكهما دليل على أن القبلية ليست على شيء والداعي إليها لا يجني الثمر المستطاب، وكذلك القول في أبيات الديوان السابقة الذكر، وهي:

ونحن على الإسلام جمع تناصروا * ولســنا بشـــيء غــيره نترفــع
قبائــل إســلام فتــوردب حيُّنا * فـــلانيُّنا حوسيُّنا[٢٢] الكل مجمع
وفينا سواهـــم من قبائل جمعت * على نصر دين الله كان التجمع[٢٣]

فدل ذلك أن القوم لا يهمّهم القبلية، وإنما الذي يهمهم هو توحيد الكلمة ولا يعجبهم التفرّق والتمزّق ولكن يعجبهم التجمع والائتلاف مع التعايش السلمي، فاجتمعوا على كلمة التوحيد مع كونهم قبائل قددا وشعوبا عدّة،

**العنصر السابع الجهل**

ولا شك أن الجهل الرائد في مناطقنا قد يلعب دوره في انتشار أعمال العنف، وكان كثير من شبابنا يشملهم هذا الوصف، مما يساعد – في رأي الباحث – على وجود المسلحين، والإرهابيين، ومما يدل على ذلك أن أغلبيتهم شبابٌ يغلب فيهم السفاهة، والجهل لكونهم أحداث أحلام، بعيدين عن مجالس العلم، عديمين المربين الخلص، جاهلين عن عواقب العنف والإرهاب، ناسين أو متناسين عما يتولد عن الحروب، ولا أخال أن أحدا يشك في خطورة الجهل على المجتمع الإنساني، وعلى التعايش السلمي، والتآلف الوطني.

يقول الأستاذ عبد الله بن فودي رحمه الله:[٢٤]

ولما مضى صحبي وضاعت مئاربي * وخُلِّفت في الأخلاف أهل الأكاذب
يقولون مـــا لا يفعلون وتـــتابعوا * هواهم وطاعوا الشـّ في كل واجــب
وليـــس لهم علـــم ولا يســـألونه * وأعجـــب كـــل رأيـــه في المذاهب
وقطّـــع أرحـــامًا وأزْرَى مـعارِفا * وآثـــر عـــن قرباه جمـــع الأشائب
وما همُّهم أمـــر المساجـد بل ولا * مـــدارس علـــم بـــل أمر الكتائب

فإنه رحمه الله وصف هؤلاء الأخلاف بأوصاف رديئة ذميمة، تؤدي فشل كل من اتصف بها، أيا ما كان، وكان من بين هذه الأوصاف المذمومة الجهل والكذب وهوى النفس، والشح وقطع الأرحام، وإهمال المساجد والمدارس، فهذه الأوصاف كلها يترأسها

الجهل وحليفه هوى النفس، مما يدل على أن كل أمة اتصفت بالجهل فإن عاقبة أمرها خسرا.

**الخاتمة**

الشعب النيجري قد أزعجتهم الأحداث الخطيرة، التي لم يكونوا يعرفونها في بلاد هم من قبل، وقد صدرت من قبل الأحزاب الإرهابية، وهي أعمال هائلة خبيثة، تشمل سفك الدماء، والفساد في الأرض، والتشريد، وغصب الأموال، ونهب النساء، وقتل الأبرياء من الولدان، والضعفاء والهرمة، وإطلاق النار على غير المسلحين، في المساجد، والجوامع، والصوامع، وعلى المشاة في الطرق والأسواق، وفي المؤتمراتوالحفلات، وذلك كله نتيجة سوء المقصد، وقد واجه المواطنون الخلص هذه الأفاعيل بقلب خالص صابر، ويقين ثابت، وسعوا بكل ما في وسعهم في اخماد هذه النار الموقدة، والفتن المؤججة، وبذلوا جهدهم في إعادة الأمور إلى نصابها، ولم يكن هذا مستغربا أن تحظى هذه الخطوة التاريخية بتأييد واسع من قبل المواطنين الخلص، من الجنود، والشرطة، والسلاطين، والعلماء، والحكام، والقضاة، وكل المواطن السليم صدره، السديد رأيه، وذلك كله لمبررات شعبنا الشرعية والسياسية والقانونية، ودفاعا عن الحقوق الإنساني، وتصديا لمخاطر المتمرد الأجنبي، والمواطن الخبيث السفيه، والبعيد اللدود، والقريب الحقيد، الذي بسط يديه وسطوته على مؤسسات الدولة، ومقدرات الشعب، لقد كان لزاما المسارعة إلى نجدة الشعب النيجيري، وإيقاف حالة الفوضى، والقضاء على الأعمال الإرهابية، والفتن العارمة، السائدة في المناطق بأسرها وخاصة المنطقة الشمالية الشرقية في نيجيريا، هذا كله من أسباب التيجعلتالباحث أن يكتب مقالته في هذا الموضوع، وقد استطاع المرور على العناصر السبع، التي ساعدت في إيجاد هذه الأعمال، والدعائم التي قامت عليها أعمال العنف، والمعاول التي بها يهدم تلكم الأفاعيل، ويخمد نارها، وذلك كله على ضوء أبيات ديوان عبد الله بن فودي رحمه الله،

وهذه هي الظلم الغشوم، والفقر المفظع، والرشوة الفتاكة، والتأثر بالأجنبي الدخيل، والخروج على الأئمة، والدعوة القبلية الجاهلية، والجهل الرائد المبيد.

**نتائج البحث:**

١- تعد شخصية الأستاذ عبد الله بن فودي شخصية فذة يفتخر به الغرب الإفريقي، لما قام به من نشر التعليم الإسلامي واللغة العربية بجانب ما أنتجه من مصنفات قيمة.

٢- الظلم يأتي على بنيان التعايش السلمي فيشتّته والعدل يحقّقه.

٣- الفقر والجوع يدعوا إلى أعمال العنف والارهاب، واستحسان الاقتصاد الوطني مما يحقّق الأمن والسلامة في البلاد.

٤- الرشوة والخيانة توجبان العداوة والبغضاء بين الشعوب مما يجعل التآلف الوطني والتعايش السلمي في ورطة.

٥- التأثّر بالأجانب له دوره الفعّال لدى الشعوب، دور إيجابي وآخر سلبي.

٦- يُعدّ الخروج على الأئمة جريمة عمياء تؤدّي إلى أعمال العنف.

٧- القبلية الجاهلية والدعوة إليها تهدم الأمن والسلامة وتورث الفتن والخوف الدائم والورطة.

٨- الجهل خطره عظيم، وعواقبه وخيمة، والعلم يساعد على تحقيق الأمن والسلامة.

٩- المشكلة الأمنية أسبابها كثيرة وحلولها وفيرة.

١٠- وقعت أعمال العنف في نيجريا ويرى الباحث أن لا مفر ولا منجى منها إلا الرجوع إليه تعالى والتوبة النصوحة عن مسبباتها.

**الهوامش والمراجع:**

١. عبد الله بن فودي، **تزيين الورقات (ديوانه)**، قام بطبعه أبوبكر بن عثمان الملقب ببابي هو الحاج عبد الرحمن بن الحاج عثمان المغربي، بخط مغربي، بتاريخ ١٣٨٣هـ ، ص:١٢-١٤.

٢. عبد الله بن فودي، المرجع نفسه، ص: ٤/١٩.

٣. عبد الله بن فودي، المرجع نفسه، ص: ٩- ١٢.

٤. ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الإفريقي المصرى الأنصارى، **لسان العرب**، القاهرة دار الحديث سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ص٥٤٩ مادة عيل.

٥. عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص: ٩/٥.

٦. ابن منظور، المصدر السابق، مادة رشى.

٧. عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص: ٩/١٨.

٨. المرجع نفسه، ص: ١١- ١٤.

٩. المرجع نفسه، ص: ١/٢- ٥.

١٠. المرجع نفسه، ص: ١/٣- ١٠.

١١. آل عمران الآية: ١٠٣.

١٢. النساء الآية: ٥٩.

١٣. عبد الله بن فودي، المرجع السابق: ١٠/١٧.

١٤. المرجع نفسه، ص: ٢٩-٣١.

١٥. كذا في في جميع النسخ " حوسينا" بالحاء المهمل، ولعل الصواب " هوسينا" بالهاء، لأنها هكذا تنطق بلغة هوسا، بل ليس لهم حرف الحاء في لغتهم، والله أعلم.

١٦. عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص: ١٣/١٥.

١٧. المؤمنون الآية: ٥٣.

١٨. الحج الآية: ٧٨.

١٩. المائدة الآية: ٢.

٢٠. آل عمران الآية. ١٠٣.

٢١. عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص: ١٨-٢١

٢٢. كذا في في جميع النسخ " حوسينا" بالحاء المهمل، ولعل الصواب " هوسينا" بالهاء، لأنها هكذا تنطق بلغة هوسا، بل ليس لهم حرف الحاء في لغتهم، والله أعلم.

٢٣. عبد الله بن فودي، المرجع السابق، ص: ٢٩-٣١.

٢٤. عبد الله بن فودي، المرجع نفسه، ص: ١-٥.

# المهارة الصرفية لدى الأستاذ عبد الله بن فودي، اسم الفاعل نموذجا

**عمر محمد**
**umarmuhd151@gmail.com**
**و**
**الدكتورة روضة أحمد**
**ahmadraudat@gmail.com**

**المقدمة:**

اهتم العلماء النيجيروون القدامى والمحدثون بالقواعد العربية كلها، فأدوا دورا كبيرا في نشر العلم، وبما أن الأستاذ عبد الله بن فودي في مقدمة هؤلاء العلماء، فإنه لغوي متمكن بأسرار اللغة العربية عامة، وخاصة علم الصرف.

وتتركز هذه المقالة على دور الأستاذ عبد الله بن فودي، في الميدان الصرفي، ويشير الباحثان إلى ما في إنتاجاته من الظواهر الصرفيه، لتبرز مهارته اللغوية وذكائه الصرفية. وتحتوي المقالة على عرض النقاط التالية:

- التعريف بالأستاذ عبد الله بن فودي.
- الدراسة النظرية عن اسم الفاعل.
- اسم الفاعل لدى الأستاذ عبد الله بن فودي.
- الخاتمة.

**التعريف بالأستاذ عبد الله بن فودي:**

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غُورْطُ بن جُبُّ بن محمد ثَنْبُو بن ماسران أيوب بن أيوب باب بن موسى جَكُّل[١].

**ولادته ونشأته:**

ولد الشيخ عبد الله بن فودي في يوم الاثنين ليومين مضين من شهر جمادى الأولى سنة ١١٨٠هـ، في قرية مَرْنُونَا في الحكومة المحلية وُرْنُو، وقيل في مَغَمِى، ونشأ في بيت علم وأدب وهو البيت معروف بالعلم والصلاح، وكان أبوه يلقب بفودي وتعني الفقيه في لغة الفلاتيية[٢].

**تعلّمه:**

يعطي لنا عبد الله صورة واضحة لحياته الدراسية، ومراحل دراسته المختلفة في كتابه " إيداع النسوخ " فقال: إنه بدأ تعليمه في بيته وكان أبوه معلمه الأول الذي درس لديه القرآن وربما تعلم منه القراءة والكتابة أيضا، وبعد هذه الدراسة الابتدائية سلمه أبوه إلى أخيه الشيخ عثمان بن فودي[٣].

أخذ عن أبيه القرآن وبعض الدراسات الإسلامية ثم سلمه أبوه إلى أخيه عثمان بن فودي، ودرس لديه كثيرا من الكتب المعروفة في المنطقة، كالعشماوي، والأخضري، والعشرينيات، والوتريات، والشعراء الستة، والكتب السنوسية، وغيرها، وفي التوحيد والأجرومية وقطر الندى ونحوها، في الإعراب، كما أخذ عنه علم الحديث دراية ورواية، وأخذ منه أيضا تفسير القرآن بأكمله، وعلم الحساب اليسير[٤].

ولم يزل عبد الله ينتقل من شيخ إلى شيخ آخر ومن نابغ إلى نابغ وما من شيخ أو نابغ من شيوخ ونوابغ زمنه إلا جلس عنده وأخذ ما لديه من العلم. فإن لعبد الله بن فودي ميدانا رائعا، في تلقين ما لديه من بلاغة، وأدب، ونحو، وصرف، ومن ذلك أيضا علم الفقه وعلوم القرآن وعلم الأصول، وغيرها من العلوم العربية والإسلامية.

ومن المقطوع به أن فودي ذاته قد تمكن تمكنا شديدا في جميع العلوم العربية والإسلامية فاتسعت دائرة الثقافية الصرفية لدى عبد الله بن فودي[٥]. فعكف الأستاذ عبد الله على تثقيف الناس وتعليم تلاميذه هذه العلوم المهمة[٦].

**تلاميذه:**

فإن تلاميذ عبد الله بن فودي، قد بلغوا نحو سبعمائة وخمسين طالبا من الأكابر الذين انتقلوا معه عند انتقاله، وتبعوه حيث سار، كما بلغنا ذلك عن سعيد بن عبد الرحمن في كتابه ترتيب الأصحاب وتجميع أولي الألباب وعلى رأسهم ابن أخيه محمد بلو ومحمد البخاري، ومعظم أكابر علماء زمانه[٧].

**ذوقه الصرفي:**

نظرا إلى ما ألفه عبد الله بن فودي من المؤلفات ندرك أنه فاق قرناءه وزملاءه في علم التصريف حيث أنه دون كتبا كثيرة فيما يتعلق بهذا العلم، ومن هذه المؤلفات كتابه؛ البحر المحيط، الذي اشتمل على أربعة آلاف وأربعمائة بيت، وهو نظم لما أورده الإمام السيوطي في كتابه جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع في علم النحو مع زيادة على ما فات السيوطي. ومن تألفيه أيضا كتابه المسمى " الحصن الرصين في علم التصريف " وهو منطوم يحتوي على ألف بيت.

**إسهاماته في التأليف:**

من طبيعة العلماء القدامى تأليف الكتب في شتى الفنون، وقد اقتفى عبد الله بن فودي آثار هؤلاء القدامى وألف كتبا جمة من العلوم العربية، والإسلامية والطبِّ والإدارة وغير ذلك من العلوم المعروفة في المنطقة.

وكان الأستاذ عبد الله من أخلص أصحاب الشيخ عثمان بن فودي، – شقيقه – وقد أشرب حب العلم والمعرفة من أخيه، فدرس وألف واشترك معه أيضا في المعارك وقيادة الجيوش، كما تقدم ذكره[٨].

بدأ الأستاذ عبد الله بن فودي بالتأليف في مقبل شبابه، فأول مؤلَّفه الذي وصل إلينا هو " متن المنان " نظم فيه فن التصوف. وله مؤلفات شعرية قبل الكتب ولكن لم تصل إلينا شيء منها. ثم استمر الأستاذ بالتأليف إلى آخر عمره، ألف هذا الكتاب في التصوف، والعقيدة السنوسية الوسطى في التوحيد، والمفتاح للتفسير، وسلالة المفتاح،

والفرائد الجليلة في علوم القرآن، وسراج جامع البخاري، ومصباح الراوي في الحديث، وألفية الأصول في علم أصول الفقه، والحصن الرصين في علم الصرف، والبحر المحيط في النحو، وضوء المصلي في الفقه، وجميع هذه التأليفات ألفها الأستاذ في النظم، في البحور العروضية المختلفة.

**الدراسة النظرية عن اسم الفاعل.**

إن لاسم الفاعل تعريفات كثيرة، على ضوء ما عرفه العلماء الصرفيون، وهاك بعضا منها على النحو التالي:

قال رجب عبد الجواد: اسم الفاعل: " هو اسم مشتق من فعل للدلالة على من قام بالفعل أو اتصف به ". ومثال القائم بالفعل نحو: كاتب مدرس، ومعلم سائق. ومثال من اتصف به. نحو: عالم، أي اتصف بالعلم. وفاهم، اتصف بالفهم[٩].

عرفه يوسف المرعشلي بقوله " اسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث، وفاعلية[١٠]. وأما أحمد الحملاوي، فقد قال: " هو ما اشتق من مصدر المبني للفاعل لمن وقع منه الفعل أو تعلق به : نحو: كاتب، وضارب، وذاهب، وغيرها[١١].

وعرفه الأشموني بقوله: "اسم مشتق من مصدر المبني للمعلوم للدلالة على التجدد والحدوث "[١٢].

**صياغة اسم الفاعل:**

ويصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل، وعلى وزن مضارعه بضم أوله مع كسر ما قبل آخره. ومثاله في الثلاثي، كاتب ذاهب. قانع. ومن غير الثلاثي، مثل: مُستخرِج، مُنطلِق.

**اسم الفاعل لدى الأستاذ عبد الله بن فودي.**

مما يدل على عبقرية الأستاذ عبد الله بن فودي معرفته للغة العربية عامة وخاصة علم الصرف، فإنه قد استعمل اسم الفاعل من جميع أنواعه وأكثر من صيغ المبالغة، وإن من صيغ التي استعمله الأستاذ عبد الله بن فودي، ما جاء على وزن:

١. فاعل. ٢. مفتعل. ٣. فعول. ٤. فعيل. ٥. فعل. ٦. فَعّال. ٧. فاعول. ٨. فُعال. وإليك تفاصيل هذه الأوزان على هذا الترتيب.

نبدأ بالوزن الأول هو ما جاء على وزن فاعل حيث استعمله عبد الله بن فودي أكثر استعمالا من غيره، لدلالته على الثبوت والتجدد واللزوم، حيث أورده في واحد وسبعين وزنا، ولم يهمل عن كثرة تناول بقية الأوزان المشهورة الواردة في اسم الفاعل ومن صيغ المبالغة أيضا. فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن أستاذ عبد الله بن فودي من عباقرة علماء الصرف والنحو عامة، وخاصة في عصره.

وخذ على سبيل المثال ما جاء على وزن فاعل في قصيدته الأولى، فقال عبد الله بن فودي:

نظمن بوافر وزن يقول * مفاعلتن مفاعلتن فعول[١٣]

فمحل الشاهد في هذا البيت قوله: بوافر.

جاءت كلمة (وافر) على وزن فاعل وهو اسم الفاعل، فجر بالباء. وانظر إلى ما أظهره الأستاذ عبد الله بن فودي بعد أن بين بحر هذا البيت الذي استعماله في هذه القصيدة من نظم عرضي، ثم استعمل علم الصرف حيث صرف كلمة وفر يوفر وفرا وأتى بها على وزن وافر دلالة على اسم الفاعل.

وهكذا استمر الأستاذ عبد الله بن فودي مستعملا اسم الفاعل الذي جاء على وزن فاعل في قصيدته الثانية، ومن الكلمات المتضمنة لاسم الفاعل فيها قوله: "سائغا، ظاهر، سائد، لائم، طالع، تابع، ناظم، جاهل". فإن كل هذه الكلمات تدل على الصفة الثابتة في ذات شخص موصوف بها، فاستعاذ عبد الله بن فودي عن صفة أخيرة وهي صفة الجهل قائلا:

شيخ الشيوخ فريد دهره ظاهر * فوق المبارز بالعلوم مُتَوَّج[١٤]

وقال أيضا:

لم يخش في إظهار دين الله من * مستهزئ أو لائم مُتَمَجْمِج[١٥]

إلى أن قال:

ويسأل ناظم الأبيات سترا * من الزلات من حلل الجمال [١٦]

وهكذا تتابع الأستاذ عبد الله بن فودي في نظمه يسرد اسم الفاعل الذي جاء على الفعل الثلاثي، إلى أن أنتج واحد وسبعين وزنا.

وأما ما جاء على الفعل غير ثلاثي، فإن الأستاذ عبد الله بن فودي قد استعمل ما جاء على وزن مُفْعِل على وزن مضارعه بضم أوله وكسر ما قبل آخره، فأورد الأستاذ عبد الله بن فودي، ثلاثة وعشرين وزنا، ومن أمثلة ذلك هذه الكلمات في قوله :

فشكر الله منحتم علينا * جميعا نحن من لهم عقول [١٨]

وقوله أيضا:

متفنن متبحر في علمه * متعطف متلطف للمِعْفَجِ[١٩]

وقال أيضا:

ولم يخش في إظهار دين الله من * مستهزئ أو لائم مُتمَجْمِع[٢٠]

فكلمات: مظهر، منحتم، محي، مجبر، مطهر، معطي، منتحم، متلج، متفنن، متبحر، متعطف، متلطف، مزدج، مستهزئ، مبلج، متهزج.

فاستعمل الأستاذ عبد الله بن فودي اسم الفاعل الذي جاء على أربعة أحرف، وهي: مظهر على وزن مضارعه مع ضم أوله وكسر ما قبل آخره، وهي من أظهر يظهر مظهرة، وكلمة مستهزئ من استهزئ يستهزئ استهزاء، وأصلها من ثلاث كلمة فزيد فيه ثلاثة أحرف: الهمزة، والسين، والتاء، فأصبحت الكلمة على ستة أحرف ثم اشتق اسم الفاعل منها على مستهزئ بإبدال حرف المضارع ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره. وكلمات: متبحر، متعطف، ومتلطف، كلها جاءت على خمسة أحرف.

قد تناول ابن فودي جميع أنواع الفعل المزيد في اشتقاق اسم الفاعل منه، حيث أخذ ما جاء على أربعة أحرف مثل قوله:

ومنكر هذا الدين قد خف وزنه * ومظهره ميزانه اليوم راجح[٢١]

وما جاء على خمسة أحرف مثل قوله:

متفنن متبحر في علمه * متعطف متلطف للمِعْفَجِ[٢٢]

ثم ما جاء على ستة أحرف بقوله:

ولم يخش في إظهار دين الله من * مستهزئ أو لائم مُتمَجْمِع[٢٣]

وأما ما جاء على وزن فعول للدلالة على المبالغة والكثرة، قد استعمله الأستاذ عبد الله بن فودي نموذجا من هذ النوع الوارد في قصائده، قوله: صفوح، صدوق، غفور، كفور، كهول. ومثال ذلك: قوله:

ولا تخش تكذيبا وإنكار جاحد * وهزء جهول ضل والحق صابح[٢٤]

وقال أيضا:

عماد العلم محي الدين فيهم *كثير الخير مصباح العشير[٢٥]

صفوح منزل الأضياف ليّن * خليل للصغير من الكبير[٢٦]

ومنه قوله:

خِلاًّ صدزقا لا يربيك فعله * ومقالة له يختار ما تختار[٢٧]

وقال أيضا:

فسقاه من رب غفور راحم * غيث المحبة والرضي المدرار[٢٨]

وقال أيضا:

قد حرقوا بعض الديار وشتتوا * جمع الكفور جماعة الخنَّاس[٢٩]

وقد أظهر الأستاذ عبد الله بن فودي اسم الفاعل الذي جاء على وزن فعول للدلالة على كثرة العمل والمبالغة فيه. فكلمات جهول، وصبوح، وصدوق، وغفور، وعقول، وفضول، وضروب، وكفور.

وهذا يدل على أن الأستاذ عبد الله بن فودي صرفي، ماهر في علم التصريف وفي استعماله أنواع اسم الفاعل، فإنه أوضح اسم الفاعل الذي جاء على وزن فعيل حيث استعمل أكثر من ثمانة وسبعين وزنا، ومن الكلمات التي أوردها هي: شفيع، وفقير، وطليق، وشهير، ومقيم، وعقيم، وحقير، وكثير، خبير، حبيب، ومنها ما زيدت تاء التأنيث في آخره، مثل ظهيرة، وذميمة. ومن أمثلة ذلك قوله:

على خير الورى صلوات ربي * شفيع الخلق إذ هالت حبول[٣٠]

وقد كلمـــت أبيات الفـقير * وبغيـــته مـــن المـوالي قبول[٣١]

وقوله:

سُجع طليق الوجه هين ليّن * للمسلمين ومُزدر للعَمْهَج[٣٢]

وقال أيضا:

بروقا خُلَّبًا بدبو رابح * عقيم شابها ريح الشمال[٣٣]

وهكذا سرد الأستاذ عبد الله بن فودي اسم الفاعل في هذا الوزن حيث أورد فيه عددا كثيرا منه. وأما ما جاء على وزن فَعِل بفتح الفاء وكسر العين، كحذر، وهو أقل استعمال من الأوزان التي استعملها عبد الله بن فودي، ولم تجاوز عن بضع وزن. ومن أمثلتها: فرح، وسلم، وعطف، وغيرها. وعنها يقول الأستاذ عبد الله بن فودي:

دار يموت بها حبيبك لا ترم * فرحا بدار صفوها أكدار[٣٤]

وقال أيضا:

حتى أناخ على ساحات دارهم * فأصبحوا مثل عطف حط في النار[٣٥]

**الخاتمة:**

وقد اشتمل هذه المقالة على التعريف بالأستاذ عبد الله بن فودي، فتحدثت المقالة عن ولادته ونشاته وترحلاته العلمية ومن حيث بداية تعلُّمه، ومرحلته الأدبية وانتقاله من شيخ إلى شيخ من شيوخ عصره.

وتضمنت هذه المقالة أيضا ذكر تلاميذ الأستاذ عبد الله بن فودي، وذكر بعض مؤلفاته وخاصة ما يتعلق بالكتب الصرفية والنحوية، ومساهمة الأستاذ عبد الله بن فودي في الحركة الإصلاحية مع أخيه وشقيقه الشيخ عثمان بن فودي، وبينت المقالة أن لعبد الله بن فودي تألفات عديدة في شتى الفنون العربية والإسلامية.

وأخيرا، تجلى أن عبد الله بن فودي استعمل ثمانية أوزان من أوزان اسم الفاعل ومبالغته، وبلغ عدد الأوزان التي استعملها في هذه القصائد حوالي مائتين وسبع أربعين وزنا (٢٤٧).

**الهوامش والمراجع:**


١. عبد الله بن فودي، الأستاذ، **الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة في علوم القرآن**، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، ص، ٢٦، سنة ٢٠٠٢م.

٢. عمر بن محمد بُوِي، **توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات**، مطبعة شارع *أبندوما قوفر* عتيق صكتو، ص، ١٥.

٣. عمر محمد بوي، توضيح الغامضات، المرجع نفسه، ص، ١٦.

٤. عبد الباقي شعيب *أغاكا*، **أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي**، مركز المضيف كورا، نيجيريا، ٢٠٠٠م، ص: ٣٠.

٥. عمر بن محمد بوي، توضيح الغامضات، المردع السابق، ص، ٣٣.

٦. عمر بن محمد بوي، توضيح الغامضات، المرجع السابق، ص، ٢٦.

٧. عبد الله بن فودي، الفرائد الجليلة، المرجع السابق، ص، ٣٧.

٨. رجب عبد الجواد إبراهيم، **أسس علم الصرف، تصريف الأفعال والأسماء**، دار الآفاق العربية، سنة، ٢٠٠٨م. ص، ١١٤.

٩. يوسف المرعسلي، **إعجاز القرأن والدلالات الصرفية**، دار ابن حزم بيروت لبنان، سنة، ٢٠١١م ص، ٥٣.

١٠. ابن فودي عبد الله بن فودي، **تزيين الورقات**، طبعة مالم بابي أبوبكر عثمان، وعبد الرحمن بن الحاج، سنة، ١٣٨٣هـ. ص، ١٧.

١١. المرجع نفسه، ص، ٢١.

١٢. المرجع نفسه، ص، ٢٢.

١٣. المرجع نفسه، ص، ٣٠.

١٤. المرجع نفسه، ص، ٢١.

١٥. المرجع نفسه، ص، ٢٢.

١٦. المرجع نفسه، ص، ٣٤.

١٧. المرجع نفسه، ص، ٢١.

١٨. المرجع نفسه، ص، ٢١.

١٩. المرجع نفسه، ص، ٣٤.

٢٠. المرجع نفسه، ص، ٣٨.

٢١. المرجع نفسه، ص، ٣٨.

٢٢. المرجع نفسه، ص، ٣٩.

٢٣. المرجع نفسه، ص، ٤٠.

٢٤. المرجع نفسه، ص، ٨١.

٢٥. المرجع نفسه، ص، ١٦.

٢٦. المرجع نفسه، ص، ٢١.

٢٧. المرجع نفسه، ص، ١٧.

٢٨. المرجع نفسه، ص، ٢١.

٢٩. المرجع نفسه، ص، ٢٩.

٣٠. المرجع نفسه، ص، ٣٨.

٣١. المرجع نفسه، ص، ٢١.

# اللغة العربية ومكافحة الركود الاقتصادي الوطني

**مختار تجاني أحمد**

**و**

**سكينة بشير**

**sakinabashir@gmail.com**

**التمهيد:**

تتمتع نيجيريا بعدة ثروات معدنية وزراعية وإنسانية، وقد تمكنت هذه الثروات من جعل الدولة في مستوى رفيع في العالم حتى عدت في صفوف الدول المعدنية الكبيرة قديما.

قبل نهاية القرن العشرين حصل لنيجيريا أزمات اقتصادية، حاولت الدولة معالجة ذلك بأساليب عديدة منها الاقتراض من صندوق النقد الدولي، ومن شركات خارجية ذات أموال طائلة، علاوة على ذلك حاول بعض الحكام صد أبناء الدولة من الخروج بالعملة الدولية كما عقد رباطا على حدود الدولة لمنع جالبي السلع والأمتعة المحذورة من الخارج.

أضف إلى ذلك النظام الذي أظهرته الدولة نحو المواطنين من انشغالهم بالحرف والصناعات اليدوية، كلها لرفع مستوى الاقتصاد وتخفيف الفقر وتنمية الدخل على الأفراد والدولة بصورة عامة.

هذا كله ساعد على ظهور أعمال ووظائف عدة، إلا أنها لم تقدم إلى الدخل الوطني أو الاقتصادي شيئا يذكر أو يلمس، بل ظهرت نتيجة الأزمة جرائم متنوعة جعلتها في شأن بئيس.

هذه الورقة تهدف إلى كشف الظلام عن أهم الوسائل لنمو الاقتصاد وهو: دور اللغة العربية في مكافحة الركود الاقتصادي الوطني، علما بأنها هي وسيلة لحل المشكلة

الاقتصادية الوطنية الراهنة، ذلك أن اللغة العربية لها علاقة بهذا الوطن علاقة اقتصادية و عقيدية و ثقافية، قبل الاستعمار حيث قدمت نحو هذه الديار تطورا اقتصاديا ملموسا.

**مكانة اللغة العربية في نيجيريا:**

للغة العربية مكانة مرموقة في قلوب المسلمين النيجيريين، فقد استعملت في أيام الكانمي والفوديمثابة لغة رسمية في هاتين الولايتين، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أهداف اللغة العربية في هذه الديار التي جعلت مواطني نيجيريا يقبلون على تعلم هذه اللغة إلى اليوم(١).

**أهداف اللغة العربية:**

١- الغرض الديني: هذا واضح أن اللغة العربية وعاء للتراث الإسلامي ولا وصول إليه إلا بتعلم هذه اللغة بغية الالمام الصحيح بالتراث، وهذ ما دفع أهل هذه البلدة إلى التمسك بها وتعليم صبيانهم إياها لنيل المعرفة والعلم كأساس الثقافة لفهم التراث الإسلامي.

٢- دراسة اللغة العربية تزود على الإحاطة والمعرفة بالمصادر الأساسية لتاريخ إفريقيا عامة والإسلام خاصة، فالثقافة الإفريقية كتبت باللغة العربية قبل غيرها من اللغات، فقد كتب ابن خلدون وابن بطوطة عن إفريقيا.

٣- الغرض المهني والعلمي: كون نيجيريا دولة مكونة من فيدرالية وولائية ومحلية يعطي فرصة العمل في المؤسسات الحكومية كشؤون الحج والتعليم والقضاء والعلاقات الاقتصادية الدولية التي تعود بالنفع والفائدة على الوطن والشعب.

٤- الموقع الجغرافي: أتيحت لنيجيريا فرصة التمسك باللغة العربية ، وذلك أن العصر الراهن عصر العولمة وحقيقة العولمة ما هي إلا احتكاك ثقافي واقتصادي وسياسي بين الأوطان ونيجيريا، من حيث الموقع فإنها تجاور جنوب الصحراء العربي، وذلك موقع استيراتيجي قوي، من حيث الاقتصاد والثقافة.

**الوضع الاقتصادي:**

قبل التطرق إلى دور اللغة العربية في محاربة الركود الاقتصادي لمن المستحسن ذكر وضع الاقتصاد النيجيري بصورة كاشفة ، فنيجيريا دولة وحيدة في غرب إفريقيا القادرة على إنتاج جميع أنواع المواد الغذائية، فشرقها يصدر النخيل وزيته،وفي غربها الخشب والمطاطا، وأما الشمال فيصدر الفول السوداني وزيته(٢).

وتعتبر الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيس لنيجيريا قبل اكتشاف النفط، حيث يعمل حوالي٪٦٠ من السكان في الزراعة، أما المحاصيل التجارية مثل قصب السكر والكاكاو والكولا والمطاطا والقطن والفول السوداني والجلود وزيت النخيل، فإنها توجد بكثرة في شتى أقاليم الدولة، وقد اشتهرت الدولة لقرون عديدة خلت بالتجارة عبر الصحراء في جلود الماعز الحمراء وكانت قبائل هوسا تحملها إلى مراكش بالمغرب(٣) إضافة إلى ذلك فهناك في شمال نيجيريا حوالى ٪٩٠ من الماشية تصدر عن كنو وصوكتو وبرنو وكشينا(٤).

**حالة التجارة الوطنية :**

تقوم التجارة بدور قومي مهم لاقتصاد نيجيريا ذلك للموقع الاستراتيجي لنيجيريا ولامتداد شوائطها الأثر الكبير في الموقع المتميز لها، الذي جعلها مركزا تجاريا مهما للتجارة بين دول غرب إقريقيا خاصة، وبين دول العالم عامة. هذا هو ما دفع أبناءها إلى ممارسة التجارة بصورة ملموسة، وشهدت التجارة حالات من الركود والكساد كما شهدت حالات ازدهار وحركة لسبب الظروف السياسية والاقتصادية الإقليمية والعالمية.

وتعتمد تجارة نيجيريا على الواردات، ذلك للوفاء بمتطلبات السوق المحلية ثم الأخذ بالاتساع وزيادة الكثافة السكانية، كما تقوم بتصدير أنواع متعددة من الصادرات مثل البترول والمعادن كالقصدير، كما تصدر الحاصلات الزراعية كالكاكاو، والمطاط والأخشاب ومنتجات الزيت كالنخيل، والفول السوداني، وجلد المعز المدبوغة وغير المدبوغة وغيرها من الجلود.

**حال الاقتصاد الوطني:**

لا يخفى على كل أن نيجيريا وقعت في موقع جغرافي استراتيجي مما يجعلها رائدة الاقتصاد في غرب أفريقيا، ذلك لمصادرها الاقتصادية كما يمكن أن تعين على دفع عجلة الاقتصاد في كافة دول غرب إفريقيا، إلا أن الهيمنة الاقتصادية التي تفرضها الشركات الغربية والفساد الداخلي في الدولة، إضافة إلى التقلبات التي تطرأ على أسعار النفط من وقت لآخر، قد حال دون ذلك الدور الرائد.

أما بالنسبة للركود الاقتصادي فيرجع السبب إلى:

١) الاعتماد على النفط بصورة أساسية.

٢) عدم العناية بالمصادر الأخرى ذات أهمية.

٣) الاعتماد على سوق الدول الغربية والولايات المتحدة، واليابان ودول الكومنلث المستقلة من بريطنيا.

٤) ضعف العلاقة بالدول العربية الإفريقية والآسيوية.

هذا، والدولة اليوم في أزمة اقتصادية شديدة مع كثافة السكان، الأمر الذي يخيف ذوي الألباب من حيث أن النتيجة الحاصلة الآن لم تدرك غير مسرة ولا مرجوة.

**اللغة العربية ومحاربة الركود الاقتصادي:**

للغة العربية مقدرة عظيمة على محاربة الركود الاقتصادي، لكن ذلك يستوجب تجديد علاقة قوية بين الدول العربية ونيجيريا ولا يتم ذلك إلا إذا اتخذت نيجيريا اللغة العربية لغة مهمة لها مكانة وذلك في مجالات عدة منها:

**الاقتصاد:**

اللغة العربية لغة تجارة وأصحاب ثراء لهم اقتصاد قوي متطور، فإن الوسائل للاقتصاد تعلم اللغة لاستخدام الترجمة ليكون التفاهم بين الآخذ والمعطي، وبعبارة أخرى ليتم بين الصادر وبين الوارد تفاهم تام، وهذا ما استخدمته دول أروبا حتى حاولت أن تقرض لغتها لغة اقتصادية فيما بعد ليسهل عليها التعامل مع الآخرين.

**بناء الشخصية النيجيرية على تقاليد العرب الحسنة:**

مما ينقذ الاقتصاد الوطني من الركود بناء أفراد الشعب على العادات والتقاليد العربية الحسنة، إذ هي عمود فقري لحيتة الفرد في كل حي كان، وقد وجد الإسلام العرب فأقر بعضها عليها، كما وجه بعضها وصوب إلى الطريق المثلى ونوجز في عرض جزء من هذه العادات كما يلي:

- الكرم: اتسم العرب منذ الجاهلية بالكرم والسخاء والجود في حياتهم الفردية والجماعية، ويتجلى أثر ذلك في حياتهم حيث كان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته، فيدفعه هذا الكرم، فيقوم إليها فيذبحها لضيفه، استمع إلى عنترة بن شداد حيث يقول:

ولقـــد شربـــت من المدامة بعـدما * ركـــب الهواجر بالمشـوف المعلم

بزجاجـــة صفـــراء ذات أســـرة * فزنـــت بأزهـر بالشمال معدم

مـــاذا شربـــت كأنني مستـهلـك * حـــالي وعرضي وافـر لم يكلـم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شما ئلي وتكرمي(٥)

فليس الباحث يدعو إلى تناول الخمر، وإنما توضيح أن تناول الخمر عندهم سبب للكرم والسرف على النفس لا مفتخر في ذاتها.

- الوفاء بالعهد: فقد كان العرب يعتبرون الوفاء بالعهد دينا يتمسكون به فراجع قصص بعض العرب أمثال السمؤال بن عاديا، وهانئ بن مسعود الشيباني، وحاجب بن زرارة التميمي(٦).

- العزيمة على الأمور فالعرب إذا عزموا على شيء فيه المجد والفخر لا يصرفهم عنه صارف بل يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

- الصدق والصبر والحلم والأناة والتؤدة، هذه الصفات بارزة في كثير من حياتهم وهي تعني عمود المعاملات اليومية، فتجارة العرب القائمة أيام الشتاء والصيف قد حافظت

كسبهم ومعاشهم في الجاهلية وبعدها. هذه العادات والتقاليد لاتمتاز بها العرب فقط، بل توجد في عادات القبائل أخرى.

**العلوم والفنون والآداب:**

هذه الوسائل الثقافية والحضارة والعمران في كل دولة لذا اتخذت الأمم الراقية هذه الوسائل ونشرته بين أهلها عن طريق الترجمة، فقد نقلت أروبا العلوم والفلسفة اليونانية ونقلت الدولة العباسية آداب الفرس والهند إلى العربية(٧)، ونيجيريا اليوم في حاجة إلى نقل العلوم والفنون وآداب العربية، إضافة إلى ما سبق نقله أيام الدولة الكانيمية والدولة الفودوية، الأمر الذي جعل كلتا الدولتين في أيامهما في نفوذ قوي واقتصاد رفيع، فترجمة العلوم العربية وفنونها وآدابها يرفع شأن الاقتصاد الوطني من الركود.

**تقوية العلاقة الدينية:**

كون اللغة العربية لغة دين الإسلام ولها دور فعال في أداء شعائر إسلامية ومعظم سكان نيجيريا على الإسلام فتوطيد العلاقة بين العرب وبين الشعب النيجيري سيفي بالفائدة الدينية والاقتصادية، ولعل هذه العلاقة هي السبب في تعاطف الدول المصدرة للنفط(أوبك) كثيرا مع نيجيريا والتماس سبل شتى لمساعدتها(٨).

**توطيد التعليم العربي:**

إن نيجيريا منذ الاستعمار إلى اليوم تقوم بعملية التعليم المدني واتساع مجالات لمن يقوم به، ولكن التعليم العربي في حاجة إلى من يقوي شأنه مع كون العلم والمعرفة ميراث الإنسانية، فلو وطدت الدولة التعليم العربي وأتاحت الفرصة لمتعلمي العربية، لكان همزة الوصل بين الدولة والدول العربية، الأمر الذي يفسح ميدانا لاقتصادية خارجية وداخلية، فهناك مثلا مجالات عملية مهنية يتمتع بها المواطنون في البلاد العربية لكونهم أهل معرفة بالتعاليم العربية.

**الخاتمة:**

تعاني نيجيريا من الركود الاقتصادي في هذه الآونة لظروف وملابسات عديدة يرجع أغلبها إلى الأزمات الاقتصادية العالمية، وإلى اضطراب سياسي وعدم إدارة جيدة. قد لاحظ ذلك الباحثان في ثنايا البحث وأن الاستعمار أو الاعتماد على الغرب بثقافاتهم ونظرياتهم الاقتصادية مما يسبب أزمة الكساد الاقتصادي.

وقد حاولت هذه المقالة أن تلقي ضوءا على جوانب مشرفة يمكن للغة العربية فيها رفع مستوى الاقتصاد من الركود، بل إنقاذه من الكسد، فقد شاهد الجميع أن بلاد العرب صحراوية قاحلة، إلا أنها استخدمت ثقافتها العربية، فأصبح اقتصادها جيد الحال رفيع المنزلة، فكذلك إذا حاولت نيجيريا تطبيق هذه الثقافة العربية فإنها ستخفض الأزمات الاقتصادية.

لاحظ الباحثان أن مشكلةالاقتصاد النيجيري هي الاعتماد على زاوية واحدة، مع كون الدولة ذات ثروات عديدة زراعية ومعدنية وحيوانية وإنسانية، إضافة إلى أن الهيمنة الغربية قد غلبت عليه من حيث الاستخدام.

وإذا أرادت الدولة النيجيرية التخلص من ربقة الركود الاقتصادي فعليها ربط العلاقة القوية مع الدول العربية الإسلامية فهي في استعداد تام لمساعدتها لوازع ديني إسلامي. زيادة على الاعتزاز والشعور برابط لغوي ثقافي متمثل في اللغة العربية الموحدة للأمم في ظل الثقافة الإسلامية.

**التوصية:**

يري الباحثان أنه من المستحسن لأهل الحل والعقد أن يضعوا في منهج التعليم العربي مادة (Entrepreneurship) أي: "ريادة الأعمال" كي يكسب الطالب العربي مهارة المعاملة في الحرف والمهن.

ويوصي الباحثان طلاب اللغة العربية بالبحث والفحص في الدراسة اللغوية، كي يتمكنوا من المسايرة مع زملائهم في بلدان العرب وسائر بلاد أفرقية أخرى.

الاقتصاد مهم في الحياة الإنسانية، فلذا يوصي الباحثان المسؤولين بشأن الأمة أن يحسنوا العلاقة بين البلاد العربية ونيجيريا، كي تنقذ الدولة من الركود الاقتصادي.

**الهوامش والمراجع:**

١. أغاك، عبد الحميد شعيب، **مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري**، ص (٢٥).

٢. ١ / محمد لواء الدين أحمد (٢٠٠٩م) الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان. ص (٣٦).

٣. ١/ المصدر نفسه، ص (٣٧).

٤. صفي الرحمن المباركفوري(٢٠٠٤م)، الرحيق المختوم، الطبعة الشرعية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص (٥٨).

٥. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٦. صفي الرحمن المباركفوري (٢٠٠٤م)، المرجع السابق، ص: (٥٩)

٧. الدكتور السيد عقيل الترجمة ومكانتها في حياتنا المعاصرة، ص: (٢٧)

# الأنشطة اللغوية اللاصفية ودورها في تعزيز فكر مكافحة الفقر لدى طلاب المدارس العربية الثانوية في نيجيريا

**محمد عبد الله يحيى**
muhabdy50@gmail.com
**و**
**نور آدم عثمان**

**مقدمة**

تعد المدرسة مؤسسة تعليمية ذات وظيفة تربوية اجتماعية، ذلك لأن لها دورها التعليمي لأبناء المجتمع الذي يساير التطورات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية للحياة بالإضافة إلى دورها في تكوين شخصية الفرد و أنماط سلوكه.

فوظيفة التربية : " تغيير سلوك أفراد المجتمع و تطوير أفكارهم وتوجيههم نحو ما هو أفضل، عن طريق معالجة المنهج وتحقيق أهدافه"[١]. تركز هذه المقالة على النشاطات اللاصفية خاصة الصحافة المدرسية ، نظرا لكونها من الأسس المهمة التي تغرس حب العمل والإنتاج ، و تغيير سلوك الطلاب ليكونوا مواطنين صالحين، والدور الذي يمكن أن تلعبه في تعزيز فكر طلاب المدارس العربية الثانوية في مكافحة الفقر في المجتمع النيجيري، بناء على المنهج الوصفي حيث تتناول مفهوم التنمية الاقتصادية ، و مفهوم الأنشطة اللغوية اللاصفية ، وبيان مظاهر تتنمية فكر مكافحة الفقر في الصحافة المدرسية ، انتهاءً بالخاتمة و النتائج، راجيا من الله سبحانه و تعالى أن يجعل مقالتنا هذه وسيلة من وسائل تطوير حالة وطننا المحبوب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا.

**مفهوم التنمية الاقتصادية:**

عرّفت التنمية الاقتصادية بأنّها: "سعي المجتمعات إلى زيادة قدرتها الاقتصادية، للاستفادة من الثّروات المتاحة في بيئاتها، و تحديدًا في المناطق التي تعاني غياب التنوّع الاقتصادي المؤثّر سلبًا على البيئة المحليّة عامّة .[٢]

التّنمية الاقتصادية فرع من فروع علم الاقتصاد ، حيث ساهمت في تطوير القطاعات الاقتصادية في الدول النّامية ونهوضها، لذلك تعدُّ من الوسائل المعزّزة للنموّ الاقتصادي في العديد من القطاعات العامّة، مثل : التعليم، والصحة، وبيئة العمل، والسياسات الاجتماعية ، وغيرها من القطاعات التي تسعى إلى زيادة كفاءتها وقدرتها على التأقلم مع الظروف الاقتصادية المؤثّرة على قطاع الاقتصاد، سواءً الكلّي أو الجزئي.

ومهما يكن الأمر فإن التنمية الاقتصاديّة تسعى إلى تحقيق العديد من الأهداف، منها:

- زيادة الدّخل القوميّ.
- استثمار الموارد الطبيعية .
- الاهتمام بالتبادل التجاري.
- معالجة الفساد الإداريّ.[٣]

**مفهوم الأنشطة اللغوية :**

تعدّ الأنشطة اللغوية اللاصفية من أهم مقومات العملية التعليمية التي تسهم في تربية النشئ تربية متكاملة في جميع مراحل التعليم ومستوياته المختلفة. وتعدّدت تعاريفها حسب وجهات نظر الدراسين. نذكر منها ما يلي:

> " هي البرامج التي تنفذ بإشراف وتوجيه المدرسة، والتي تتناول كل ما يتصل بالحياة المدرسية ونشاطاتها المختلفة ذات الارتباط بالمواد الدراسية أو الجوانب الاجتماعية أو البيئة أو الأندية (الجماعات والجمعيات) ذات الاهتمامات الخاصة بالنواحي العملية أو العلمية أو الرياضية أو الموسيقية أو المسرحية أو المطبوعات المدرسية[٤]".

وفي تعريف آخر: "هي الأنشطة التي يمارسها المتعلم خارج الفصل لاستكمال أو بناء الخبرات والمهارات الأساسية يشارك فيها المتعلم من خلال جماعات النشاط مثل الصحافة والإذاعة والرحلات والتمثيل والكمبيوتر وغيرها من مجالات الهوايات المختلفة في المدرسة".[٥]

**مفهوم الصحافة المدرسية:**

الصحافة مهنة قائمة على جمع الأخبار وتحليلها والتحقق من مدى مصداقيتها قبل تقديمها للجمهور. و تكون هذه الأخبار في معظم الأحيان متعلقة بالأحداث المستجدة، سواء كانت سياسية أو ثقافية أو محلية أو رياضية، و غيرها الكثير من المجالات المختلفة.

> "نشاط حر نفذ داخل المدرسة، ويقوم الطالب بالعبء الأساسي في إصدارها تحريرا وإخراجا، وطباعة وتوزيعا بإشراف مشرف الجماعاة التربوية، أو جماعة الصحافة ، وتخاطب مجتمع المدرسة من طلاب ومعلمين وأولياء أمور وتلتزم بالقواعد التي تحكم المؤسسة التعليمية فيما تنشره من مواد، مع إتاحة الفرصة للطلاب للتعبير عن آرائهم بقدر من الاستقلالية والمسئولية التي تنمي جوانب إبدائية وتربوية وفنون كتابة الصحيفة"[٦].

**أنواع الصحافة المدرسية:**

تتنوع الصحافة المدرسية إلى نوعين:[٧]

(١) **الصحافة المطبوعة:** وهي التي تطبع بأشكال عدة ، كجريدة أو مجلة أو كتيب، وتحتاج إلى كادر متكامل من هيئة تحرير ومشرف فني ومنفذين للعمل، مراسلين ورسامين وخطاطين ، وهذا الكادر هو المسئول الأول والأخير عن عملية تحرير وإخراج وطباعة وتوزيع هذه الجريدة أو المجلة أو الكتيب، ويكون

إصدارها أسبوعياً أو شهريًا أو فصليًا بحسب البيئة الاجتماعية المحيطة بالمدرسية.

(٢) **الصحافة الجدرانية أو الحائطية**: وهي تختلف اختلافًا كليًا عن المطبوعة من حيث الأسلوب والمضمون، وقد تتم و تنفذ عن طريق أسلوب العمل والجهد الفردي أو الجماعي للطلبة. ويكون اهتمامها بنشر الأخبار والمعلومات والأنشطة المتوفرة داخل وخارج المدرسة، و يتم وجودها قربا لهيئة الإدارية التدريسية في المدرسة أو في أي مكان بارز و ملائم للإطلاع من قبل الطلبة والمعلمين والزائرين من أولياء الأمور والمسئولين".[٨]

وهناك صور أخرى للصحف المدرسية مثل: سبورة الأخبار – صحيفة ربع ساعة – الصحيفة الطائرة – صحيفة الفصل – صحيفة الفرقة صحف متخصصة – صحف المناسبات – الصحيفة العامة – المجلة المدرسية.[٩]

**مظاهر تعزيز فكر الطلاب في مكافحة الفقر من خلال الصحافة المدرسية:**

المدارس الثانوية هي المدارس التي يذهب إليها الطالب مباشرة بعد ما اكتماله الدراسة في مرحلة الأساس، معظم طلاب المدارس الثانوية كانوا من سن المراهقة، ومدّة الدراسة بها ثلاث سنوات غالبا.[١٠]

يمكن تلخيص مظاهر تعزيز فكر مكافحة الفقر و تنمية الاقتصاد من خلال الصحافة المدرسية في النقاط التالية:

**بناء الشخصية**: توثّق الصحافة المدرسية صلة الطالب بمدرسته وبيئته ومجتمعه، وتشجعه على التكيف بعادات وتقاليد مجتمعه كما تغرس في نفسه روح مكافحة الفقر والعمل من أجل تنمية اقتصاد وطنه، وتعزيز إخوته الطلبة في مواكبة الركب الحضاري لتنمية الاقتصاد في الوطن، فعند ما يحرر بيده أخبار مدرسته، ويكتب في سلوكيات اجتماعية إيجابية مثل: فوائد الصناعات اليدوية، أو سلوكيات سلبية مثل: قطيعة الرحم، وإهمال البيئة، و تشويه

المبنى المدرسي، فإنها بذلك تعمق شعوره الاجتماعي، و تحثه على المشاركة العملية الإيجابية في تنمية جوانب الحياة في مجتمعه الصغير والكبير، وهي بذلك تحقق فيه الانتماء عمليًا.[١١]

**تنمية قدرة الإبداع:** الطالب الذي يشترك في إعداد الصحيفة وإخراجها وتوزيعها فإنه يحاول الإبداع، كي يكون عمله مقبولا، وذلك عن طريق النظرة الموضوعية، ثم الانطلاق إلى الخيال الابتكاري، وهي إحدى مقاصد التربية الحديثة، التي تخرج من الجمود العقلي إلى الاستنتاج والمشاركة.

عند كتابة تقرير ما، فالطالب تلقائيًا سيتجه إلى مصادر البحث عن المعلومات، وهذا كفيل بأن يتعرف على طرق البحث العلمي. وعندما يكتب بدافع ذاتي، ويسهم شخصيا في التوجيه، فيحرر موضوعًا في صحيفة المكافحة ضد الفقر، أو أهمية الصناعات اليدوية .. فإن ذلك يغرس في نفسه روح الجهد والعمل و الإنتاج، والقيام بالواجبات ولزوم القيام بتطبيق ما كتبه كي يكون قدوة حسنة لما يكتبه و التعمّق في تفكير ماذا يقدم لخدمة وطنه وتنمية ثرواته أو كيف ينبغي أن يستغل الفرصة للاستفادة من معطيات المنطقة التي يعيش بها، الأمر الذي قد يؤثر نهائيا في تعزيز فكره لمكافحة الفقر وتنمية اقتصاد الوطن.[١٢]

**تشجيع الطلاب على تعلم فنون وخبرات جديدة:**

الربط بين محتوى الصحافة المدرسية والمقررات الدراسية: حيث يمكن استخدام المعلومات المستوحاة من مادة العلوم. مثلا لإثراء المعلومات العلمية، وذلك بجمع شتات أو بذور حقيقة من الطبيعة، ولصقها أو تصويرها في نشرة المدرسة على هيئة تقرير صحفي مصور. ناهيك عن ما تحققه بعض الصحف المدرسية من مساعدة المعلم في تقديم مادته العلمية، والوصول إلى عقلية التلاميذ بطرق سهلة وجذابة.

**التعرّف على مواهب الطلاب وتنميتها:**

تلعب الصحافة المدرسية دورا فعالا في الكشف عن المواهب التي يهبها الله تعالى لعباده من قدرة التفكير والحكم على الأشياء بطريقة صحيحة، بمعنى القدرة على التخيل، ثم إخراج ذلك الخيال في واقع مفيد، يتمثل في حل مشكلة أو الوصول إلى قرار.

والتفكير كما يعرّفه بعض أساتذة التربية هو: عند ظهور أي مشكلة للفرد يصعب حلها، في ضوء خبراته السابقة فإن الفرد يقوم بنشاط عقلي لكي يصل إلى حل مناسب لهذه المشكلة.

والتفكير الابتكاري " هو القدرة على الإنتاج، إنتاجًا متميزًا بأكبر قدر ممكن من الطلاقة الفكرية، والموارنة، والأصالة"[١٣].

وحيث إن الصحافة المدرسية نشاط حرّ يمارسه الطلاب بناء على رغبتهم، فإنها من خلال مراعاتها لميولهم ورغباتهم وما يناسب معلوماتهم وعرضها عن طريق التحرير والإخراج " الإفراغ" تستطيع التعرّف على أصحاب الملكات الإبداعية، ومن ثم صقلها. ومن القدرات التي يمكن للصحافة المدرسية التعرف عليها:

١) **المواهب العلمية:**

أول خطوة من خطوات عمل الصحيفة هي جمع المعلومات، وقبل جمعها لا بد من التفكير ووضع المقترحات تحت إشراف مشرف جماعة الصحافة (أو معلم الفصل)، وهنا يحذر من تسفيه آراء بعض التلاميذ لأن ذلك يؤدي إلى إعراضهم عن عملية التفكير، مما يؤدي إلى تعثر مواهب الذهنية.

ومن خلال جمع المعلومات بوصفها نشاط حر يمكن التعرف على ميول بعض التلاميذ الذين يقبلون على ذلك بشغف وبتدقيق عميق، وهذا يكشف عن موهبة وقدرة علمية لدى أمثال هؤلاء التلاميذ. ومن جهة أخرى فإن المعلومات التي يحصل عليها التلميذ تلعب دورا مهما في تكوين ذكائه، وقدرته على الإبداع، حيث تذكي حب الاطلاع

وتغريهم بكثرة القراءة، وبالتالي تفجير الطاقات العلمية الكامنة في خدمة الوطن والتنمية الاقتصادية بصفة عامة.

٢) **القدرات الإبداعية:**

المقصود بالقدرات الإبداعية هنا هو ما يوجد لدى الطالب من قدرات على التخيل، ثم قدرته على نقل ذلك إلى مضمون وواقع ملموس مقروء ( أو مسموع أو مرئي)، ويمكن للصحيفة المدرسية أن تتعرف على هذه القدرات من خلال ممارسة الطالب لذلك العمل، لأن العمليات العقلية المعرفية لدى الطالب تتأثر جميعا بالحيز الثقافي وما يهيئه للطلاب من ظروف، حيث إن ما يكتسبه الطالب من خبرات ومهارات تفعل فعلها في رسم العوالم الإدراكية للطلاب، وفي توجيه تخيلاتهم نحو الأشياء، و تستطيع القيام بهذا الدور من خلال المشاركة بين مشرف جماعة الصحافة وطلابه في كيفية التصميم الجيد لموضوع معين وما هو الشكل المناسب، كأن تتخذ شكلا معينا بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفقر، أو بدء العام الدراسي، فيطلب المعلم منهم اقتراح أفكار جديدة متميزة، وعندها سيفاجأ المعلمون بإبداعات غير متوقعة" .

ويمكن أن نرى رسامين للكاريكاتير ، أو الرسم المحاكي للطبيعة، أو الرسم القائم على التخيل ... وكلها مهارات إبداعية مخبوءة، أو محجوبة لا يدري عنها أحد، وهذا لا شك يؤثر في بناء شخصية فعالة قادرة على تنمية الاقتصاد في الوطن.

**الخاتمة:**

إذا كان الخلل البنائي لأفراد المجتمع، من حيث انخفاض مستوى المدخول، وسوء توزيع العاملين في القطاعات الاقتصادية، وضعف الإنتاجية وانتشار الفساد الإداري، وعدم الشفافية، واختلال آليات السوق في غياب القوانين الكابحة للاحتكار، ثم طغيان السلطة والاستبداد هو المرض الذي يعاني منه الاقتصاد النيجيري، فإن الصحافة المدرسية تلعب دورا كبيرا في تقديم حلولٍ مناسبة لمواجهة هذا المرض، والعمل على خلق جيل واعٍ مثقفٍ ومستعدٍ للقضاء النهائي على المشكلة. و بما أن تقديم الرنامج الصحفي المدرسي يساعد

على تغيير سلوك طلاب المدارس الثانوية النيجيريين، ويمهد لهم طريق استغلال ما في بيئتهم من الثروات في تنمية اقتصاد الووطن، فإن الباحثين قد توصلا إلى الاستنتاجات الآتية:

- الأنشطة اللغوية اللاصفية تلعب دورا فعالاً في سرعة تغيير طلاب مدارس الثانوية، بما تترك في نفوسهم من أثر إيجابي تجاه تلك الأنشطة التي يقومون بتقديمها.
- الصحافة المدرسية نشاط لغوي لا صفي يوثق صلة الطالب ومدرسته وبيئته ومجتمعه ويشجعه على تنمية اقتصاد وطنه عن طريق توجيهه نحو سلوكيات اجتماعية إيجابية مثل: فوائد الصناعة اليدوية، وأيضا عن طريق تحذيره من سلوكيات سلبية مثل: قطيعة الرحم و إهمال البيئة .
- تنمّي الصحافة المدرسية قدرة الإبداع في الطلاب، خاصة الذين يشتركون في إعداد الصحيفة وإخراجها وتوزيعها.
- تشجع الصحافة المدرسية الطلاب على تعلم فنون واكتساب خبرات جديدة، مما يؤثر بالتأكيد في تعزيز فكر مكافحة الفقر والتنمية الاقتصادية في نفوس الطلاب.
- تتحقق بها مشاركة الطلاب في النشاطات اللغوية اللاصفية (الصحافة المدرسية) وتترك فيهم أثرا إيجابيا و يغير سلوكهم نحو تخلّق بأخلاق حميدة.

**الهوامش والمراجع:**

١. ثاني إدريس بابا، **تطوير المناهج**، مقالة مقدمة في ورشة إداري المواد الإسلامية واللغة العربية في ولاية جغاوا، نيجيريا، ٤-٧ ديسمبر، ٢٠١١م.

٢. التبدري، طارق (٢٠٠٢)، **أساسيات في علم إدارة القيادة**، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ص: ١٠٣.

٣. مفهوم الاقتصاد، madood3.com 28/9/2017

٤. دائرة المعارف الأمريكية ، نقلا عن .kenanaonline.com ٢٠١٧/٩/٢٠

٥. ahlamontadaK nwayeraltibinawi.blogspot.com/p/blog.

٦. موقع البيانات، نادي الإعلام التربوي ٢٠٠٨م، تاريخ الزيارة ٢٠١٧/٨/٢٥

## قصيدة المؤتمر

نُـونِيّـةُ المؤتمر الوطنيّ الثالث عشر، تحت المحور الرئيس: العربية والتنمية الاقتصادية في نيجيريا، للجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا،(أَسَلن)، الذي تم عقده بجامعة ولاية صكّتو، من ١ إلى ٥ من شَهْرِ أكتوبر (تِشْرين الأول) ٢٠١٧م،).

قَــدْ آنَ يَــا أُمَّـةً لِلضَّــادِ قَـدْ آنَــا * أَنْ نَبْعَثَ الْوَعْـيَ مَيْــدَانًا فَـمَـيْــدَانَا
وَعْيٌ يُخَلِّصُ هَذا الْكَــوْنَ مِــن ظُلَمٍ * قَدِ ادْلَهَمَّتْ فَبَــاتَ الْكُــلُّ حَــيْرَانَا
إِلّا الّــذِينَ لَـهُـمْ هَــدْيٌ وَمَــعْـرِفَــةٌ * فَهُــمْ عَـلَـى النُّــورِ أَزْمَـانًا وَأَزْمَــانَا
يَا أَهْلَ (صُكُّوتُو) هَلْ لِي أَنْ أُهَنّئَكُــمْ * عَلَى تَـيَـقُّـظِ جِـيـلٍ كَــانَ وَسْــنَـانَا
يَا مَنْ تَـجَرْتُمْ بِسُـوقٍ غَيْرِ كَاسِــــدَةٍ * فَمَا شَـهِدتُـمْ بِبَــابِ الْبَيْــعِ خُسـرَانَا
يَا آلَ (شَيْحُو) وَيَا مَنْ قَدْ سُقُــوا كَرَمًا * حَتَّـى غَـدَا ذِكْـرُكُمْ لِلنَّفْــسِ سُلْـوَانَا
فَقَدْ وَرِثْتُـمْ أَصِيلَ الْمَجْدِ عَــنْ رجُـلٍ * قَـدْ صَــارَ بَـدْرًا وَفِي الْإِنْصَافِ عُنْـوَانَا
رَجُــلٌ بِـأَلْـفِ رِجَــالٍ فِــى عَـزِيـمَتِـهِ * أَقَــامَ فِيــنَـا مِــنَ الْـخَيْــرَاتِ أَلْــوَانَا
ذَاكَ ابْنُ فُودِي الّذِي يَحْـيَا بِخَاطِـرِنَا * أَوَ لَـيْـسَ أَوَّلَ بَــانٍ شَــادَ بُـنْيَــانَـا؟!
مَنْ ذَا الَّذِي اسْتَئْصَلَ الْأَعْداءَ فِي زَمـنٍ * لَـمَّـا طَـغَوا وَبَـغَـوا ظُلْـمًــا وَعُـدْوَانَا؟
مَـنِ الّــذِي لَــمْ تَــزَلْ أَعْـمَـالُـهُ أَثَـرًا * حَـيًّا مُنِيــرًا وَأَعْــلَامًا بِـمَــسْعَانَا؟
مَنِ الْـمُـجَـدِّدُ فِـي الْأَنْحَـاءِ قَـاطِبَــةً * إِذْ عَــمَّ فِيــــهَا الْبَـلَا ظُلْـمًا وَكُفْـرَانَا
عَـجَـزَتْ نِسَاءُ بَنِـي(الْهَـوْسَـا) بِرُمَّتِـهِ * مِــنْ أَنْ يَلِــدْنَ عَظِيمًا مِثْـلَ عُثْمَانَا!
عَــرَفْتُــهُ حَــازِمًــا وَأَخُــوهُ نَـاصَـرَهُ * وَاللهُ يَـجْــزِيـهِمَا عَــفْــوًا وَغُفْــرَانَا
فَلَسْتُ أَنْسَى-وَرَبِّي-الدَّهْـرَ-جُهْدَهُمَا * إِذْ لَـمْ يَـهُــونَـا وَمَــا ضَـعُـفَـا وَمَـا لَانَا
هُمَا اللَّـذِان أقـامـا الـمَـجْـدَ مَـدْرَسَــةً * تَـبْــقَى تُـخَــرِّجُ فُـرْسَــانًـا وَفُرْسَـانَا
حَتَّى شَعُرْتُ بِوُدِّي لَوْ لَقِيـتُ بِهِــمْ * وَالــشّــوْقُ مَـا زَالَ نُـورًا فِــي مُحَيَّانَــا
هَذا الّذِي كُلُّنَا فِـي الْيَـوْمِ نَـنْشُــدُهُ * شَـرْقًا وَغَـرْبًــا وَإِلاّ كَـانَ عِــصْيَانَا
لُغَةُ النّـبِيِّ لَهَـا شَــأْنٌ نُـحَقِّقُــهُ * هَـيَّــا لِإِنْـجَـازِهِ حُـبًّا وَقُــرْبَــانَــا

لَا تَحْسَبَنْ أَنَّ هَـذَا لَيْـسَ مُنْطَبِـقًا * عَلَـى جَـمَـاعَتِنَـا شِـيـبًا وَشُبَّـانَـا
هَـذِي الْوَسَـاوِسَ دَعْهَـا فِـي أَمَـاكِنِهَا * واقْـرَأْ أَحَـادِيـثَ خيْـرِ النَّاسِ قُـرْآنَـا
وَاقْـرَأْ عَـنِ الشَّنْتَرِينِـي وَابْـنِ تَيْمِيَةٍ * وَالشَّاطِـبِيُّ تَـرَى مَـا قَـالَ بُهْتَـانَـا
فَمَـنْ لَنَـا يَتَـوَلَّى الْأَمْـرَ بَـعْدَهُـمُ * لِكَـيْ نَظَـلّ مَدَى الْأَيَّـامِ إِخْـوَانَـا
هَـذا التَّسَـاؤُلُ لَـمْ يَبْـرَحْ يُرَاوِدُنِـي * أُخْفِيـهِ حِينًـا وَلَا أُخْـفِيـهِ أَحْيَـانَـا
حَتّـى أَتَـانَـا نِـدَاءٌ مِـن جَـهَـابِـذَةٍ * جَـاؤُوا إِلَـيْـنَـا زُرَافَـاتٍ وَوُحْـدَانَـا
إِنِّـي عَلَـى ثِـقَـةٍ مِـنْ أَنْ كَوْكَبَةً * مِنْ خِـيرَةِ النَّـاسِ لَا يَـذَرُونَ مَـا بَـانَـا
فَـإِنْ تَرَكْـتُـمْ وَلَـمْ تُرْسُـوا قَـوَائِمَـهَا * فَـإِنَّنِي خَـائِـفٌ مِمَّـا سَـيَلْقَـانَـا
لَـكِـنَّ جَـمْعِيَّةً قَامَـتْ بِـوَاجِـبِهَا * نَحْـوَ انْدِثَـارٍ يُـمِيتُ الْقَلْـبَ أَحْزَانَـا
فَوَسَّـمُوهَا بتلخيص عَـلَـى (أَسَـلِنْ) * تَدْعُـو لِيُصْبِحَ هَـذا الْكَوْنُ يَقْـظَانَـا
وَكَرَّسُـوا وَقتَـهُـمْ مِـن أَجلِ مُؤْتَمَـرٍ * مِنْ نَـوْعِ ذَاكَ الّذِي بِالْأَمْـسِ سَـلَّانَـا
إِذِ الْتَقَيْنَا بِكُلِّ الشّـوْقِ فِـي(كَشِنَا) * دَارِ الْـمَـكَـارِمِ إِيـمَـانًا وَإِحْـسَـانًا
وَالْآنَ فِى(صُكُّوتُو) فِى عُقْرِ جَامِعَـةٍ * تَـهْـفُـو لِرُؤْيَتِـهَا الْأَعْـلَامُ عِـرْفَـانَـا
نَيْجِيرِيَا مَوْطِـنٌ عَرَبِـي لَـهُ شَـرَفٌ * وَالِاقْتِـصَـادُ يُـنَـمَّـى أَيْـنَـمَا كَـانَـا
كَيْـفَ السَّبِيلُ إِلَـى إِنْمَـاءِ ثَـرْوَتِنَا * حَـتَّى نَكُونَ عَلَى الْمَعْـرُوفِ أَعْـوَانَـا
هَـيَّا تَـعَـالَـوْا وَأَلْقُوا مَـا بَـدَا لَـكُمُ * مِـمّا يُـعَـبِّـقُ بِـالْأَنْفَـاسِ رَيْـحَـانَـا
لَا تَسْتَهِنْ أَوْ تَخَفْ مِنْ أَيِّ مَسْأَلَةٍ * أَرْسِـلْ نِـدَاءً إِلَـى الأَسْمَـاعِ رَنَّـانَـا
أَرْجُو لَكُـمْ كُـلَّ خَيْـرٍ دَائِـمًـا أَبَـدًا * وَأَنْ نُـجَـنَّـبَ يَـوْمَ الْـجَـمْـعِ نِـيـرَانَـا

**شعر**: مختار مرتضى إبراهيم (أبي نَبَهان)، كاتسينا.